

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية-قسنطينة

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع

الهجري/13م

من خلال كتاب: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة

ببجاية، لأبي العباس أحمد الغبريني (ت704هـ/1304م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في حضارة المغرب الأوسط في العصر
الإسلامي-تاريخ وسيط

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد العزيز فيلالي

إعداد الطالب:

السعيد عقبة

أعضاء اللجنة

<u>الاسم واللقب</u>	<u>الرتبة</u>	<u>المؤسسة الأصلية</u>	<u>الصفة</u>
1 - أ.د. إسماعيل سامعي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
2 - أ.د. عبد العزيز فيلالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري	مشرفا ومقررا
3 - د. رشيد باقة	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا
4 - د. يوسف عابد	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا

السنة الجامعية: 1429-1430هـ/2008-2009م

الإهداء

إلى روح والدتي الطاهرة، أمي رحمها الله وأسكنها فسيح
جنانه.

إلى والدي العزيز، حفظه الله، عرفانا بتشجيعه لي، ووقوفه
إلى جانبي.

إلى أختي وإخوتي.

إلى أساتذتي وزملائي.

إلى كل هؤلاء، أهدي هذا الجهد الفكري المتواضع.

السعيد

الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع الهجري/13م

من خلال كتاب: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة

ببجاية، لأبي العباس أحمد الغبريني (ت704هـ/1304م)

المقدمة

- أهمية الموضوع
- عرض وتحليل لأهم المصادر

التمهيد: لمحة تاريخية عن بجاية

الفصل الأول: الغبريني: حياته، وكتابه عنوان الدراية

- 01- الغبريني: حياته وعصره
- 02- عنوان الدراية: دراسة الكتاب

الفصل الثاني: عوامل نمو الحركة الفكرية ببجاية

- 01- عناية السلاطين والأمراء بالعلم والعلماء
- 02- المؤسسات التعليمية ببجاية
- 03- الرحلة العلمية
- 04- التعليم: أنواعه ومراحله
- 05- طرق ومناهج التدريس
- 06- تعليم المرأة
- 07- الإجازة العلمية
- 08- الوراقة

الفصل الثالث: العلوم الدينية ببجاية من خلال عنوان الدراية

01- علوم القرآن والتفسير

02- علوم الحديث

03- علم الفقه

04- أصول الفقه، والعلوم الدينية الأخرى

الفصل الرابع: التصوف والعلوم اللغوية وآدابها، والعلوم الإجتماعية

والعقلية ببجاية من خلال عنوان الدراية

01- التصوف

02- اللغة العربية وآدابها

03- العلوم الإجتماعية والعقلية

04- العلوم الطبية والعديدية

الخاتمة

الملاحق

الخرائط

الصور

المصادر والمراجع

فهرس الأماكن

فهرس الأعلام

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

المقدمة

- أ- أهمية الموضوع
- ب- صعوبات البحث
- ج- المنهج المتبع
- د- عرض وتحليل لأهم المصادر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أ- أهمية الموضوع وإشكاليته:

كانت بجاية في القرن السابع الهجري/13م، تمثل قلب المغرب الأوسط، وعاصمة الجناح الغربي للدولة الحفصية، فقد بلغ إشعاعها السياسي، والاقتصادي، جميع المغرب الإسلامي، نتيجة لعوامل مختلفة سياسية واقتصادية وبشرية، جعلت منها حاضرة كبرى، ومدينة هامة لها مكانتها بين مدن البحر المتوسط.

وإلى جانب هذه الريادة السياسية والاقتصادية، عُرِفَت بجاية أيضا بنشاطها العلمي والثقافي فقد شهدت نهضة علمية وفكرية، ابتداءً من تأسيسها في العهد الحمادي، حيث كانت مركزا مهما من المراكز العلمية المنتشرة عبر العالم الإسلامي، فقامت بها معاهد علمية، ومدارس لتعليم مختلف العلوم الدينية، واللغوية والعقلية، ومما زاد في شهرتها، هجرة النخبة الأندلسية إليها، مما أدى بارتقاء الحياة العلمية والفكرية بهذه الحاضرة.

وقد نال الجانب العلمي والفكري ببجاية اهتمام العديد من المؤرخين، إذ لا يخلو تأليف من كتب التراجم، إلا وذكر اسم عالم بجائي، أو درس ببجاية، مما دفع بقاضي بجاية في القرن السابع الهجري/13م، الشيخ أبي العباس الغبريني (ت704هـ/1304م) إلى توثيق هذا النشاط العلمي والفكري لعلماء بجاية بكتاب سماه: «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»، أرّخ فيه لـ: 109 شخصية علمية ممن كانوا ببجاية، أو درسوا فيها، أو مروا بها في القرن 07هـ/13م.

ويعد هذا المصدر الذي ترجم فيه الغبريني لمشاهير بجاية من العلماء، والفقهاء والأدباء، والصالحين، صفحة مشرقة من التاريخ الحضاري، والفكري لهذه الحاضرة.

لقد نالت بجاية حظا وافرا من الدراسات المختلفة، في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية⁽¹⁾، والعلمية والفكرية، وتأتي هذه الرسالة كإضافة للدراسات السابقة، ومحاولة لرفع النقاب عن الجوانب العلمية والفكرية التي تضمنها كتاب «عنوان الدراية»، وهذا ما يدعونا للتساؤل عن الدور العلمي والفكري الذي قدمته هذه الكوكبة من العلماء الذين ترجم لهم الغبريني في كتابه «عنوان الدراية»، وتلكم هي الإشكالية التي نريد أن نعالجها باختيارنا لموضوع «الحياة العلمية والفكرية ببجاية»، من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» لأبي العباس الغبريني.

وقد جاء اختياري لهذا الموضوع لعدة اعتبارات هي:

أولاً: أولت المصادر مكانة هامة لعلماء بجاية، إذ تواتر الحديث عنها في العديد من المناسبات، إلا أن هذا الاهتمام كان متناثرا في الكتب، باستثناء الغبريني الذي أفرد تأليفا خاصا بهذا الموضوع، فارتأيت معالجته بطريقة تحليلية من خلال ما أورده الغبريني.

ثانياً: أصبح النشاط العلمي والفكري ظاهرة ملموسة في آخر القرن السادس الهجري/12م، والقرن السابع الهجري/13م، حيث نشطت الحياة الثقافية، لإسهام علماء بجاية في هذه الحركة.

ثالثاً: أردت بهذا البحث، أن أبرز دور بجاية في هذه الحركة العلمية، كحاضرة من حواضر المغرب الإسلامي، ونقطة إتصال هامة بين حواضر العالم الإسلامي (إفريقية، المغرب الأقصى، الأندلس، المشرق)، ومدى مساهمة علماء بجاية في النهضة العلمية والفكرية.

ب- أما فيما يخص المشاق التي واجهتني طيلة فترة إعداد البحث، وجمع المادة العلمية من المكتبات بجامعة قسنطينة، والجزائر، ومكتبات الزوايا، والمكتبات الخاصة، فإني لا أريد أن أخوض في هذه الصعوبات، لأن ذلك أمر طبيعي لكل باحث، وإنما أردت أن أشير إلى بعض الصعوبات التي لقيتها أثناء عملية التحرير متمثلة في اختلاف المصادر في بعض الأحيان فيما يخص أسماء الأعلام، وتواريخ وفاتهم، فبالرغم من أن هذا البحث يتحدث عن الحياة العلمية

¹ - من الدراسات التي عالجت موضوع بجاية، والتي تستحق التنويه: صالح بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي: دراسة اقتصادية واجتماعية، (دكتوراه)، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.

والفكرية ببجاية من خلال مصدر «عنوان الدراية» لأبي العباس الغبريني، إلا أنني استعنت بمصادر أخرى تعرضت لهذه التراجم، فضلاً على صعوبة تطويع المادة العلمية وتصنيفها وترتيبها، واستخراج كل ما يتعلق بالجوانب العلمية والفكرية من هذه التراجم.

وتتفاقم الصعوبات عندما يتعلق الأمر بإبراز دور هؤلاء العلماء في ميدان العلوم العددية والاجتماعية والعقلية (التاريخ، الفلسفة، المنطق والحساب)، نظراً لانصراف الغبريني إلى الترجمة إلى الفقهاء والصوفية، فجل التراجم جاءت في ميدان العلوم الدينية، والتصوف، ولم ينقذنا من هذا المأزق، سوى نتف جاد بها علينا الغبريني في ثنايا «عنوانه» أوفي كتب المناقب والتراجم الأخرى.

وبهذا أكون قد أضفت بعض الجديد، في هذا الموضوع من خلال دراسة هذه التراجم بشكل جديد، وتصنيفها وتقسيمها حسب العلوم، وإمالة اللثام عن دور هؤلاء العلماء في الحركة العلمية ببجاية، وحواضر العالم الإسلامي.

ج- واتبعت في دراستي هذه منهجا تاريخيا، ركزت فيه على استيفاء المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من المصدر الرئيسي «عنوان الدراية» وغيره من المصادر والمراجع المتعلقة بالبحث، والحرص على التوثيق رعيًا للأمانة العلمية، متبعًا في ذلك المنهج التاريخي وما يتطلبه من تحليل، واستنباط، ومقارنة، ونقد.

وقد استهللت هذه المذكرة بمقدمة استعرضت فيها أهمية الموضوع، وأشكاله، والمنهج المتبع، مع عرض لأهم المصادر التي اعتمدها، ثم قسمت البحث إلى تمهيد، وأربعة فصول.

التمهيد: يتضمن مدخل تاريخي حول مدينة بجاية، قصدت من وراءه إعطاء لمحة تاريخية حول هذه المدينة في العصر القديم، ثم في العصر الإسلامي، مع إعطاء صورة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبجاية في القرن السابع الهجري/13م.

أما الفصل الأول: فقد خصصته للحديث عن أبي العباس أحمد الغبريني (ت704هـ/1304م)، وكتابه عنوان الدراية، حيث أعطيت نبذة عن حياة المؤلف «الغبريني»، مولده، نشأته، ثم ثقافته وأبرز شيوخه الذين تتلمذ عليهم، وبينت أبرز الأحداث التي جرت في عصر الغبريني، وأثرت في شخصيته، حيث عرضت ذلك في عدة ملامح سياسية واجتماعية وفكرية، ثم

(ت)

انتقلت للحديث عن أبرز الوظائف التي تولاها الغبريني، آخر حياته، والتي أدت إلى مقتله من طرف أمير بجاية أبي البقاء خالد.

والجزء الثاني من الفصل الأول، خصصته للحديث عن كتاب «عنوان الدراية» موضوع الدراسة، حيث أعطيت تعريفا للكتاب، والدافع على تأليفه، ثم تطرقت إلى خصائص ومنهج الكتاب، والمصادر التي استقى منها الغبريني معلوماته.

والفصل الثاني: خصصته لعوامل نمو الحركة العلمية والفكرية ببجاية، حيث ركزت على أبرز العوامل التي كان لها الدور الفعال في تطور وازدهار الحركة العلمية والثقافية، ففي هذه العوامل بدأت بعناية أمراء وحكام بجاية بهذه الحركة العلمية، ولأن هذه الرعاية التي أولاها هؤلاء السلاطين والأمراء، كانت من أبرز العوامل لنمو وتطور الحركة العلمية، ثم تطرقت إلى المؤسسات العلمية ببجاية، ودورها في المساهمة في النشاط العلمي والثقافي، حيث ذكرت أبرز هذه المراكز العلمية المختلفة التي كانت تدرس في مختلف العلوم، وأولها المساجد، والكتاتيب، ثم المدارس، والزوايا، والمكتبات ودورها الفعال في إثراء الرصيد العلمي والثقافي لعلماء بجاية، وتطرقت أيضا إلى الحلقات الخاصة التي كان يعقدها علماء بجاية ودورها في إثراء الرصيد المعرفي بما كانت تقدمه من مناقشات وتبادل للأراء بين العلماء.

وفي سياق العوامل عالجنا أيضا الرحلة العلمية ودورها في النشاط العلمي والفكري، حيث عرفت حاضرة بجاية ظاهرة ظاهرة الرحلة العلمية، سواء من طلبتها الذين كانوا يتوجهون إلى أبرز الحواضر العلمية، للزيادة في التحصيل العلمي على كبار شيوخ تلك الحواضر، كما شهدت هذه الحاضرة توافد الكثير من العلماء بغرض التدريس، خاصة من النخبة الأندلسية، وختمت هذا العامل المهم من العوامل، بإعطاء نماذج من هؤلاء الرحالة الذين عرفتهم هذه الحاضرة، حيث قمت بتقسيمهم إلى فئتين: فئة الطلبة والعلماء البجائيين الذين خرجوا من بجاية إلى غيرها من الحواضر للاستزادة العلمية، وفئة العلماء الأندلسيين والمغاربة والمشاركة، الذين قدموا إلى بجاية بغرض التدريس والإفتاء.

وتطرقت في هذا الفصل أيضا إلى موضوع التعليم ببجاية، حيث كانت حاضرة بجاية تعرف نوعين من التعليم: التعليم الشعبي الذي يهدف إلى تعليم العامة، بأركان الإسلام، وتعريفهم بالحلال والحرام من أمور الدين.

والتعليم الاحترافي الذي كان موجها إلى طلبة بجاية، بهدف تكوينهم تكويناً جيداً، ومن ثم الوصول بهم إلى مرحلة التخصص التي تؤهلهم لأن يكونوا في مصاف الشيوخ والعلماء، ويؤهلهم لتولي المناصب الدينية والإدارية.

ثم تحدثت عن مراحل التعليم في هذه الحاضرة، والتي لم تكن تختلف عن غيرها من الحواضر، حيث كان التعليم مقسماً إلى ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى من التعليم، والتي تبدأ بتعليم الصبيان والأطفال، المبادئ الأساسية للكتابة، والقراءة، وحفظ القرآن الكريم، وبعض العلوم.

ثم تأتي المرحلة الثانية والتي تعنى بدراسة العلوم، حيث ينتقل الطلبة إلى مرحلة التخصص في دراسة هذه العلوم، بمستوى تعليمي رفيع، على يد شيوخ متخصصين، أما المرحلة الثالثة والتي لا يصلها إلا النجباء من الطلبة، حيث كانوا يدرسون هذه العلوم بنوع من التوسع، كما تتيح هذه المرحلة للطلبة فرصة الانتقال إلى الحواضر الأخرى للاحتكاك بعدد أكبر من المعلمين والمدرسين.

وفي سياق الحديث عن التعليم ببجاية، عالجت طرق ومناهج التدريس، والتي ذكر الغبريني الكثير منها، حيث كانت تختلف من شيخ لآخر، وكانت في مجملها تقوم على التلقين والشرح والتحليل، والمحاورة، ثم تعرضت لأهم وأبرز المصادر التي كانت تدرس ببجاية في القرن السابع الهجري/13م، في مختلف العلوم الشرعية، واللغوية وغيرها من العلوم.

ومن عوامل نمو الحركة العلمية أيضاً، تعليم المرأة الذي ساهم مساهمة فعالة في ازدهار المجتمع البجائي، خاصة من الجانب العلمي والفكري.

وختمت الفصل الثاني بالحديث عن الإجازة العلمية، التي تعتبر نتوجاً لمرحلة شاقة من طلب العلم والحفظ والقراءة ومتابعة حلقات الدروس، حيث تدل هذه الإجازات على المستوى العلمي الرفيع الذي وصله علماء بجاية بعد سنوات من التحصيل والبحث العميق، فالإجازة في الحقيقة مرآة لما وصله علماء هذه الحاضرة في مختلف العلوم.

أما الفصل الثالث فيشتمل على «العلوم الدينية من خلال كتاب عنوان الدراية»، خصصته للحديث عن العلوم الشرعية التي كانت تدرس ببجاية في القرن السابع الهجري/13م، تناولت فيه علوم القرآن والتفسير، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه والأصول، ثم علم المواريث، حيث تتبععت نشاطهم العلمي في

هذا الميدان، وإسهاماتهم من خلال التأليف والشروح والاختصاصات التي وضعوها.

أما الفصل الرابع فخصصته لعلم التصوف، والعلوم اللسانية والعلوم العقلية، قسّمته إلى ثلاثة عناصر: التصوف الذي ركز عليه الغبريني في كتاب العنوان، حددت فيه معنى التصوف، واشتقاقات الكلمة في اللغة، مع إبراز بداية ظهور التصوف، والعوامل التي ساهمت في ظهوره وازدهاره بحاضرة بجاية. ثم بينت أنواعه ببجاية في القرن السابع الهجري/13م، حيث كان منحصرا في تيارين، تيار التصوف السني، وتيار التصوف الفلسفي، مع إبراز دور الصوفية ومكانتهم في المجتمع البجائي من خلال مساهمتهم في مجال التعليم، ومن خلال مساعدتهم في حل مشاكل المجتمع البجائي.

أما علوم اللغة العربية وآدابها ببجاية، فقد كان لهذه العلوم اهتمام بالغ من طرف علماء بجاية، خاصة إذا علمنا أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ومفتاح فهم العلوم الأخرى، خاصة العلوم الشرعية.

وتناولت في هذا المجال ما قدّمه علماء بجاية في ميدان النحو والصرف من خلال تدريسهم لهذه العلوم، ووضعهم التصانيف، والشروحات على أمهات المصنفات النحوية واللغوية، وفيما يخص فني النثر والشعر، تكلمت عن هذين الفنين من خلال الإبداع الذي قدمه علماء بجاية من خلال إنشائهم لتلك الرسائل الديوانية والإخوانية، ومن خلال القصائد الشعرية التي كان شعراء بجاية يتسابقون في نسجها، حيث قسمت هذه القصائد وفق الأغراض الشعرية المعروفة (المدائح النبوية، التشويق، الوصف، شعر التصوف السني، شعر التصوف الفلسفي، وغيرها من الأغراض الشعرية الأخرى).

أما الجزء الثالث من هذا الفصل فخصصته لدراسة العلوم الإجتماعية والعددية والعقلية، حيث جمعت هذه العلوم في مجال واحد نتيجة للمعلومات القليلة فيما يخص هذه العلوم، حيث نجد أن هذه العلوم العقلية لم يكن لها صدى كبير مقارنة مع العلوم الشرعية، أو التصوف، أو العلوم اللغوية، ولذلك نجد أن الغبريني لم يركز على هذه العلوم (العلوم العقلية)، في كتابه عنوان الدراية، ومع ذلك بذلت جهدي للتعريف بهذه العلوم، وتتبع مسار تدريسها، وانتشارها ببجاية، من خلال المصادر والمراجع الأخرى، تكلمت فيه عن علم التاريخ وأبرز العلماء المهتمين به، وعلم المنطق الذي كان يدرس ببجاية، ولو بقدر أقل عن

غيره من العلوم، ثم تطرقت للعلوم العددية المتمثلة في الرياضيات و علم الحساب، ثم ختمت هذا الموضوع بالحديث عن العلوم الطبية والمتمثلة في الطب الصيدلة، حيث اشتهر العديد من البجائيين في التطبيب ومعالجة الكثير من الأمراض، من خلال إطلاعهم على هذا العلم من الأطباء الأندلسيين، كما نشطت الصيدلة نظرا لوفرة بجاية على الكثير من الأعشاب والعقاقير الضرورية لمهنة الصيدلة.

أما الخاتمة فقد تضمنتها مجمل النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وأتبعتها بملاحق اقتبسها من المصدر موضوع الدراسة «عنوان الدراية» لها علاقة مباشرة بفصول المذكرة ومواضيعها، وأردفتها بمجموعة من الجداول، والدوائر النسبية، والأعمدة البيانية، التي بينت من خلالها نسب المجموعات التي تمثل العلماء الذين ترجم لهم الغبريني، وتوزيعهم على مختلف العلوم، وصور وخرائط، وفهارس للأعلام والأماكن.

وفي الختام أتوجه بأسمى عبارات التقدير، وخالص شكري وامتناني وعرفاني إلى أستاذي الفاضل: "الأستاذ الدكتور عبد العزيز فيلاسي"، أستاذ التاريخ الإسلامي، الذي فتح لي صدره، وأولاني من وقته ورعايته وعطفه ما شجعني على مواصلة الطريق، وخصص لي من وقته الثمين جلسات أرشدني فيها بتوجيهاته، وإرشاداته القيمة، وسقاني فيها من علمه، حتى ظهر هذا البحث إلى الوجود، فجزاه الله خير الجزاء.

والله الموفق لما فيه الخير، فهو نعم المولى ونعم النصير.

د- عرض وتحليل لأهم مصادر البحث:

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على عدد من المصادر، منها ما هو مطبوع، ومنها بعض المخطوطات، واستفدت من المراجع العربية، والمعربة، والأجنبية، التي تطرقت للموضوع، وإن غايتي من تقديم المصادر هو التعريف بها، وإبراز مجالات الاستفادة منها وترتيبها الزمني.

1- كتب التاريخ:

- ابن عذاري المراكشي: أبو العباس أحمد (كان حيا سنة 712هـ/1312م): من خلال كتابه «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» الذي اعتمدت على الجزء الخاص بتاريخ الموحدين⁽¹⁾، واستفاد منه البحث من خلال الأخبار التي قدمها لنا فيما يخص الجانب التاريخي لمدينة بجاية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين 12 و13م.

- ابن خلدون: عبد الرحمن (808هـ/1405م): يعتبر مؤلفه: «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب، والعجم، والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»⁽²⁾ من أهم المصنفات التي قدمت لنا معلومات غزيرة عن الأحداث الجارية في بجاية في العهد الحفصي، خاصة في القرن السابع الهجري/13م، الذي شهد أحداثا سياسية وعسكرية متلاحقة، وقد استفدت من جزئيه (06، 07) في تغطية الأحداث التاريخية التي عرفت بجاية، كما استفدت من كتابه «المقدمة»⁽³⁾ الذي يعد نموذجا فريدا في معالجته للكثير من المواضيع العلمية المتنوعة، حيث استفاد منه البحث في التعريف بالعلوم النقلية والعقلية المتعددة.

1 - قام بتحقيقه: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985،

2 - منشورات مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ط، بيروت، وطبعة ثانية: منشورات دار الكتاب اللبناني، ط، 01 بيروت، 1983.

3 - منشورات دار الجيل، ط، بيروت، وطبعة ثانية: الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط، 01، 1984.

كما استفاد البحث من مصنفه «شفاء السائل لتهديب المسائل»⁽¹⁾، والذي خصصه ابن خلدون، لدراسة التصوف، حيث استفدت منه فيما يتعلق بتعريف التصوف، وأبرز تياراته.

- ابن قنفذ القسنطيني: أبو العباس أحمد بن الحسن (810هـ/1407م): يعتبر مؤلفه «الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية»⁽²⁾، مصدرا مهما من المصادر التي غطت الأوضاع السياسية بيجاية، حيث استفاد منه البحث فيما يتعلق بتسجيل الأحداث السياسية والثقافية للدولة الحفصية.

أما كتاب «الوفيات»⁽³⁾ فاستفدت منه فيما يتعلق بالتعريف بأعلام بجاية في مختلف العلوم، واستفاد البحث أيضا من كتابه «أنس الفقير وعز الحقير»⁽⁴⁾، والذي خصصه ابن القنفذ للصوفي أبي مدين شعيب (594هـ/1198م) وتلاميذه، كما زدنا هذا المصدر المهم بمعلومات ثمينة فيما يتعلق بمساهمة هؤلاء الصوفية في الحياة العلمية والفكرية بجاية في القرن السابع الهجري/13م.

2- كتب الجغرافيين والرحلات:

تميز أصحاب الرحلات بمعاينة الأحداث ومعايشتها، وذلك بالمشاهدة المباشرة للأماكن والمدن والمسالك، وإلى جانب الأخبار عن هذه المدن والمناطق التي مر عليها هؤلاء الرحالة والجغرافيون، زدتنا مصادرهم بمعلومات مهمة وثرية عن الجوانب الاقتصادية والثقافية والفكرية التي عرفتها بجاية خلال القرن السابع الهجري/13م.

- البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز القرطبي (487هـ/1094م): يعتبر مؤلفه «المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب»⁽⁵⁾ من أبرز الكتب الجغرافية، التي استفاد منها البحث فيما يتعلق بتأسيس مدينة بجاية، وزدنا بمعلومات مهمة عن الجوانب الاقتصادية المتعلقة بهذه المدينة.

¹- نشر وتعليق: الأب اغناطيوس عبود، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، دت.

²- تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، دت.

³- حققه: عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971.

⁴- تحقيق: محمد الفاسي، وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.

⁵- طبع وتصحيح: البارون ماكوكين ديسلان، باريس، 1965.

- الإدريسي: أبو عبد الله محمد الشريف (560هـ/1164م): ألف كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»⁽¹⁾، سنة (548هـ/1154م)، حيث استفاد منه البحث فيما يتعلق بتأسيس بجاية، والجانب الاقتصادي والاجتماعي بالمدينة، كما أفادنا هذا المصدر المهم جدا، حول المسالك، والطرق، والتجارة ببجاية.

- العبدري: محمد بن محمد (توفي أواخر القرن السابع الهجري/13م): اشتهر العبدري برحلته المسماة «رحلة العبدري»⁽²⁾، والتي قادته إلى الحجاز سنة (688هـ/1289م)، حيث عرّج خلالها على العديد من الحواضر، كتلمسان، ومليانة، وبجاية، وقسنطينة، وبونة. أين مكث يومين فقط ببجاية، وبالرغم من المدة اليسيرة التي بقاها ببجاية إلا أنه أفادنا ببعض المعلومات المتعلقة بالحياة العلمية والفكرية ببجاية.

- التجاني: أبو محمد عبد الله (717هـ/1317م): ألف التجاني كتاب «الرحلة»⁽³⁾، الذي اشتمل على مادة تاريخية غزيرة ومتنوعة، حيث أفادت البحث في التعرف على العلماء البجائيين.

3- **كتب الطبقات والتراجم:** وهي أكثر عددا مقارنة مع ما سبقها، نظرا لطبيعة الموضوع، حيث إهتمت هذه المصادر والمصنفات، بحياة ونشاط العلماء والفقهاء وأهل الصلاح، واهتمت أيضا برصد الحياة العلمية والفكرية من حيث نشاطها ومستواها، وأهم هذه المصنفات:

- الغبريني: أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (704هـ/1304م): يعتبر كتابه «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»⁽⁴⁾، المصدر الرئيسي لهذه المذكرة، فمن خلاله درست الحياة العلمية والفكرية بهذه الحاضرة، حيث استعرض قاضي بجاية الغبريني، في هذا الكتاب، نشاط العلماء والفقهاء والشعراء والمحدثين والصوفية والأطباء، من أهل بجاية والمغرب الأوسط، ومن الوافدين على هذه الحاضرة من المغاربة والأندلسيين والمشاركة، وقد أفادنا هذا المصدر طيلة مدة البحث لأنه موضوع

¹- حقه ونقله إلى الفرنسية: محمد حاج صادق، تحت عنوان «المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

²- تحقيق وتقديم وتعليق: محمد الفاسي، مطبوعات جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968.

³- تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981.

⁴- حقه: رابع بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

الدراسة كما أسلفت، حيث أعطانا صورة واضحة لنشاط هؤلاء العلماء، وزودنا بمعلومات ثمينة ذات صبغة سياسية، واقتصادية واجتماعية، فالغبريني كان شاهداً على العديد من الوقائع التي حدثت ببجاية في القرن 07هـ/13م.

- **المالكي: أبو بكر عبد الله بن محمد (486هـ/1090م):** يمثل كتابه «رياض النفوس» في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم»⁽¹⁾، مصدراً مهماً في إعطاء ملامح الفقه المالكي، وأخبار العلماء المالكية من المغاربة ونشاطهم، وترسيخهم للفقه المالكي في كامل المغرب الإسلامي.

- **ابن الزيات التادلي: أبو يعقوب يوسف بن يحيى (617هـ/1220م):** يعتبر كتابه «التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي»⁽²⁾، مصدراً مهماً من مصادر التصوف في المغرب الإسلامي، حيث ترجم لمائتين وتسعة وسبعين صوفياً، في الفترة الممتدة بين القرنين الخامس والسابع الهجريين/11-13م. وتتمثل أهمية هذا المصدر بالنسبة للبحث في كونه أمداً بمعلومات مهمة عن عوامل ظهور وإزدهار التصوف ببجاية، وعن هجرة صلحاء المغرب والأندلس إلى بجاية، وإسهامات هؤلاء في ازدهار الحركة العلمية والفكرية.

- **ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي (658هـ/1260م):** من العلماء الأندلسيين الذين دخلوا بجاية، واختاروها للإقامة فمكث بها مدرسا، حيث يعد كتابه «التكلمة لكتابة الصلة»⁽³⁾، مصدراً من المصادر المهمة، حيث أفادنا بمعلومات عن العلماء الأندلسيين، ونشاطهم العلمي ببجاية.

- **ابن فرحون: برهان الدين (799هـ/1395م):** ألف ابن فرحون كتابه «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب»⁽⁴⁾، الذي يعد من أبرز المصنفات التي اعتنت بالترجمة لرجال المذهب المالكي، حيث استفاد منه البحث في الوقوف على علماء الأندلس الوافدين على بجاية، ومشاركتهم العلمية.

¹ - تحقيق: بشير البكوش والعروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

² - تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997.

³ - نشره عزة العطار الحسيني، مطبعة السعادة، مصر، 1955.

⁴ - نشر مطبعة السعادة، مصر، 1911.

-القرافي: بدر الدين محمد بن يحيى (1008هـ/1599م): يعتبر كتابه «توشيح الديباج وحلية الابتهاج»⁽¹⁾، من المصادر المهمة التي زودتنا بمعلومات ثمينة عن الكثير من العلماء الذين عرفتهم بجاية خلال القرن السابع الهجري/13م، حيث أعاد القرافي الترجمة لـ: 32 عالما من العلماء الذين ترجم لهم الغبريني في عنوان الدراية، وأفرد لهم إهتماما كبيرا في كتابه «توشيح الديباج». وأفادنا هذا المصدر من خلال مقارنة التراجم مع بعضها البعض.

-ابن مريم: أبو عبد الله محمد التلمساني (1014هـ/1605م): يشتمل كتابه «البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان»⁽²⁾ على تراجم لعلماء وأولياء تلمسان، استفاد منه البحث في الترجمة للشيخ أبي مدين شعيب وتلاميذه، الذي كان بجاية أواخر القرن السادس الهجري/12م، والذي توفي بالعباد قرب تلمسان سنة (594هـ/1189م).

-أحمد بابا التنيكتي: (1032هـ/1627م): يعتبر كتابه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»⁽³⁾ من أبرز وأهم التراجم التي ترجمت لعلماء المذهب المالكي، وقد استفدت منه أيضا فيما يخص مقارنة تراجم نيل الابتهاج، بتراجم العنوان، كما أفادنا هذا المصدر في التعريف بعلماء بجاية وإسهاماتهم العلمية والفكرية.

كما استعنت في هذا البحث بعدة مخطوطات لها علاقة بالموضوع، حيث اعتمدت عليها في جمع المعلومات عن العلماء، وعن الحركة العلمية بجاية، وعن التواصل العلمي بين بجاية وحواضر العالم الإسلامي، أذكر منها مخطوط: «عجائب الأسفار ولطائف الأخبار»⁽⁴⁾ لأبي راس المعسكري محمد بن أحمد بن ناصر الراشدي (ت1238هـ/1822م)، ومخطوط: «استكمال القصد في شرح أرجوزة ابن رشيد»⁽⁵⁾ لأبي مدين شعيب (594هـ/1198م)، ومخطوط: «ديوان قصائد عبد الحق

¹ - تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004.

² - نشره محمد بن أبي شنب، وقدم له: عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

³ - نشر مطبعة السعادة، مصر، 1911.

⁴ - مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، تحت رقم: 3182.

⁵ - مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، تحت رقم: 599.

الاشبيلي»⁽¹⁾، ومخطوط: «جلاء القلوب»⁽²⁾ لمحمد بن جعفر الكتاني. وغيرها من المخطوطات، التي أمدتني بمعلومات وافية تخص الموضوع.

الجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

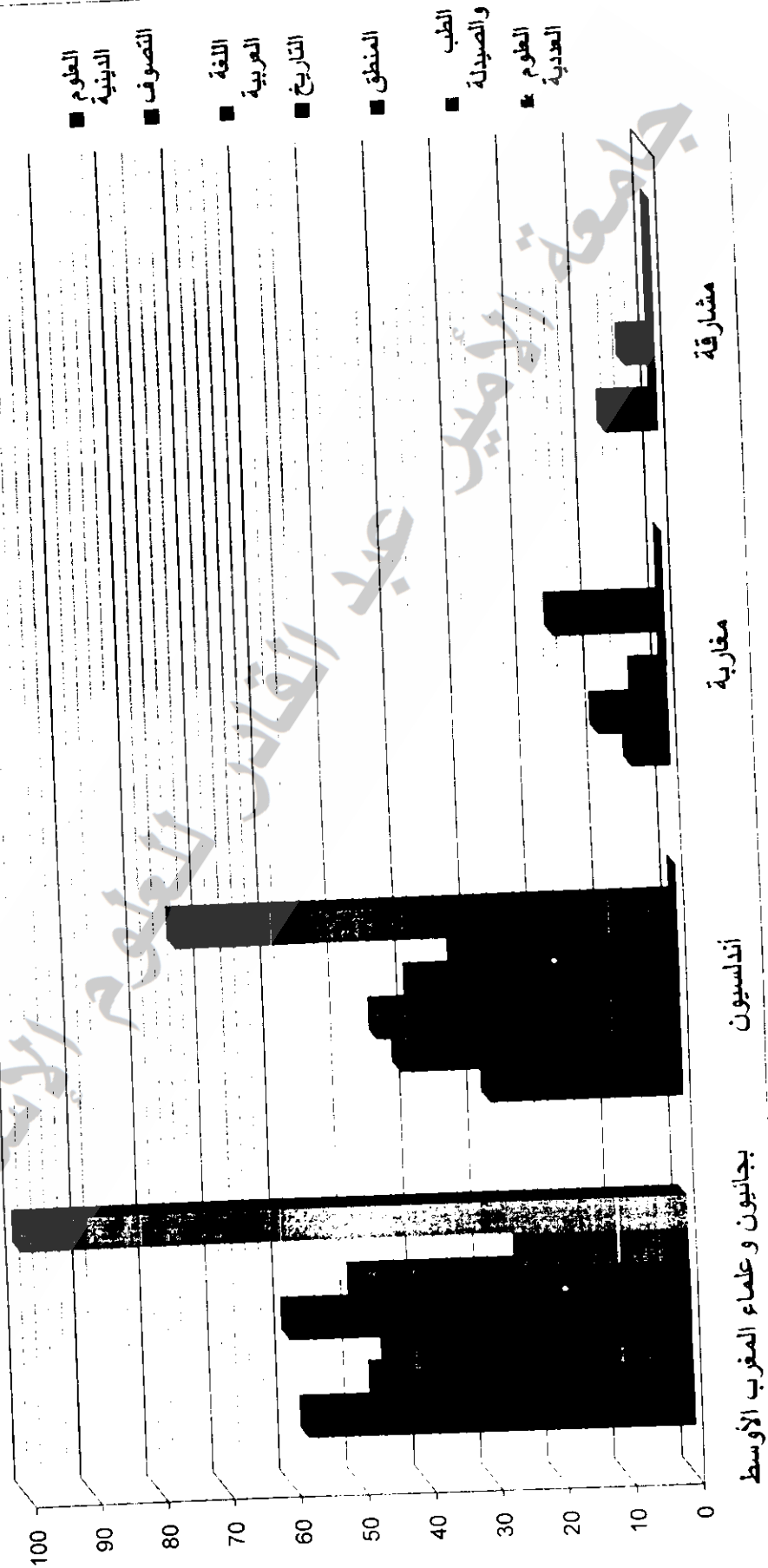
1- مخطوط ضمن مجموع، المكتبة الوطنية، الجزائر، تحت رقم: 1830.
2- مخطوط خاص (صورة طبق الأصل).

التمهيد

لمحة تاريخية عن بجاية

- 01- بجاية في العصر القديم
- 02- بجاية في العصر الإسلامي (التطور التاريخي للمدينة)
- 03- النظم الاقتصادية ببجاية خلال القرن السابع الهجري/13م
- 04- الأوضاع الإجتماعية ببجاية
- 05- تعداد سكان بجاية

ملحق (06): العلماء الذين ترجم لهم الغبريني ونسب تمثيلهم في مختلف العلوم، حسب أصولهم



لمحة تاريخية عن بجاية

01-بجاية في العصر القديم:

تعتبر مدينة بجاية من المدن القديمة في الشمال الإفريقي ،حيث دلت الدراسات والأبحاث على أن هذه المنطقة كانت تمثل إحدى أهم المراكز في التاريخ القديم ،فكانت تضم العديد من المغارات والمواقع القديمة ،كمغارة علي باشا ، ومغارة حصن كلوزال ،ومخابئ الإبر،شمال شرقي بجاية،وموقع قمة القردة،شمال الجوين⁽¹⁾.

وبمجيء الفينيقيين⁽²⁾ أنشؤوا في هذه المنطقة مدينة صلداي(SALDAE)⁽³⁾ حيث ازدهرت اقتصاديا بسبب موقعها البحري،وفي سنة 104 ق م دخلت بجاية (صلداي) تحت النفوذ الروماني بعد هزيمة يوغرطة، وقد لعبت في هذه الفترة دورا اقتصاديا ،واكتسبت أهمية عمرانية⁽⁴⁾.

وعندما استولى الوندال على هذه المدينة سنة 430 م ،تلاشت أهمية بجاية (صلداي) شيئا فشيئا ،حيث سميت هذه المدينة في عهدهم ب (غور ، gour)،أي الموقع الصخري⁽⁵⁾.

1- صالح بعيزيق :بجاية في العهد الحفصي ،دراسة اقتصادية واجتماعية ،منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 2006، ص 34.

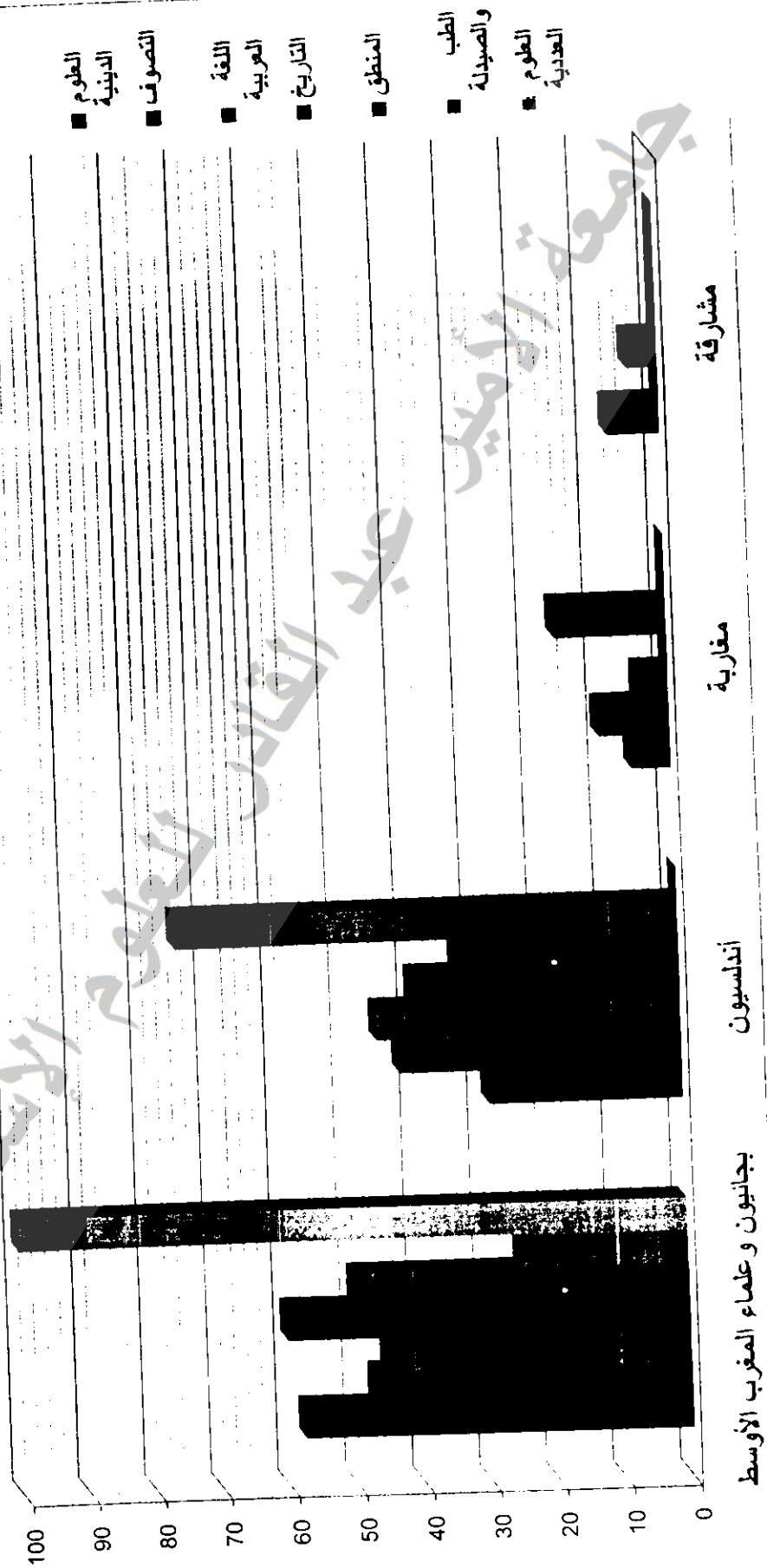
2- الفينيقيون شعب سامي من الفرع الكنعاني ،ظهروا ببلنان حوالي سنة 3200 ق م.اشتهروا بالملاحة ،وفي عام 1101 ق م أسسوا مدينة أوتيكا على الساحل الغربي لخليج تونس ،ثم شيّدوا موانئ سوسة ،وبنزرت وعنابة وبجاية ،حيث كانت هذه المدن مراكز تجارية هامة يحيى بوعزيز ،الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيط ،ط02،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ج01، ص 26، يوسف فهمي ،ارض البطولة، دط، 1964، ص 108.

3- إسماعيل العربي ،دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص186.

4- إيفر: بجاية، دائرة المعارف الإسلامية، دط، دار المعرفة، بيروت، دبت، ج03، ص 350، هايز فون مالتسان: بجاية، ترجمة: أبو العيد دودو، مجلة الأصالة، العدد:19،(1974)، ص 40.

5- بعيزيق، المرجع السابق، ص35؛ عبد القادر جفلول،مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ط02، دار الحدائق، بيروت، 1988، ص 32.

ملحق (06): العلماء الذين ترجم لهم الغبريني ونسب تمثيلهم في مختلف العلوم، حسب أصولهم



وفي سنة 533م استولى البيزنطيون على المغرب القديم، حيث دخلت صلاحي تحت نفوذ السلطة البيزنطية، وتؤكد الدراسات أن هذه المدينة في هذه الفترة كانت تمثل أهمية بالغة، خاصة من الناحية الاقتصادية والإستراتيجية، حيث كان بها سور كبير جعلها مدينة منيعة، وكانت مساحتها تقدر بحوالي 03 كيلومتر مربع⁽¹⁾.

2- بجاية في العصر الإسلامي (التطور التاريخي للمدينة):

تحولت بجاية (صلاحي) بعد الفتح الإسلامي، إلى مدينة يقطنها صيادوا السمك، وقبيلة من البربر تسمى بجاية، أو بقاية (بقايث) Begaith كما ينطقها أهالي المنطقة⁽²⁾، ويبدو أن المعلومات تبقى جد قليلة بالنسبة لتاريخ المدينة في ما يتعلق بالقرون الإسلامية الأربعة الأولى التي أعقبت فتح بلاد المغرب⁽³⁾، اللهم ما ذكره الجغرافي أبو عبد الله البكري من أن مدينة بجاية كانت أهلة عامرة بأهل الأندلس بشرقها نهر كبير تدخله السفن محملة⁽⁴⁾.

وتؤكد أغلب المصادر على أن مدينة بجاية قد برزت و أخذت دورا مهما في عهد الدولة الحمادية، وبالضبط في عصر الناصر بن علناس (454 - 481هـ / 1062-1078م) التي أسسها سنة 460هـ/1067م، بإشراف مباشر منه⁽⁵⁾ حيث سخر لها الناصر مجهودات كبيرة لإنجازها، فقام بتخطيط مقر

1- Charles Féraud: Histoire des ville de la province de Constantine, Bougie. Inrecveil de la société archéologique de Constantine. Année 1869, P49.

2- ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ج06، ص357.

3- بعزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص35.

4- البكري، عبيد الله: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، طبع و تصحيح: البارون ماكوكين ديسلان، باريس، 1965، ص82.

5- ابن خلدون: العبر، ج06، ص357؛ يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ط01، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ج01، ص48.

الحكم، ونقل إليها الناس، وأسقط الخراج على ساكنيها، رغبة في تعميرها وانتقل إليها سنة (461هـ/1068م)، حيث أطلق عليها اسم الناصرية⁽¹⁾.

واختلفت المصادر التاريخية، في تاريخ التأسيس، ففي الوقت الذي يحدد ياقوت الحموي وابن الأثير سنة (457هـ/1064م) كتاريخ لتأسيس مدينة بجاية، يحدده ابن خلدون سنة (460هـ/1067م)⁽²⁾ وقد برزت عدة عوامل أدت بالحماديين إلى تأسيس هذه المدينة أهمها:

1- الموقع الاستراتيجي الذي شكلته هذه المدينة بالمغرب الأوسط⁽³⁾، حيث كانت تتوسط عدة مدن مهمة كبونة، وقسنطينة، والجزائر، قلعة بني حماد، كما كانت محطة تجارية هامة يقول عنها الإدريسي: «مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط، وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة و الأمتعة إليها برا وبحرا، والسلع إليها مجلوبة...»

1- Allaoua AMARA: pouvoir économie et société dans le Maghreb Hammadide (395/1004 – 547/1152), thèse de doctorat, université paris-1, Sorbonne, 2002, vol.1, P.137.

2- ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ج01، ص403؛ ابن خلدون، العبر، ج06، ص357. يرى صالح بعيزيق أن تاريخ (460هـ/1067م) هو تاريخ تأسيس بجاية لعدة اعتبارات، منها أن أغلب المؤرخين أخذوا تاريخ (457هـ/1064م) عن بعضهم البعض، فلربما نقل ياقوت وابن الأثير الواحد عن الآخر، لاسيما أنهما عاشا في نفس الفترة كما أنه لا يمكن للناصر أن يؤسس مدينة بجاية، في نفس السنة التي انهزم فيها في معركة سببية، إذ أنه مازال يعاني من تبعات ونتائج هذه المعركة، التي تكبد فيها خسائر فادحة من طرف بني هلال. بجاية في العهد الحفصي، ص53، إلا أن الراجح في هذه المسألة ما ذهب إليه الدكتور عمارة علاوة من أن بداية بناء بجاية و تشييدها قد بدأت سنة (457هـ/1064م) وانتهت في (460هـ/1067م).

Allaoua Amara :pouvoir économie et société dans le Maghreb Hammadide. Vol:1 P.141.

3- اختلف في التحديد الجغرافي للمغرب الأوسط، فابن خلدون يرى بأن المغرب الأوسط نطاق جغرافي يدل على المناطق التي تستقر فيها القبائل الزناتية، من وادي ملوية غربا إلى وادي الشلف والزاب شرقا، ومن ساحل شرشال، وهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا. بالإضافة إلى بلاد صنهاجة الممتدة من الجزائر غربا إلى بجاية شرقا، ومواطن كتامة، وعجيسة وهوارة الممتدة بإقليم بجاية وقسنطينة. إلا أن الكثير أعابوا على ابن خلدون هذا التحديد لأنه يعتمد على التوزيع القبلي الغير ثابت، فالمغرب الأوسط إذن هي المساحة الممتدة من بونة شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا، إلى الصحراء جنوبا. للتفصيل أكثر: بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 06 و07 الهجريين/12 و13 الميلاديين، ط01، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص30.

وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء، وتجار
المشرق»⁽¹⁾.

2- شكلت بجاية من الناحية الأمنية ملجأ حصينا ضد الهلاليين، فجهتها
بعيدة عن تحركاتهم، نظر للحواجز الجبلية التي تتمتع بها هذه المدينة⁽²⁾.

3- قرب بجاية من قلعة بني حماد، لاسيما أن الناصر مازال في حاجة إلى
عاصمته الأولى⁽³⁾.

4- سهولة التعامل مع سكان بجاية، فبجاية تقع بين قبائل بربرية،
ذات استعداد للانصياع والطاعة ما دامت أصولهم واحدة مع
الحماديين⁽⁴⁾.

وفي عهد المنصور بن علناس (481-498هـ / 1088-1104م)، ازدهرت
بجاية، واتسعت عمرانها، حيث شيد جامعها، وتأنق في اختطاط المباني،
واكتسبت المدينة أهمية اقتصادية بالغة⁽⁵⁾.

وفي 24 جمادى الأولى 547هـ / 27 أوت 1152م، دخلت بجاية تحت حكم
الموحدين، حيث لم تستطع مقاومة جيوش عبد المؤمن بن علي⁽⁶⁾ فخسرت
بجاية بذلك مكانتها السياسية و الاقتصادية، وأصبحت تابعة لحكم مراكش، ولم
يبق من نشاطها سوى الميناء الذي احتفظ بنشاطه التجاري⁽⁷⁾.

1- المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق: محمد حاج صادق، بط بلجيكا، 1983،
ص116.

2- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 55.

3- بعيزيق: المرجع السابق، ص56.

4- ابن خلدون: العبر، ج06، ص 357.

5- المصدر نفسه، ج06، ص357.

6- برنشفيك: روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، من القرن 13 إلى نهاية القرن15م، ترجمة:
حمادي الساحلي، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج01، ص 32.

7- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص63.

واستولى بنو غانية على بجاية، في 06 شعبان 580هـ/ 12 نوفمبر 1184م، حيث أجبر قائدهم علي بن إسحاق أهلها على مبايعته⁽¹⁾، إلا أن الموحدين استرجعوا بجاية في السنة الموالية 581هـ/ 1185م⁽²⁾.

وفي سنة 599هـ/ 1202م أعاد بنو غانية الإغارة على بجاية بقيادة يحيى بن غانية، حيث بسط نفوذه عليها سنتين، إلى أن استردها الناصر الموحدي (595-610هـ/ 1198-1213م) سنة 601هـ/ 1204م، ونصب عليها أبو محمد عبد الواحد بن حفص جد الحفصيين⁽³⁾.

وفي شهر رمضان 626هـ/ جويلية 1292م ضم أبو زكرياء يحيى الأول (594-647هـ/ 1197-1249م) بجاية بعدما تمكن من قسنطينة أولا حيث دخل أبو زكرياء المدينتين دون عناء يذكر، فقد لعبت الصراعات والعنف الذي انتاب الدولة الموحدية دورا مهما لفائدة الحفصيين⁽⁴⁾.

وقد كانت علاقة بجاية بالسلطة المركزية بتونس علاقة ولاء وتبعية، حيث توالى عليها في هذه الفترة ولاة من العائلة الحفصية، أو من مشيخة الموحدين، كان أولهم أبو عبد الله اللحياني، أخو أبي زكرياء الذي عُين منذ (627هـ/ 1229م)، والذي شارك في الاستيلاء على بجاية⁽⁵⁾، ثم خلفه أبو يحيى زكرياء والذي بقي على رأس بجاية إلى سنة وفاته سنة (646هـ/ 1248م)⁽⁶⁾، وفي سنة (660هـ/ 1262م) عين أبو هلال عياد بن سعيد الهنتاتي

1- ابن خلدون: العبر، ج06، ص246.

2- بعيزيق: المرجع السابق، ص64.

3- ابن الشماخ محمد: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم طاهر المعموري، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس 1984. ص49.

4- الزركشي محمد، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية تحقيق محمد ماضود، دط، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص25.

5- ابن خلدون: العبر، ج06، ص596.

6- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج06، ص596.

على ولاية بجاية إلى غاية (673هـ/1275م) الذي كان يمثل العين الساهرة على الجزء الغربي للدولة الحفصية⁽¹⁾.

كما عرفت بجاية في بعض الفترات اضطرابات وفتن داخلية وذلك بسبب الصراع على السلطة، حيث بدأ هذا الصراع يطفو على السطح ابتداءً من حكم الواثق بن المستنصر ببجاية سنة (675هـ/1277م)، إلى غاية مجيء أبي البقاء خالد سنة (700هـ/1300م)⁽²⁾ الذي حاول إعادة بناء الدولة الحفصية وتوحيدها من جديد، وذلك بالتركيز على البناء والتشييد وحماية الدولة الحفصية.

03-النظم الاقتصادية ببجاية القرن السابع الهجري/13م:

توفرت لبجاية العديد من العوامل التي جعلت منها منطقة إقتصادية مهمة في الغرب الأوسط، حيث تمتعت بثروة مائية مكونة من الأودية والعيون، فضلا على واد بجاية أو الوادي الكبير الذي يقول عنه البكري بأنه نهر كبير، تدخله السفن محملة⁽³⁾، حيث كان مصبه يبعد عن المدينة ميلين⁽⁴⁾ إضافة إلى ساحل بجاية الذي وفر للمدينة مداخل إقتصادية كبيرة، خاصة إذا علمنا أن هذه السواحل كانت تشتغل في التجارة البحرية، والصيد⁽⁵⁾.

1- هنا حقيقة هامة ينبغي الإشارة إليها وهي أن بجاية بالرغم من تبعيتها إلى الدولة الحفصية في القرن السابع الهجري 13م، إلى أنها لم تخرج عن النطاق الجغرافي للمغرب الأوسط حيث احتفظت بمميزاتا وخصائصها ضمن نطاق المغرب الأوسط، وهذا ما يؤكد الغبريني عند ترجمته للصوفي محمد عبد الحق بن الربيع البجائي (ت 675هـ/1277م)، بقوله: «لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله» الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابع بونار، ط02 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص88، فهذا التميز عن المغربين الأدنى والأقصى دليل على أن مصطلح المغرب الأوسط كان متداولاً خلال القرن 07هـ/13م، ودليل أيضا على أن بجاية كانت ضمن نطاق المغرب الأوسط.

2- ابن عامر السوفي: محمد الساسي، الصروف في تاريخ سوف، (مخطوط)، ج02، ورقة: 68؛ ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفرو عبدالمجيد التركي، بطم، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص31.

3- البكري: المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، ص82.

4- مولاي بلحميسي: بجاية في حدائق الكتب، مجلة الأصالة، العدد (19)، السنة(4)، مارس، أبريل، 1974، ص 101.

5- الإدريسي: نزهة المشتاق، ص116.

إلا أن هذه الإمكانيات والعوامل واجهتها صعوبات جمة أثرت على الإنتاج الاقتصادي بصفة عامة، كالمجاعات التي حدثت ببجاية، منها مجاعة بداية القرن السابع الهجري/13م، التي وصفها الغبريني بأنها مجاعة عظيمة، حيث قلت المياه، وجف واد أمسيون، وكان الناس يملؤون من الوادي الكبير⁽¹⁾.

كما كان لضيق المساحة الزراعية ببجاية دور في التقليل من أهمية وفرة المياه، وعائقا في وجه الإنتاج الفلاحي فتضاريس بجاية عبارة عن جبال، تتخللها منخفضات ومسالك جبلية وعرة يقول عنها الإدريسي: «ومدينة بجاية على البحر، لكنها على حرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون، وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى»⁽²⁾.

لقد أعاقت هذه العوامل الى درجة كبيرة النشاط الاقتصادي، خاصة الإنتاج الفلاحي، الذي كان يحتاج الى مساحات زراعية واسعة، كما أن عدم وجود خزانات وسدود لتخزين المياه الطبيعية، أثر بشكل كبير على الإنتاج الاقتصادي.

أ- الإنتاج الفلاحي:

عرفت بجاية نوعين من الإنتاج الزراعي وهما زراعة الحبوب، وفلاحة البساتين، و الى جانبهما ظهرت تربية الماشية، والصيد البحري.

- **زراعة الحبوب:** احتلت زراعة الحبوب أهمية بالغة ببجاية، حيث كانت هذه المزروعات تتركز بأراضي السهل الضيق، فكانت تزرع الحنطة والشعير، إلا أن ضيق المساحة الذي أشرنا إليه سابقا، عرض المدينة لمواسم من الجفاف، جعل زراعة الحبوب ببجاية تتدهور، بسبب قلة الأمطار⁽³⁾.

- **فلاحة البساتين:** اشتهرت بجاية ببساتينها الكثيرة، الممتدة على النهر الكبير، حيث يشير الغبريني الى أن بجاية كانت بها الكثير من البساتين على ضفاف

1- الغبريني: عنوان الدراية، ص 151.

2- نزهة المشتاق، ص 115.

3- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 126.

الأنهار⁽¹⁾، ويتبين ذلك أيضا من خلال قصيدة أبي علي بن الفكون القسنطيني(ت القرن 13هـ/13م) التي يصف فيها بجاية، حيث يبين أن هذه البساتين، واقعة على أراضي ضفتي النهر، إذ يسميها بالجئات⁽²⁾.

واعتمدت فلاحه البساتين على نظام الري، حيث امتدت على المناطق الخصبة والمنخفضة ذات المسالك السهلة⁽³⁾.

وإذا كانت المصادر لا تمدنا بمعلومات دقيقة عن إنتاج هذه البساتين، إلا أن الإدريسي أشار إلى أن بساتين بجاية منذ القرن السادس الهجري/12م، كانت تنتج التين⁽⁴⁾، كما كانت هذه البساتين مملوءة بالأشجار المثمرة، مثل اللوز والزبيب⁽⁵⁾.

كما نشطت تربية الماشية، والتي كانت تحتل المرتفعات القريبة من بجاية، حيث كانت هذه الأخيرة تنتج الجلود، والصوف، والفروة السوداء التي كانت تصدر إلى أوروبا⁽⁶⁾.

ب- الإنتاج الصناعي:

عرفت بجاية العديد من الصناعات، كصناعة السفن، والملابس والنسيج، الفخار والخزف، والجلود والشمع، وغيرها من الصناعات.

- صناعة السفن:

اهتمت بجاية بصناعة السفن لما تمثله من أهمية بالغة في المجال الاقتصادي، وحتى العسكري، وربط الإدريسي ازدهار هذه الصناعة بتوفر

1- الغبريني: عنوان الدراية، ص162.

2- يقول ابن الفكون في هذه الصدد (البيسط):

والنهر كالصل والجئات مشرفة
فنه كالسجل قد تراءت
على شطيه جنات النعيم

الغبريني: عنوان الدراية، ص 280، 283.

3- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 131.

4- الإدريسي: المغرب العربي من نزهة المشتاق، ص116.

5- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 132.

6- المرجع نفسه، ص 135.

المواد الأولية بقوله: «وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن، والحرابي، لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير موجود، ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة، والقطران، وبها معادن الحديد الصلب موجودة وممكنة»⁽¹⁾، حيث يظهر جليا أن بجاية كانت تنتج السفن التي تستعمل لأغراض تجارية وحربية، وهذا ما يؤكد الغبريني عندما يتحدث عن السفن التي رآها بسواحل بجاية والتي أطلق عليها اسم أجفان⁽²⁾.

- صناعة النسيج والملابس :

اختصت بجاية بتهيئة وتحضير الصوف الجاهز للنسيج، حيث أشار الغبريني إلى وجود سوق ببجاية مخصص لتحضير هذه المادة الأولية في تهيئة الملابس والأفرشة، وكان هذا السوق يعرف باسم سوق الصوافين⁽³⁾، حيث كانت هذه البضاعة تصدر إلى أوروبا⁽⁴⁾، أما الملابس فقد عرفت بجاية صناعة البرانس التي كانت تتميز بالحسن والجودة، مما جعلها مطلوبة في السوق الخارجية⁽⁵⁾، كما عرفت بجاية صناعة العمائم المختلفة، والتي كان ثمن بعضها يصل إلى خمسمائة دينار، لاسيما الراقية منها، والتي تكون عادة مزركشة بألوان وأشكال مختلفة⁽⁶⁾.

- تهيئة الجلود وصناعة الفخار :

كان للثروة الحيوانية التي تمتعت بها بجاية ابتداءً من القرن السادس الهجري/12م الدور الكبير في إعداد الجلود ودباغتها، نظرا لتزايد طلبات التجار الأوروبيين عليها.

1- الإدريسي: المغرب العربي من نزهة المشتاق، ص116.

2- يطلق اسم الجفن، والمركب على السفينة التجارية، بينما يطلق اسم الحرابي والطرائد والأغربة والمحروقات على السفن الحربية. الغبريني: عنوان الدراية، ص77، بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص76.

3- الغبريني: عنوان الدراية، صص161، 177.

4- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص139.

5- إسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر، في عهد بني حماد، مجلة الأصالة، العدد(19)، السنة(4)، مارس، أبريل، 1974، ص340.

6- المرجع نفسه، ص341.

وكانت بجاية تصدر جميع أنواع الجلود، كجلود الأغنام والماعز، والبقر، والجمال، حيث تتميز هذه الجلود بجودة تحضيرها ودباغتها، خاصة إذا علمنا أن بجاية لها إمكانيات كبيرة خاصة بتحضير ودباغة الجلود، كمواد صناعة الدباغة التي تستخرج من قشور الأشجار، والتي كانت تسمى في أوروبا «قشور بجاية»، والتي كانت تصدر إلى العديد من المدن الإيطالية⁽¹⁾ كما اشتهرت بجاية بمواد صباغة الجلود، والتي كانت تستخرج من دودة القرمز، ومن نبات «النيلة الزرقاء»⁽²⁾.

أما صناعة الفخار والخزف، فقد عرفت رواجاً واسعاً، وكانت هذه الصناعة مقسمة إلى أقسام، منها المصنوعات العادية غير الملونة وغير المزخرفة، والتي كانت موجهة للاستعمال اليومي للأكل والشرب ومنها المصنوعات الفخارية ذات الجودة العادية، والتي كانت تنقش وتلون بألوان مختلفة كالأبيض والأخضر والأزرق⁽³⁾.

ج- التجارة:

ارتبطت التجارة ببجاية بعدة عوامل كان لها الأثر البالغ في ازدهارها، وأول هذه العوامل الشبكة المتعددة من الطرقات التي كانت تربط بجاية بأبرز وأهم المناطق التجارية، كالطريق الشرقي الساحلي الذي يربط بجاية بتونس، والإسكندرية، والذي يذكر الإدريسي، أنه يمر من بجاية إلى جيجل، القل، بونة، ومرسى الخرز، ثم ينتقل إلى تونس مروراً بالقيروان⁽⁴⁾.

كما كان لبجاية طريق غربي يربطها بالمغرب الأقصى، وطريقان جنوبيان مروراً بقسنطينة إلى الصحراء وغدامس، مروراً ببسكرة ووارجلان، حيث كانت القلعة محطة هامة في هذا الطريق⁽⁵⁾.

لقد ساهمت هذه الشبكة الكبيرة من الطرقات، في جعل بجاية منطقة لتجميع السلع من مختلف الأنواع، حيث كانت تتزود بالتمور من بسكرة

1- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 142.

2- المرجع نفسه، ص 142.

3- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 341.

4- الإدريسي: المصدر السابق، ص 126.

5- المصدر نفسه ص 118.

ووارجلان⁽¹⁾، وكانت تتزود ببعض المواد الأولية كالزفت والقطران لصناعة السفن والجص المستعمل في البناء⁽²⁾.

أما المبادلات التجارية مع تونس وطرابلس ، فتمثلت في بعض أنواع التمور والفسق والحناء⁽³⁾.

وازدهرت التجارة بين بجاية وبلاد السودان، حيث تمثلت في مبادلة الملح بالذهب ، فالملاح كان يمثل هاجسا لبلاد السودان ، لأنها بحاجة ماسة إليه، حيث كانوا يبادلونه بالذهب مع تجار بجاية⁽⁴⁾.

كما استطاع تجار بجاية أن يحولوا بعض السلع المطلوبة ببلاد السودان، كالأقمشة ، والملابس ، والخيول ، وفي المقابل كانوا يبادلونها بالعبيد، حيث كانت تجارة العبيد تجارة مربحة، فكانت تعتمد أساسا على مبادلة الخيول بالعبيد ثم يوجهون الى بجاية أين يلتقون بالتجار الأوروبيين⁽⁵⁾، حيث تتم مبادلة العبيد، بالسلع الأوروبية، بسوق باب البحر المخصص لهذا الغرض.

د- العملة :

بدأ ضرب العملة في بجاية مع فترة الأمير الحمادي المنصور بن علناس (481-498هـ/1088-1104م) حيث أورد ذلك ابن خلدون في مقدمته بقوله: «وأما صنهاجة فلم يتخذوا سكة إلا في آخر الأمر اتخذها المنصور صاحب بجاية»⁽⁶⁾، ويبدو أن هذه العملة التي كانت مستعملة ببجاية أيام الحماديين كانت عملة فاطمية، أي أنهم واصلوا التداول بالعملة الفاطمية أبا مع خلفائهم العبيديين⁽⁷⁾.

1- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 179.

2- الإدريسي: المغرب العربي من نزهة المشتاق، ص 116

3- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 182.

4- بعيزيق: المرجع السابق، ص 189.

5- عطا الله دهينة: العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الصحراء من القرن 06 إلى القرن 08هـ، ودور تلمسان في هذا الميدان، مجلة الأصالة، العدد (26)، السنة (04)، جويلية، أوت/1975، ص 99.

6- ابن خلدون، المقدمة، ص 262.

7- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 257.

وعرفت بجاية العملة بشكل واسع في العهد الحفصي، حيث اهتم الخلفاء والأمراء الحفصيون بضرب العملة.

وكان الدينار الذهبي هو الوحدة النقدية المتداولة ببجاية في العهد الحفصي، فضربت منه 18 قطعة ببجاية، وقسم الحفصيون الدينار الحفصي الى ثلاثة أجزاء: نصف الدينار وربع الدينار وثمان الدينار⁽¹⁾.

ويؤكد صالح بعيزيق على أن الدينار الحفصي كان يعادل الدينار الموحد الذي أنشأه الخليفة الموحد يعقوب المنصور (580- 590هـ / 1184- 1194م) أي بمقدار 4.72 غرام، وهو ما يقابل 80 حبة من القمح⁽²⁾، وبقي الدينار الحفصي على هذه القيمة الى غاية النصف الثاني من القرن السابع الهجري/13م، حيث أدخلت عليه إصلاحات للرفع من قيمته فقام الحفصيون بسك دينار جديد له قيمة مرتفعة مقارنة بالدينار القديم، ولكنه فقد خمس قيمته بسبب ارتفاع مزيجه⁽³⁾.

وحافظت العملة الحفصية على نفس شكل العملة الموحدية في أغلب الفترات، وذلك وفاءً للمذهب الموحد، حيث كانت النصوص تكتب كما يلي: **بسملة** (بسم الله الرحمن الرحيم)، كلمة التوحيد بصيغ مختلفة مثل، لا إله إلا الله، أو الواحد الله، أو لا إله إلا الله الأمر كله لله، لا قوة إلا بالله أو الله ربنا، الصلاة على محمد رسول الله، والتذكير بأن محمداً رسول الله، الاعتراف بإمامة المهدي بن تومرت، ذكر اسم السلطان أو الأمير الحفصي، ذكر المدينة أحياناً⁽⁴⁾.

وقد اختلفت العملة ببجاية عن عملة العاصمة تونس، حيث سجل الأمير أبو زكرياء بن أبي إسحاق اسمه على العملة عندما حكم ببجاية من 684هـ / 1284م إلى 700هـ / 1295م، حيث كانت العملة في عهده يكتب عليها:

1- الوجه: الوسط: الشكر لله، والمنة لله، والحوال والقوة بالله، ببجاية.
الطوق: الأمير المنتخب لإحياء دين الله أبو زكرياء بن الأمراء الراشدين.

1- المرجع السابق، ص 262.

2- بعيزيق: المرجع السابق، ص 262.

3- برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج 02، ص 74.

4- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 266.

2-الظهر: الوسط:الواحد الله ،محمد رسول الله،المهدي خليفة الله.
الطوق: بسم الله الرحمن الرحيم ،صلى الله على سيدنا محمد،
والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم⁽¹⁾.

04-الأوضاع الاجتماعية بجاية :

المجتمع البجائي: الأصول وعناصر السكان

عرفت بجاية نموا ديمغرافيا كبيرا ناتجا لعدة عوامل مختلفة ، حيث تحولت بجاية من قرية الى عاصمة ، فقد كان للهجرة نحو بجاية ، دورا بارزا في تعمير المدينة ، كذلك رغبة السلاطين وأمراء بجاية في جعلها مدينة كبيرة تنافس عواصم وحواضر المنطقة، الأثر الكبير في تدعيم مكانة بجاية .
وقد كان المجتمع البجائي في القرن السابع الهجري/13م مقسما الى قسمين ، الخاصة، وهم أصحاب السلطة ، والعلماء ، وأصحاب الثروة(التجار)،والعامه ، أوفقدوا الجاه ، وهم الفقراء والعبيد.

01.الخاصة:

أ . أصحاب السلطة: وتتكون هذه الفئة من العائلة الأميرية الحفصية ، التي تستمد نفوذها من شرعية الملك ، حيث تمتعت هذه الفئة بنفوذ اجتماعي كبير، وبثروة طائلة،إضافة الى القصور والبساتين، وقوافل التجارة التي كانوا يتحكمون فيها في أكثر الأحيان⁽²⁾.

وكان نمط عيش هذه الفئة نموذجا لنفوذها وسلطتها، حيث تميزت بالترف، والتأنق في الملابس والمطاعم والأنيه والفرش، وبناء القصور وغراسه الحدائق والبساتين⁽³⁾.

ويلحق بهذه الفئة أصحاب المناصب العليا في السلطة ، والذين عادة ما يخدمون السلطة الحاكمة ، كشيوخ الموحدين مثلا الذين كانوا يمثلون صفا سياسيا ، وطبقة لها مكانتها الخاصة ، حيث كانوا يكلفون بأسمى الخطط كالولاية والحجابه⁽⁴⁾.

1- المرجع السابق، ص 267.

2- بعيزيق بجاية في العهد الحفصي،ص395.

3- ابن خلدون :المقدمة، ص 168.

4- الزركشي :تاريخ الدولتين الموحديه والحفصية، ص17.

ب . العلماء :

احتل العلماء مكانة مرموقة في المجتمع البجائي فإلى جانب رصيدهم العلمي ظهرت من هذه الفئة مجموعات تقلدت مناصب سامية وخططا رفيعة إدارية وحكومية كالقضاء⁽¹⁾، ومن ابرز الذين تولوا هذه الوظيفة، أبو العباس أحمد بن الغماز الأنصاري (ت693هـ/1293م) الذي تقلد قضاء بجاية في عهد المستنصر، وإقامة صلاة الفريضة بالجامع الأعظم ببجاية⁽²⁾.

كما تقلد علماء بجاية خطة الإمامة بنوعها: إمامة صلاة الفريضة وإمامة الخطبة التي كانت ترفع شأن صاحبها لأعلى المراتب، وقد ترجم لنا الغبريني للعديد من الفقهاء الذين تولوا هذه الخطة كأبي بكر بن سيد الناس (ت659هـ/1260م) الذي تولى إمامة الجامع الأعظم ببجاية⁽³⁾.

كما كان العدول يحظون بمكانة هامة في المجتمع البجائي، حتى وإن كانت هذه الخطة أقل شأنًا من القضاء، حيث استمدوا مكانتهم من حساسية المنصب الذي كان يعتمد على العدول والثقة مع العلم، وإجادة الكتابة الشرعية⁽⁴⁾، حيث جعل هذا الجانب الشرعي لخطة العدالة قيمة معتبرة للعدل، فأصبحت خطة معتمدة للتوثيق في أعلى مستويات الدولة⁽⁵⁾.

كما كان للصوفية مكانة معتبرة في المجتمع البجائي إذ ورغم ابتعادهم عن المناصب وزهدهم فيها، إلا أن أمراء بجاية لم يستطيعوا الاستغناء عنهم، خاصة في الملمات، وأيام المحن فكان الأمراء يلجؤون إليهم للأخذ بأرائهم ونصائحهم⁽⁶⁾.

1- يعتبر القضاء من اجل وابرز الخطط الدينية وكان القاضي يعين من طرف الأمير، حيث يرجع إليه أي القاضي -في قضايا الأنكحة، والأحكام وعدول الشهود والتوثيق، بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 421.

2- الغبريني عنوان الدراية، ص 129.

3- المصدر نفسه، ص 247.

4- نفسه، 262.

5- بعيزيق: المرجع السابق، ص 424.

6- الغبريني: عنوان الداراية، ص 116.

ج- التجار:

كان للتجار مكانة مرموقة في المجتمع البجائي، فهم استطاعوا أن يكونوا من ضمن الخاصة، وذلك بسبب نفوذهم المالي، فقد وصل ببعضهم أن يكلف بمهام ذات طابع دبلوماسي⁽¹⁾.

ويبدو أن النفوذ المالي والقوة الاقتصادية لهؤلاء التجار هو السبب في تقريب الأمراء والسلاطين لهم، وفي جعل السلطة تعترف بهم كقوة اجتماعية عليا في المجتمع البجائي، كما أن ترابط المصالح بين السلطة وهؤلاء التجار، جعل هناك نوعا من التعايش المشترك⁽²⁾ حيث كانت السلطة تحميهم بإبرام معاهدات التجارة وفق مصالحهم، بل وتتدخل لصالحهم إذا اقتضى الأمر⁽³⁾.

02. العامة:

أ- الفئات الدنيا ذات المهن المتواضعة (الخشيسة):

كان ببجاية عدد من المهن والحرف والتي رغم أن الوضع المادي لأصحابها كان مريحا، إلا أنها صنفت من ضمن المهن الخسيسة، وأصحابها من الفئات الفاقدة للجاه، ورغم الربح المادي لبعض هذه المهن إلا أن تصنيفها جاء في أسفل الترتيب لعدة اعتبارات منها ما يتعلق بالمهنة في حد ذاتها إذ أن أغلب أصحاب هذه المهن يباشرون النجاسات بأثوابهم كالقصاب، والسماك والنحاس، وعامل النظافة، والحجّام والدباغ⁽⁴⁾.

أما الصرافة، فقد كانت مرتبطة بالحياة الاقتصادية و المعاملات التجارية، ببجاية كانت دارا لضرب السكة، ومنطقة مهمة للتبادل التجاري، وتصنيف هذه المهنة ضمن المهن الخسيسة، جاء اعتبارا دينيا وأخلاقيا، لأن الصيارفة يتعاملون بالرباء في أغلب الأحوال⁽⁵⁾.

1- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 437.

2- المرجع نفسه، ص 438.

3- نفسه، ص 438.

4- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 444.

5- بعيزيق: المرجع نفسه، ص 443.

وكانت النخاسة منتشرة بكثرة في بجاية في القرن السابع الهجري/13م، حتى أن الغبريني ذكر أن هذه المهنة «النجسة»، كان موقعها بعيدا عن المراكز الحيوية بالمدينة، وخاصة الجامع الأعظم الذي لا يمكن أن تكون هذه المهنة تمارس بمحيطه، حيث كانت مهنة النخاسة تمارس خارج السور، وبالضبط ب: «سوق الأسرى»، الواقع «بحومة المذبح»⁽¹⁾، فالشرع لا يرضى بما يقوم به النخاسون من تجاوزات في حق الأسرى والعبيد من التصرف في الأنساب، والأموال حيث كانوا يغالون في فدائهم.

ب - العبيد:

نشطت تجارة العبيد ببجاية، حيث كان عددهم هاما بل كان لبجاية سوقا مخصصا لبيع هذه الفئة⁽²⁾، وبالرغم من أن هذه الفئة قد تميزت بمعاملة خاصة في أكثر الأحيان حيث يذكر الغبريني في عدة مواضع من كتاب «العنوان» أن فئة العبيد والأسرى كانوا يعاملون معاملة طيبة، خاصة من طرف العلماء والصوفية، كالفقيه الصوفي، أبي زكرياء المرجاني الموصلي (ت في القرن 07هـ/13م) الذي كان يقدم يد المساعدة لهذه الفئة، ويعاملهم معاملة إنسانية، حيث اعتق إحدى السوداوات كانت تغسل الثياب، بعد أن اشترط عليها أن تقوم بغسل ثياب الفقراء⁽³⁾.

كما كانت لبعض النساء من هذه الفئة - العبيد - أن ترتقي الى حالة أفضل إذا تزوجت من مالكةا، فتسمى آنذاك أم ولد، ولنا في أبي الحسن الحرالي (ت 638هـ/1240م) مثلا واضحا، لذلك يقول عنه الغبريني: وكانت له جارية هي أم ولده تسمى كريمة، وكانت سيئة الخلق حيث أصبحت قادرة أن تغضب وتتهر وترفض⁽⁴⁾.

1- الغبريني: عنوان الداربية، ص 76.

2- الغبريني: المصدر نفسه، ص 77.

3- الغبريني: عنوان الداربية، ص 165.

4- الغبريني: المرجع نفسه، ص 165.

05-تعداد سكان بجاية :

إن تعداد سكان بجاية في القرن السابع الهجري/13م لمن الصعوبة بمكان، وذلك لقلّة المصادر الأساسية التي عالجت هذا الموضوع، إضافة إلى عدم دقتها إلا أننا رغم ذلك سنحاول التطرق إلى هذه المسألة بالنسبة لبجاية.

ودراسة تعداد سكان بجاية سيقودنا إلى اعتماد طريقتين: الأولى انطلاقاً من بعض المصادر التي تكلمت عن هذا الموضوع، ولو بشكل عابر والثاني اعتماداً على المساحة داخل سور بجاية الحمادي، ومتابعة تطور المجال العمراني.

يذكر ليون الإفريقي في كتابه «وصف إفريقيا» بجاية في بداية القرن 10هـ/16م، خلال الاحتلال الإسباني حوالي سنة 921هـ/1515م، فيقول «بجاية تحيط بها أسوار عالية متينة، وتناهز كوانينها ثمانية آلاف، أقصد في القسم المسكون منها، إذ لو امتلأت دوراً لفاق عدد كوانينها أربعة وعشرين ألفاً»⁽¹⁾.

وأعاد مار مول كربخال الرقميين السابقين، حيث استعمل رقم 8000، ليبين بأن أهالي بجاية، كانوا يلجؤون إلى الجبال فراراً من الإسبان، ليعود ليؤكد بان بجاية أيام ازدهارها كانت تحتوي على 20000 دار مسكونة⁽²⁾.

لقد كانت بجاية كما يذكر الغبريني في عدة مواضع من كتابه العنوان، مدينة يكثر بها التجار والأثرياء والفقهاء، أي أنها تحوي شرائح اجتماعية هامة⁽³⁾ كما أنها كانت مدينة إسلامية متوسطة، لها خصوصيات المجتمع

1-الوزان: حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقية، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1982، ص50.

2-إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ج02، 1989 ص ص 376، 377.

3- الغبريني، عنوان الداربية ص ص 218، 161، 74.

الإسلامي، الذي يتميز عموماً بالزواج المبكر، وتعدد الزوجات والرغبة في كثرة الإنجاب الذي يرفع من شأن المرأة⁽¹⁾.

فكل هذه الخصائص قد ترفع من معدل الأسرة البجائية والتي تتكون عادة من الأب والزوجة أو زوجاته، والأبناء والتي قدرها بعيزيق بحوالي 7.5 أفراد لكل أسرة⁽²⁾.

فاعتماداً على الأرقام التي قدرها مارمول، وليون الإفريقي، يمكن أن نتوصل إلى عدد افتراضي وتقريبي لسكان بجاية فرقم 20.000 أسرة التي ذكرها مارمول أيام ازدهارها في العهد الحفصي والتي كانت ما بين القرن السابع والثامن الهجريين 14/13م، فسيعطينا هذا الرقم عندما نستعمل الضارب 7.5 (20.000 أسرة \times 7.5 = 150.000 نسمة).

والإحصائيات التي قدمها ليون الإفريقي، والتي تراوحت بين أربعة وعشرين ألف كانون، أي (24000 أسرة) لو كانت بجاية مملوءة، و8000 أسرة في القسم المسكون منها، فستعطينا هذه الإحصائيات إذا ضربناها في الضارب (معدل الأسرة 7.5) الأرقام التالية:

$$180.000 = 7.5 \times 24000 \text{ ساكن.}$$

$$60.000 = 7.5 \times 8000 \text{ ساكن.}$$

أما الطريقة الثانية والتي تحاول تقديم عدد سكان بجاية انطلاقاً من المساحة داخل السور، اعتماداً على تطور المجال العمراني، فمساحة بجاية داخل السور الحمادي تقدر ب: 996.875م² أي 99.68 هكتار⁽³⁾.

وإذا استثنينا من المساحة الإجمالية المساحات الفارغة والتي تقدر عادة ب: 15% بالنسبة إلى مدن إفريقية في العصر الوسيط⁽⁴⁾، حيث تذهب هذه المساحات الفارغة في الأنهج والأزقة والمباني العامة ويؤكد بعيزيق بأن هذه

1- بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 108.

2- المرجع نفسه، ص 109

3- بعيزيق: المرجع السابق، ص 113.

4- بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 113.

الطريقة والتي اعتمدها «ألكسندر ليزين» في إحصائه لسكان تونس ومدن افريقية أخرى، لا يمكن أن تكون صحيحة بدرجة كبيرة لأن لكل مدينة خصائصها فبجاية مثلا تتعدد بها المباني الاقتصادية والحكومية واستنادا الى هذه الطريقة السابقة ستكون مساحات بجاية كالاتي :

01-المساحات الغير سكنية: 2م149531، أي حوالي 15 هكتارا داخل السور.

02-المساحة المغطاة بالمساكن: 2م847344، أي حوالي 85 هكتار، وإذا كان معدل مساحة المسكن الواحد هو: 2م165، فإن هذا المعدل سيعطينا 5135 مسكنا داخل السور الحمادي.

وإذا استعملنا الضارب السابق 7.5 فإننا سنحصل على: $7.5 \times 5135 = 38512$ ساكنا⁽¹⁾.

إلا أن الغبريني في عنوان الداربية يؤكد بأن بجاية قد تجاوز عمرانها السور الحمادي وذلك منذ العهد الموحيدي، حيث ذكر في عدة مواضع من كتابه بأن الناس كانوا ينزلون إلى «حومة المذبح» لشراء الأسرى⁽²⁾ كما ذكر الغبريني أن أهل بجاية كانوا يدفنون موتاهم خارج بجاية وبالضبط برابطة المتمني التي تقع خارج سور بجاية⁽³⁾، وهذه كلها دلالات على أن بجاية لم تعد كافية لاستيعاب عدد السكان.

يبقى أن نشير في الأخير إلى أن هذه الإحصائيات لعدد سكان بجاية تقريبية، حيث لا تعدو أن تكون هذه الدراسة محاولة لإحصاء عدد السكان، ورغم سكوت المصادر عن الحديث على التعداد السكاني ببجاية ، إلا أن هذه الأخيرة قد كانت بها كثافة سكانية معتبرة ، تتماشى مع تطور مجالها العمراني ، ونشاطها السياسي والاقتصادي.

1-جعيزيق: المرجع نفسه، ص 115.

2- الغبريني، عنوان الداربية، ص 76.

3- الغبريني، المصدر نفسه، ص 176.

الغبريني: حياته، وكتابه عنوان الدراية

01-الغبريني: حياته وعصره

أ- مولده ونشأته:

هو أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني⁽¹⁾ نسبة إلى بني غبرين ، أو بني "غبري" من القبائل البربرية في المغرب⁽²⁾.
ولد الغبريني ببجاية في تاريخ لم يضبطه أصحاب الطبقات ,أو من كتبوا سيرته الذاتية, ولم يحدده أحد من مترجميه سوى رابح بونار في تحقيقه للعنوان⁽³⁾, وعادل نويهض⁽⁴⁾, حيث ذكر أن الغبريني ولد سنة(644هـ/1246م).

أحاط الغموض بأسرة الغبريني, فلم تذكر المصادر المتداولة شيئا عن أصله ونسبه, بل كان هناك اختلاف حتى في اسم والده كما رأينا , إلا أن الغبريني عاش في بيئة علمية, توارثت العلم و نبغ منها عدد من الأعلام منهم : أبو النجم هلال بن يونس علي الغبريني(ت القرن07هـ/13م)⁽⁵⁾ , ومن أفراد أسرته نجد العالم :أبو القاسم أحمد بن أحمد الغبريني(ت بعد

1- اختلف في اسم والده فمنهم من يذكره أحمد بن محمد , ومنهم من يقول :أحمد بن أحمد, فمن الذين رجحوا الرأي الأول :ابن القنفذ القسنطيني :الوفيات, تحقيق عادل نويهض,ط3, دار الأفاق الجديدة, بيروت,1980م,ص338;النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا, ط, المكتب التجاري , بيروت, دت, ص132;الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف ,ط2, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1985, ص25, ومن الذين اختاروا الرأي الثاني وهو أحمد بن أحمد:محمد بن مخلوف:شجرة النور الزكية في طبقات المالكية,ط, دار الفكر, دمشق,دت,ص215;ابن فرحون:الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب,ط1, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة,2003,ج01, ص221;الزر كلبي: خير الدين, الأعلام, ط5, دار العلم للملايين, بيروت, 1980, ج01,ص10;عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر, ط2, مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف,بيروت,1983, ص248, و رابح بونار في مقدمة تحقيقه لكتاب العنوان ص:12.

2 - الغبريني:عنوان الدراية(مقدمة المحقق رابح بونار),ص23;الزر كلبي,الأعلام,ج01,ص90.

3- الغبريني: عنوان الدراية,ص04.

4- معجم أعلام الجزائر,ص248.

5- الغبريني: عنوان الدراية, ص23.

الفصل الأول

الغبريني: حياته، وكتابه عنوان الدراية

01- الغبريني: حياته وعصره

أ- مولده ونشأته

ب- ثقافته وشيوخه

ج- عصر الغبريني وبيئته

د- وظائفه

هـ- محنته ووفاته

02- عنوان الدراية: دراسة الكتاب

أ- التعريف بكتاب عنوان الدراية

ب- منهج الغبريني في كتابه عنوان الدراية

ج- مصادر كتاب عنوان الدراية

سنة 770هـ/1368م)⁽¹⁾ وابنه أحمد بن أحمد بن أحمد أبو سعيد الغبريني⁽²⁾ الذي كان بارعا في الفقه ومن أفراد قبيلته نجد أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني التونسي⁽³⁾، كان أبو العباس الغبريني شديدا حازما منذ صغره، مجتهدا في طلب العلم وتحصيله، يصفه ابن قنفذ القسنطيني "بالفقيه المحدث الجليل الشهير الفاضل"⁽⁴⁾.

ويقول عنه النباهي في المرقبة العليا: "كان في حكمه شديدا، مهيبا"⁽⁵⁾ ويصفه محمد بن مخلوف "بالعالم النحرير، والمؤلف الشهير، الفقيه المطلع الخبير"⁽⁶⁾.

- 1- الغبريني: المصدر السابق، ص23؛ القرافي: بدر الدين محمد، توشيح الديباج وحلوة الابتهاج، تحقيق علي عمر، ط01، مكتبة الثقافة، 2004، ص47؛ محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، دط، دار الفكر، بيروت، ج01، ص224.
- 2- الغبريني: المصدر نفسه، ص23؛ القرافي: توشيح الديباج وحلوة الابتهاج، ص47؛ محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص224.
- 3- الغبريني، المصدر نفسه، ص23؛ محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، ج01، ص243؛ التنبكتي: أحمد بابا، نيل الابتهاج و تطريز الديباج، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص104.
- 4- ابن قنفذ: الوفيات، ص339.
- 5- النباهي: المرقبة العليا، ص132.
- 6- محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص215.

ب- ثقافته وشيوخه:

أجمعت المصادر على الإشادة بالغبيري، فتحدثت عن اتساع علمه، وتنوع ثقافته، وإتقانه لمؤلفاته⁽¹⁾، وبدأ الغبريني تعليمه كعادة أهل المغرب⁽²⁾، بحفظ القرآن الكريم، حفظاً ورسمًا⁽³⁾، ودراسة مبادئ العلوم الشرعية والأدبية⁽⁴⁾.

وبعد أن تقدم الغبريني في تحصيله العلمي، بدأ يحضر الحلقات العلمية في العديد من المساجد، كالمسجد الأعظم ببجاية⁽⁵⁾، وجامع الزيتونة بتونس⁽⁶⁾.

ويذكر الغبريني أنه درس علوم الدراية، ويقصد بها : علم الفقه، وعلم الأصولين: أصول الدين، وأصول الفقه، وعلوم اللغة العربية، وعلم التصوف، وعلم المنطق⁽⁷⁾.

أما علوم الرواية⁽⁸⁾ فأراد بها علوم التفسير، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه، وعلوم اللغة العربية، والتصوف⁽⁹⁾، حيث كان الغبريني يمثل موسوعة علمية شاملة، فباطلالة على المؤلفات التي درسها الغبريني، نجده درس العديد من هذه المؤلفات في شتى المجالات الدينية، واللغوية، والصوفية، والفلسفية⁽¹⁰⁾.

وتلقى الغبريني معرفته العلمية عن طريق كوكبة كبيرة من الشيوخ والعلماء، ترجم لأغلبهم في كتابه عنوان الدراية، حيث كان جل هؤلاء فقهاء وأدباء وصوفية، وسأعرض سريعا لأهم شيوخه الذين نهل من علومهم :

1- انظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبدالمجيد التركي، بط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص31؛ النباهي: المرقبة العليا، ص132.

2- يقول ابن خلدون: "أما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله " المقدمة، بط، دار الجيل، بيروت، ص594.

3- الغبريني: عنوان الدراية، ص24.

4- المصدر نفسه، ص24.

5- نفسه، ص25.

6- المصدر نفسه، ص25.

7- المصدر نفسه، ص307.

8- علوم الدراية تعتمد على الاستنباط والنظر، أما علوم الرواية فتعتمد على الرواية والسماع.

9- الغبريني: عنوان الدراية، صص309، 323.

10- المصدر نفسه، صص307، 323.

1- الشيخ أبو محمد عبد العزيز القيسي (ت القرن 07هـ/13م):

قرأ عليه وحضر مجلسه, وسمع عليه موطأ الإمام مالك , ومختصر ابن أبي زيد القيرواني والمدونة⁽¹⁾.

2- الفقيه أبو العباس بن خالد (ت 660هـ/1261م):

قرأ عليه المستصفي للغزالي, والإرشاد وعلم المنطق⁽²⁾.

3- الشيخ أبو عبد الله التميمي (ت القرن 07هـ/13م):

قرأ عليه علوم اللغة العربية, وقال عنه " لازمته المدة الطويلة وما رأيت في علم العربية مثله , وانتفعت به ما لم أنتفع بغيره, وقرأت عليه النحو واللغة والأدب والتصريف"⁽³⁾.

4- الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع (ت القرن 07هـ/13م):

استفاد منه في البحث والتكرار, ويرجع إليه سنده في التصوف عن أبيه عن الشيخ أبي مدين شعيب⁽⁴⁾, كما درس عليه بعض علوم الرواية⁽⁵⁾.

5- الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد الصديقي (ت القرن 07هـ/13م):

استفاد منه وحدثه بكتاب "أحكام القرآن للطبري"⁽⁶⁾, كما استفاد منه في علم الحديث.

1- الغبريني: المصدر السابق ، ص 307-311.

2- ترجم له الغبريني في العنوان ص 100.

3- الغبريني :نفسه، ص 308.

4- الغبريني:المصدر نفسه، ص 309..

5- نفسه، ص 309.

6- نفسه، ص 310.

6- الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح الأنصاري (ت القرن 07هـ/13م).

تعلق به الغبريني كثيرا، وتلمذ على يديه ودرس عليه عدة علوم كالعلوم الشرعية واللغوية واستفاد منه خاصة في علم الحديث حيث أخذ عنه موطأ الإمام مالك⁽¹⁾.

7- الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن ميمون التميمي القلعي (ت القرن 07هـ/13م).

سمع عنه علوم اللغة العربية ، وحدثه بكتاب سيبويه وبكتاب الجمل للزجاجي، وكتاب ديوان الحماسة لأبي تمام⁽²⁾.

8- الشيخ الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد (ت القرن 07هـ/13م): سمع

عنه في التصوف، وحدثه بكتاب قوت القلوب لأبي طالب محمد بن علي المكي⁽³⁾.

لا شك في أن هؤلاء الأعلام ليسوا كل شيوخه ، وإنما هم عينة من علماء بجاية الذين درس عليهم واستفاد من علومهم.

ج - عصر الغبريني وبيئته:

كان للحياة السياسية والاجتماعية والفكرية أثر بارز في شخصية أبي العباس أحمد الغبريني، حيث استفاد من الأجواء العلمية، وعاشر بعض الملوك، وتولى بعض الوظائف، كما أسهم في الحركة العلمية و الثقافية في بجاية، إحدى حواضر المغرب الأوسط آنذاك⁽⁴⁾.

وإن عرض أبرز ملامح عصره السياسية، والثقافية ليساعد على استجلاء ملامح شخصيته، واكتشاف جوانب نبوغه، ونشاطه العلمي والمعرفي .

1- الغبريني: المصدر السابق، ص 311.

2- نفسه، ص 319.

3- نفسه، ص 321.

4- كانت بجاية تمثل حاضرة من الحواضر العلمية والثقافية في القرن السابع، إلى جانب تلمسان وقسنطينة.

وفي عهد مترجمنا كانت بجاية تابعة لحكم الحفصيين في تونس⁽¹⁾، ولم تعرف هذه الدولة الاستقرار والأمن إلا في فترات متقطعة، فقد كان الحفصيون في صراع داخلي في أغلب الفترات، تجلى في حالة عدم الاستقرار في تونس و بجاية ، إضافة إلى الثورات العديدة التي قام بها العديد من الثائرين، والتي أثرت بشكل أو بآخر على استقرار الأوضاع في تونس و بجاية .

عقد أبو زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد لابنه أبي يحيى زكرياء على ثغر بجاية⁽²⁾، ولما شاهد فيه من صفات العلم والعدل والشجاعة ، ولاه عهده سنة (638هـ/1240م)، إلا أنه توفي سنة (646هـ/1248م).

وفي سنة (647هـ / 1249م) خرج السلطان أبو زكرياء(626-647هـ/1229-1249م) من تونس ، إلى جهة قسنطينة⁽³⁾ للإشراف على أحوالها، فأصابه المرض، فسار إلى عنابة، فوفاه الأجل ليلة الجمعة 28 جمادى الثانية (647هـ / 1249م)⁽⁴⁾ وله من العمر 49 سنة ، حيث دفن ببونة⁽⁵⁾، ولما

1- بالرغم من كون بجاية كانت تتبع حكم الحفصيين سياسيا، إلا أنها كانت تتمتع بنوع من الاستقلال، حيث كان لها النظر في سائر أعمالها من الجزائر قسنطينة وبونة والزاب، ابن أبي الضياف، أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ج1، ص01، ص199.

2- نفسه، ج1، ص199؛ يعتبر أبو زكرياء يحيى الحفصي الهنتائي(625-647هـ/1228-1249م) المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية سنة 625هـ/1228م، وتمكن من الاستيلاء على مدينة قسنطينة ثم بجاية سنة 628/1231م. عبد العزيز فيلالي: جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سيرتا، السنة(6) ، العدد (10) ، أبريل ، 1988، ص66.

3- نفسه، ج1، ص203.

4- ابن خلدون: العبر، ج6، ص280؛ المراكشي: ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين -، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص391؛ ابن خلدون: عبد الرحمن: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ، ط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951، ص11.

5- ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان، ج1، ص203 ، كان أبو زكرياء من العلماء الصالحين قرأ على الشيخ الرغيني كتاب المستصفي للغزالي، وكان متواضعا في ملبسه ومركبه، متقشفا عادلا مشاركا في العلم للعلماء، كثير الأدب واللغة في طبقات الشعراء أخذ البيعة العامة يوم الأربعاء آخر رجب سنة (625هـ / 1228م)، وأقبل على حرب ابن غانية حتى شرده وشتت جموعه، وفي سنة (635هـ/1237م) أنته ببيعة زيان بن مردنيش صاحب شاطبه بالأندلس . وفي سنة (639هـ/1241م) زحف على تلمسان بأربعة وستين ألف فارس فأخذها عنوة . وفي سنة(640هـ/1242م) أنته ببيعة سبته وبيعة ألمرية ، وفي سنة (643هـ/1245م) أنته ببيعة اشبيلية وغرناطة . أنظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، ص392؛ ابن أبي الضياف: إتحاف أهل -

توفي الأمير أبو زكرياء قام بالأمر ابنه أبو عبد الله المستنصر (647-675هـ/1249-1277م)⁽¹⁾، واستوزر محمد بن أبي مهدي الهنتاتي⁽²⁾، وتولى بعده ولده أبو زكرياء يحيى الوائلي بن المستنصر (675-678هـ/1277-1279م)⁽³⁾ وولى أخاه إدريس بن عبد الملك ببجاية، وفي هذه الفترة بدأت الفتن تشتد في بجاية⁽⁴⁾.

وكتب أبو عبد الله محمد بن أبي هلال و جنود بجاية إلى الأمير أبي إسحاق (678-681هـ/1279-1283م)، وهو بتلمسان، ووجهوا إليه ببيعتهم، فقدم إلى بجاية، ودخلها آخر يوم من ذي القعدة⁽⁵⁾، وفي صفر من عام (678هـ/1279م)، تحرك الأمير أبو إسحاق من بجاية، بعد أن ملكها، ووقف على قسنطينة، فلم يفتح له قائدها حينئذ، فحاصرها أبو إسحاق وقتلها مدة، ثم رحل عنها متجها إلى تونس⁽⁶⁾ وبإيعه أخوه الأمير أبو حفص، ولما بلغ الخبر إلى ابن أخيه الوائلي بن المستنصر أيقن أن الأمر قد زال من يده فانخلع لعمه⁽⁷⁾.

وعندما استقام الأمر لأبي إسحاق في تونس، عين ولده الأمير أبو فارس على بجاية، وشهدت هذه الفترة فوضى عارمة، حيث قام أبو فارس بإخراج

الزمان، ج1، ص198؛ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص62؛ عبد الحميد حاجبيات: عنابة في عهد الحفصيين، مجلة الأصالة، السنة(5)، عدد (35/34)، يونيو/يوليو، 1976، ص76.

1- بويع البيعة الخاصة بعنابة، وتولى أخذ البيعة له عمه أبو عبد الله المعروف باللحياني، بويع البيعة العامة بتونس، أوائل رجب من سنة (647هـ/1249م) ولقب بالمستنصر بالله وجاءته البيعة من مختلف الجهات، منها بيعة أهل مكة من صاحبها الشريف العلوي سنة(659هـ/1261م) وذلك عند استيلاء التتر على بغداد وتراجع الخلافة العباسية.

2- ابن خلدون: العبر، ج6، ص06، 281؛ المطوي محمد العروسي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، بطنطدار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص176.

3- بويع ليلة وفاة أبيه، ومن الغد أخذ البيعة العامة ووجه همته لرفع المظالم، واستوزر أبا الحسن يحيى بن عبد الملك العاقفي. ابن القنفذ: الفارسية، ص136.

4- أذل إدريس أهل بجاية وأساء العشرة مع أهلها وأراد أن يأخذ أبو عبد الله الهنتاتي، فلما سمع هذا الأخير بالمكيدة دخل مع جماعة من أهل بجاية على إدريس بن عبد الملك فقتلوه، وذلك في ذي القعدة من سنة(677هـ/1278م) ابن القنفذ: الفارسية، ص136.

5- وقيل يوم الأضحى من سنة (677هـ/1278م) المصدر السابق، ص138.

6- نفسه، ص138.

7- ابن خلدون: العبر، ج1، ص298.

عبد العزيز بن داوود من قسطنطينة⁽¹⁾ وولى عليها أبا بكر بن موسى المعروف بابن الوزير البزازي⁽²⁾.

وفي سنة (679هـ / 1280م) أمر أبو فارس بقتل أبي عبد الله بن أبي هلال عياد الهنتاتي القائم بببيعة بجاية⁽³⁾.

وفي شعبان من هذه السنة (679هـ / 1280م) ثار عليه قائد قسطنطينة أبو بكر بن موسى الكومي، المعروف بابن الوزير⁽⁴⁾ وعاث في البلاد ظلما وقتلا وكتب إلى النصارى يطلب منهم مساعدته، في حركته ضد السلطان، وذلك بإرسال جيش وأسطول لحماية ثغور ولايته، فنزل الأسطول الأروغوني في مدينة القل، ولكنه لم يحتل مدينة قسطنطينة⁽⁵⁾.

وفي سنة (681هـ / 1282م) زحف أبو فارس من بجاية متجها نحو قسطنطينة بجيش من العرب وحاصرها وتمكن من تصور صور المدينة من بعض جهاته مفاجئين التأثيرين وأعوانهم من الجند المسيحيين⁽⁶⁾ مما عجل بالنصر واسترجاع المدينة وأمر أبو فارس بقتل الثائر أبي بكر وأخيه عمران⁽⁷⁾.

وفي سنة (681هـ / 1282م) ظهر رجل ادعى انه الفضل بن يحيى الواثق⁽⁸⁾ فخرج له أبو إسحاق من تونس بجيش كبير، ونزل هذا الأخير بقسطنطينة، إلا أن صاحبها أبو محمد عبد الله أغلقها في وجهه خائفا ممن وراءه، مما عجل برحيل أبي إسحاق إلى بجاية أين لقيه ولده أبو فارس، حيث خلع أبو إسحاق نفسه وباع ابنه⁽⁹⁾.

1- ابن القنفذ: الفارسية، ص 138.

2- المصدر نفسه، ص 138.

3- المصدر نفسه، ص 139.

4- نفسه، ص 139.

5- ابن القنفذ: الفارسية، ص 139، مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبنو مرين، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 26.

6- مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص 26.

7- ضفر الأمير أبو فارس بالثائر أبي بكر وأخيه وضرب عنقه يوم الجمعة 8 ربيع الأول 681هـ / 1282م ورفع رأسيهما وبعث بهما إلى تونس. ابن القنفذ: الفارسية: ص 140.

8- المصدر نفسه، ص 141.

9- ابن أبي الضياف: إتخاف أهل الزمان، ج 1، ص 211.

تلقب أبو فارس (679-682هـ/1280-1283م) بالمعتمد، وقام بتجيش الجيوش، وخرج للقاء الدعي، وترك والده بجاية، إلا أنه انهزم أمام الدعي لخيانة جيشه له، فأخذ وقتل⁽¹⁾، واضطربت بجاية اضطراباً كبيراً لما وصلها خبر انهزام أبي فارس⁽²⁾ حيث اجتمع الناس بالجامع، أما أبا إسحاق فقد فر منها مع ابنه أبي زكريا فخرج بعض أهل بجاية في طلبه حيث أدركوه ببني غبرين فأخذ، أما ابنه أبو زكريا فقد نجا وفر إلى تلمسان وألقي الأمير أبو إسحاق في الدار حتى أرسل الدعي بقتله، حيث قتل في 19 من شهر ربيع الأول من عام (682هـ/1283م)⁽³⁾.

أما أبا زكريا فقد استولى على الثغور الغربية، واقتطعها من أعمال الحضرة، وعهد لابنه أبي البقاء خالد سنة (698هـ/1298م)، وعقد له على قسنطينة⁽⁴⁾، ولما هلك الأمير أبو زكريا، جمع الحاجب أبو القاسم بن أبي مشيخة الموحدية وطبقات الجند وأخذ بيعتهم للأمير أبي البقاء⁽⁵⁾، ثم بويع البيعة العامة سنة (700هـ/1300م)⁽⁶⁾.

إن هذه الأحداث السياسية التي عايشها الغبريني، أو التي عايش جيلها، و كانت تفتت في ساعد الدولة الحفصية، حيث لم تجني بجاية من هذه الأحداث سوى الفوضى واشتعال الفتن الداخلية، فقد كانت الكثير من الجهود تصرف في إخماد الثورات أو حشد الجيوش والاستعداد للحرب.

أما نتائج هذه الأحداث على الغبريني، فقد كانت باهظة الثمن، حيث زج به في الصراع بين طرفي المملكة الحفصية بتونس وبجاية، وهذا مأسراه في الفتنة التي تعرض لها وأدت إلى مقتله سنة (704هـ/1304م).

1- ابن القنفذ: الفارسية، ص 143.

2- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 304.

3- محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية، ص 249.

4- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 304.

5- بويع الأمير أبو البقاء خالد بعد وفاة والده أبي زكرياء وقد بويع وهو صبي، ودامت ولايته سنة وتسعة أشهر وذلك لأن الأعراب من بني كعب تغلبوا عليه وبايعوا أبا العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة، لما علموا من كفايته وعدله، لكن أبا البقاء سرعان ما استرجع الجريد وقابس وجربة وأدخل طرابلس والزاب في طاعته واسترجع سلطانه، توفي في شعبان سنة (796هـ/1393م)، وكانت له العديد من المآثر والإنجازات. محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص 148.

6- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 315.

أما الحركة العلمية والثقافية في عصر الغبريني فإنها لم تتأثر كثيرا بالأوضاع التي أشرنا إليها بل شهدت نشاطا ودفعاً ملحوظاً، حيث كانت الحياة العلمية والأدبية مزدهرة في بجاية⁽¹⁾، وكانت هذه الأخيرة مقراً لعدد كبير من علماء الفقه، والتصوف والأدب وعلوم اللغة.

وكانت بجاية قد عرفت المجالس العلمية في وقت مبكر حيث كانت هذه المجالس تعقد في مختلف العلوم والفنون وقد نشأ الغبريني في هذا الجو العلمي، مما أتاح له أن يبدأ حياته العلمية مبكراً فقد أشار إلى سماعه لكوكبة من العلماء ترجم لأغلبهم في عنوان الدراية.

كما شهدت حركة التدريس والتأليف في عصر الغبريني، نشاطاً ودفعاً قويين، زادها ازدهاراً تشجيع الأمراء والسلاطين للعلم والعلماء، فأنت هذه الحركة بثمار طيبة، وحققت نجاحاً كبيراً، حيث كان أغلب أمراء وحكام بجاية يكرمون العلماء، ويجلونهم، ويخصصون لهم العطايا والهدايا، ويزورونهم في بعض الأوقات، بل يشاورونهم في بعض أمور السياسة والحكم.

كما كانت حلقات العلم تعقد في مساجد بجاية ومدارسها، بين العلماء وطلبتهم، وهذا ما أكده الغبريني في أكثر من موضع في كتابه << عنوان الدراية >>، حيث حققت هذه الحلقات، وهذه الدروس نجاحاً وإزدهاراً، ساهم في الرقي بالحركة العلمية والفكرية ببجاية.

وساهمت الرحلة العلمية في خلق جو من التنافس العلمي بين العلماء بمختلف تياراتهم واتجاهاتهم، حيث مدوا جسور الاتصال العلمي والمعرفي، بين مختلف بلدان العالم الإسلامي، وقد تمثلت هذه الجسور في تبادل الآراء الفقهية واللغوية⁽²⁾، وتداول الكتب والمؤلفات، وتبادل الإجازات العلمية، والاستكثار من الشيوخ، حيث يسعى كل طالب في لقاء الكثير من العلماء، للأخذ عنهم، والاستفادة منهم، فكانت

1- تقدمت الحركة العلمية والفكرية في القرنين السادس والسابع في العديد من الحواضر ولم تقتصر على بجاية حيث شهدت الكثير من مدن المغرب الأوسط إشعاعاً علمياً وفكرياً كتلمسان ومليانة وقسنطينة، يقول العلامة سيدي محمود بن محمد بن المظماطية القسنطيني في مخطوطه "سفينة السكينة بترجم كبراء التجانيين بقسنطينة" أن قسنطينة كان فيها ما ينيف على المائتين والخمسين من رجال العلم والصلاح منذ القرن السادس الهجري. سفينة السكينة، مخطوط، ورقة 01.

² - فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ط01، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ج02، ص 315.

الحواجز السياسية تذوب منهم وتختفي أمام الرغبة الجامحة في التحصيل العلمي والحرص على ملاقات العلماء⁽¹⁾.

وكانت فرص أداء مناسك الحج، تتيح لعلماء بجاية، وطلبته، فرصة اللقاء العلمي، والتلاقح الفكري والحوار العلمي المثمر، ودعم الروابط العلمية، والثقافية بين علماء المغرب والأندلس، وعلماء المشرق، فكان لبجاية نصيبها بحكم موقعها في طريق أهل الغرب والأندلس، عندما يقصدون الحج أو يرجعون منه⁽²⁾.

وازدهرت مجالس التعليم بمساجد وزوايا ومدارس بجاية زمن الغبريني، أي القرن السابع الهجري/13م، حيث كان الأمراء يستدعون العلماء والفقهاء إلى هذه المدارس، للتدريس فيها كأبي مدين شعيب (ت594هـ/1197م)⁽³⁾، والفقهاء أبي زكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ/1215م)، وأبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي (ت622هـ/1263م)، ويوكلون إليهم المناصب الإدارية، والخطط الشرعية المختلفة، كالأديب الأندلسي أبي عبد الله محمد بن الأبار (ت658هـ/1259م)، الذي استدعاه المستنصر بالله لحاضرة تونس لتولي خطة الكتابة⁽⁴⁾.

وكان الفقه إلى جانب العلوم الشرعية الأخرى أهم العلوم التي عرفت بها بجاية خلال القرن السابع الهجري/13م، فمن العلماء من كان يحفظ المدونة، ومنهم من كان مهتماً بالمذهب المالكي والإحاطة بتفريعاته المختلفة، كما شهدت دراسة الفقه تطوراً كبيراً بفضل الطرق والأساليب الحديثة التي أدخلها بعض علماء بجاية، كابن زيتون، والمشذالي، والتي كانت تعتمد على كثرة البحث، وإثارة وجوه الخلاف، والتقليل من الاعتماد على الطرق القديمة التي تعتمد على النقل والحفظ⁽⁵⁾.

وتطورت علوم اللغة العربية، والأدب في هذا العهد، حيث كان الاهتمام منصباً على علوم اللغة كالنحو، والبلاغة، وكذلك الأدب بنوعيه النثر، الشعر، فخلف هؤلاء العلماء والأدباء إنتاجاً أدبياً وافراً من خلال الرسائل الأدبية، والسلطانية، وازدهر الشعر بحاضرة بجاية، وتعددت أغراضه، فظهر شعر الزهد، والمدائح النبوية، وشعر التوسلات، وشعر التصوف، وكان التصوف محل اهتمام علماء

1 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 74.

2 - الغبريني: المصدر نفسه، ص 101 وما بعدها.

3 - ترجم له الغبريني في عنوان الدراية، ص 55.

4 - الغبريني: المصدر نفسه، ص 257.

5 - ابن خلدون، المقدمة، ص 478.

بجاية، حيث ظهر الكثير من الأعلام في هذا الميدان، كأبي مدين شعيب، ومحي الدين بن عربي، وغيرهم من هؤلاء العلماء المتقيدون بالكتاب والسنة، والاهتمام بالعبادة والزهد في الدنيا ومجاهدة النفس بأنواع الرياضات الجسدية، والنفسية. وهكذا فإن بجاية قد عرفت في عصر الغبريني نشاطا علميا، وثقافيا مزدهرا، إنعكس إيجابا على الحركة العلمية والفكرية بصفة عامة.

د- وظائفه:

لم يوضح الغبريني ولا من ترجم له نوع الأعمال أو الوظائف التي كان يزاولها ، إلا أن مترجمنا يبدو انه شغل وظيفة التدريس مدة معينة وهذا ما يؤكد نفسه عندما استشار شيخه أبو القاسم أحمد بن عثمان القيسي (ت 670هـ/1271م)⁽¹⁾. بتونس يقول الغبريني " ولما حلت بحاضرة إفريقية اجتمع جمع من الطلبة وكلفوني بالجلوس للإقراء ، فأسعفتهم بذلك ، وسرت إليه وأعلمته بالقضية ، وسألته هل تقع البداية في يوم السبت أم الأحد ، فقال لي رحمه الله :من أشياخي رحمهم الله من كان يختار البداية يوم السبت ، ومنهم من كان يختار يوم الأحد ، ولم يجبني بالتعيين وخرج عن خاطري في الوقت أن أساله عن اختياره لنفسه كيف كان"⁽²⁾.

وتولى أبو العباس الغبريني بعد ذلك القضاء في عدة مواضع⁽³⁾ كان آخرها ببجاية، حيث ترقى إلى منصب قاضي القضاة كما ذكر ذلك القاضي النباهي⁽⁴⁾ ويضيف النباهي بالقول أن الغبريني لما تولى خطة القضاء ترك حضور الولايم ودخول الحمام ، وسلك طريق اليأس من مداخله الناس⁽⁵⁾.

ويرجح البعض أن الغبريني تولى خطة القضاء ببجاية قبل سنة (683هـ/1284م) وذلك لأن في هذه السنة مرض الأمير أبو زكرياء بقسنطينة ، فورد عليه أهل بجاية وعلى رأسهم قاضيها أبو العباس الغبريني لتهنئته بعد

1- الغبريني: عنوان الدراية، ص 116 .

2- الغبريني: المصدر نفسه، ص 116 .

3- محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص 215؛ الحفناوي: المصدر السابق، ج 1، ص 25.

4- المرقبة العليا، ص 132؛ ابن قنفذ: الوفيات، ص 338 .

5- النباهي، المصدر نفسه، ص 132 .

شفائه⁽¹⁾ ويبدو أن الغبريني دام في هذا المنصب إلى أن سجن وقتل مظلوما في عهد الأمير خالد أبو البقاء.

هـ- محنته ووفاته:

لما تولى أبو البقاء خالد إمارة بجاية بعد أبيه زكريا سنة (700هـ/1300م)، حاول أن يقارب بين تونس وبجاية المهددتين بخطر بني مرين⁽²⁾، وفعلا قام بعدة محاولات في هذا المجال لكن البعض من حاشيته وأعوانه كانوا لا يرغبون في هذا التقارب، وبعث أبو البقاء بوفد إلى تونس للتصالح مع ابن عمه أبي عصيدة صاحب تونس وكان هذا الوفد يتكون من أبي زكرياء الحفصي ومن الشيخ أبي العباس الغبريني (ت704هـ/1304م)⁽³⁾، وقد قام هذا الوفد بتأدية مهمته بتونس وعاد إلى بجاية، ولكن أثناء هذه المدة، عملت الوشايات مفعولها في صاحب بجاية من قبل حاشيته ورجاله الذين لم يكن في صالحهم التقارب والمصالحة⁽⁴⁾.

وكان المقصود من كل هذه الوشايات الغبريني، حيث لفقت هذه الحاشية تهما باطلاً ضده وقدموها للسلطان أبي البقاء خالد، وتمثلت هذه التهم في :

- 1- تواطؤ الغبريني مع البلاط الحفصي في تونس ضد أبي البقاء في بجاية.
- 2- تخطيط الغبريني للثورة ضد الأمير أبي البقاء بالتواطؤ مع أبي عصيدة أمير المملكة الحفصية بتونس.
- 3- قامت هذه الحاشية بتذكير الأمير أبي البقاء بما حصل لأبيه زكرياء وجده أبي إسحاق في بجاية، واتهموا الغبريني بأنه هو الذي أغرى قبيلته بني غبرين بالقبض على أبي إسحاق حيث قتل بأمر الدعي ابن أبي عمارة سنة (682هـ/1283م)⁽⁵⁾.

1- ابن القنفذ: الفارسية، ص 149 .

2- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 316.

3- محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية، ص 293.

4- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 294

5- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 316.

كل هذه الوشائيات والتهم جعلت الأمير أبي البقاء يقتنع بما دبر ضد الغبريني، فأمر باعتقاله سنة (704هـ/1304م)، ثم أمر بقتله في سجنه في السنة نفسها⁽¹⁾.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- يذكر ابن خلدون أن الذي دبر المؤامرة ضد الغبريني هو ظافر الكبير، وكان أحد المحظوظين في البلاط الحفصي ببجاية، وأن الذي قتله يسمى منصور التركي. العبر، ج6، ص294.

02-عنوان الدراية، دراسة الكتاب :

أ-التعريف بالكتاب :

يعتبر كتاب "عنوان الدراية " أثرا علميا يكشف لنا عن ملامح الازدهار الفكري والعلمي الذي كانت تتميز به بجاية في القرن السابع الهجري/13م⁽¹⁾.

وكان اختيار الغبريني لعنوان كتابه " عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"⁽²⁾ اختيارا موفقا ,فالعنوان يعبر بدقة عن المادة العلمية التي يحتوي عليها هذا المصدر .

أما الباحث على تأليفه , فقد أشار إليه المؤلف حيث قال "وإني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات ,وجعل مابعدا مبدأ للمسرات ,انكر منهم من اشتهر ذكره ونبل قدره ,وظهرت جلالته ,وعرفت مرتبته في العلم ومكانته..."⁽³⁾.

وتتجلى قيمة الكتاب في مجموعة التراجم التي ذكرها الغبريني , والتي تصور ما كانت عليه بجاية من حركة علمية وفكرية وأدبية واسعة وبيين في كثير من المواضع العلاقات المختلفة التي تنشأ بين أهل العلم بعضهم ببعض.

ويحتوي الكتاب على بعض الرسائل الإخوانية والسلطانية وغيرها , كما يعطينا نظرة شاملة عن الحركة الأدبية في هذا العصر ,ومن ثمة فانه لا غنى للباحث في الأدب المغربي في هذا العصر من الرجوع إلى عنوان الدراية ,واستغلال مادته الأدبية⁽⁴⁾.

1-أهم الكثير من الباحثين بكتاب العنوان,حيث قام محمد بن أبي شنب بتحقيقه,وكذلك فعل رابح بونار وعادل نويهض, وقد اعتمدت في هذه المذكرة على النسخة التي حققها رابح بونار .

2-لم يذكر أحد ممن ترجم للغبريني أن لهذا الأخير غير هذا التأليف سوى القرافي حيث ذكر للغبريني تأليف أخرى مثل"الأربعون المسماة بالمرور الأصفى",وكتاب "الفصول الجامعة"توشيح الديباج, ص47.

3-الغبريني:عنوان الدراية,ص55.

4-المصدر نفسه,ص79.

أما قيمته العلمية فهي أشمل لأن الحياة العلمية والفكرية من حيث حركة التعليم والتأليف وكيفية سير الدروس ومناهج التعليم وطرق التدريس ، والمقررات، هي محور الكتاب بالإضافة إلى حديثه عن أماكن التدريس كالمساجد ، والكتاتيب ، والزوايا ، والحلقات العلمية ، وعن نشاط الوراقين⁽¹⁾.

وتتجلى قيمته العلمية أيضا من حيث التنوع الذي نجده من خلال التراجم حيث تنوعت هذه التراجم بين اتجاهات فكرية وعلمية عديدة من فقه وتفسير، وحديث، وتصوف، وأدب.

وإذا تجولنا بين تراجم العنوان، نجد أن الغبريني قد وفق في ترتيب التراجم وجمعها حيث لم يقتصر على الترجمة للعلماء البجائيين، بل تعداه إلى العلماء الوافدين على هذه الحاضرة مثل الأندلسيين، والمشاركة، حيث ترجم ل: 109 شخصية علمية وفكرية جاءت على النحو الآتي :

1- **تراجم البجائيين والجزائريين**، وعددهم: 26 عالما.

2- **تراجم العلماء الأندلسيين الذين هاجروا إلى بجاية**، وعددهم: 36 عالما.

3- **تراجم العلماء المشاركة الوافدين على بجاية**، وعددهم: 08⁽²⁾.

ويمكن أن نصنفهم كالاتي:

* **العلوم الدينية**: وعددهم 52 عالما.

* **التصوف**: وعددهم 19 عالما.

* **اللغة العربية وأدبها**: وعددهم 22 عالما.

* **التاريخ**: وعددهم 05 علماء.

1- احتل الوراقون مكانة رفيعة في المجتمع البجائي، حتى أن الأمراء والسلطين في بجاية كانوا

يعظمون أصحاب هذه المهنة، انظر الغبريني، المصدر السابق، ص 240.

2- الغبريني: عنوان الدراية، ص 36.

* المنطق: وعددهم 06 علماء.

* الطب والصيدلة: وعددهم 04 علماء.

* العلوم العددية: وعددهم عالم واحد 01.

وختم الغبريني كتابه بفريدة قلما نجدها في كتب التراجم أو الطبقات، فذكر في آخر عنوانه برنامج مشيخته، حيث أعطانا صورة واضحة عن المؤلفات التي كانت معتمدة في كل علم من العلوم، وفي هذا يقول الغبريني "وإني أردت لما أتيت على ذكر ما شرطت ذكره من علماء هذه المائة السابعة ومن انضاف إليهم فيمن كان في آخر المائة السادسة... رأيت أن اذكر بعد ذلك طريق استفادتي مما استفدته ووجه تلقي ماتلقيته من العلم ورويته، لينتفع بذلك من له إرب وليجده منظوما كيف يريد من له عليه بحث وطلب" (1).

ب- منهج الغبريني في كتابه عنوان الدراية :

تمتع الغبريني بدرجة كبيرة من الحس التاريخي، والإدراك الشديد الواعي لما يقدمه ويعرضه أثناء ترجمته لعلماء المائة السابعة ببجاية.

ويبدأ المؤلف بذكر صاحب الترجمة في رأس موضوعه: اسمه وكنيته، وصفته، كما يذكر في بعض الأحيان نسبه، ويتحقق من ذلك، ثم يصف حاله، متعرضا لما عرف عنه من عناية بعلم أو أدب أو فقه، ويختتم الترجمة بنبذة من شعر المترجم له إن كان شاعرا، ونماذج من حكم أو أقوال المترجم له إن وجد ذلك، ويتعرض الغبريني في بعض التراجم إلى رحلة صاحبها إن كان من الوافدين على بجاية أو من الأندلسيين الذين استقروا بها (2).

وقد رتب الغبريني تراجمه، فمعظم من ذكرهم في كتابه العنوان من العلماء الذين اشتهروا في علم من العلوم، ومنهم من تقلد الكتابة والوزارة، وبعضهم تقلد القضاء والإمامة.

1- الغبريني: المصدر السابق، ص 307.

2- من العلماء الأندلسيين الذين ذكرهم الغبريني وترجم لهم: أبو العباس أحمد بن خالد المالقي، وأبو عثمان سعيد بن علي الأنصاري البلنسي وغيرهم، ومن المشاركة الذين ترجم لهم: متقي الدين الموصلي، وعبد الجبار بن أبي البركات الطرابلسي.

ونجد أن الغبريني اخذ في مقدمة كتابه عهدا بان لا يذكر في تراجمه ما يشير إلى القدح فيهم ، بل يذكر ما امتازوا به من فضائل ، وقد أشار إلى ذلك بقوله "ومازلت انقد على من يذكر أهل العلم ثم يغمز في شأنهم ، ويشير إلى القادح، فلا أريد إلا الخير ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ﴾" (1).

واستعمل الغبريني في كتابه العنوان أسلوبا تميز بالقوة حيث كانت لغته سلسلة يسهل على القارئ فهمها.

وعمد الغبريني إلى الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة والأبيات الشعرية للتدليل على صحة أقواله في بعض الأحيان فهو يورد استشهاده دائما في المكان المناسب، ومثال ذلك عندما ترجم لأبي زكرياء بن أبي علي الزواوي (ت611هـ/1214م)، ذكر أن الشيخ قبل وفاته وعظ الناس وبين لهم ما أعده الله سبحانه وتعالى من سعة رحمته و أضعاف حسناته للمتقين والتجاوز عن السيئات (2) ، فاستشهد الغبريني في هذا المقام بقوله تعالى ﴿ وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ﴾ (3).

وكثرة استشهاده بالسنة النبوية ملاحظ في كتاب العنوان ومثال ذلك : عند حديثه عن التوحيد في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي (ت القرن 07هـ/13م) (4) ، حيث استشهد الغبريني ببعض الأحاديث الشريفة كقوله ﷺ "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم و أموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله" (5) وقوله ﷺ "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة" (6).

واستعمل الغبريني في عرضه لمعظم تراجمه أسلوبا تميز بالإيجاز والاختصار والتركيز، وابتعد عن السرد والاستطراد وذكر التفاصيل حيث

1-سورة هود، الآية 88.

2-الغبريني:عنوان الدراية،ص137.

3-سورة الكهف، الآية:29.

4-ترجم له الغبريني،ص132.

5-رواه الإمام مسلم في صحيحه،تحقيق محمد فواد عبد الباقي،مط.دار إحياء الكتب العربية،بيروت،ج01،حديث رقم:33،ص52.

6-رواه الإمام مسلم، ص55.

اقتصر على ذكر الأحداث المهمة في حياة العلماء وأهم انجازاتهم العلمية والفكرية .

ولم يخرج الغبريني عن خطه الكتاب ، وهو الترجمة لعلماء المائة السابعة ببجاية بالرغم من ترجمته لبعض علماء المائة السادسة كأبي مدين شعيب(ت 594هـ/1197م)، وأبي علي المسيلي(ت آخر القرن السادس هـ/12م)، وأبي عبد الحق البجائي الاشبيلي(ت582هـ/1186م)، وغيرهم ، ولا يعتبر هذا خروجاً عن الخطة لأنه أشار في مقدمة كتابه إلى هذا الأمر وذلك لقرب هؤلاء بالمائة السابعة⁽¹⁾.

ج - مصادر كتاب عنوان الدراية:

توضح لنا مصادر الغبريني التي اعتمد عليها مدى ما تمتع به هذا المؤرخ من عمق وحس تاريخي ، حيث تأثر بمنهج من تتلمذ عليهم من علماء الحديث، فساعده هذا المنهج على ذكر جميع مصادره في كل خبر نقله أو سمعه ، وأهم ما اتصف به من حيث استخدام المصادر أنه حرص على تنوعها مما جعل من كتاب "عنوان الدراية"⁽²⁾ مزيجاً من المعارف والأخبار وهذا التنوع أخذ أشكالاً متعددة تتضح فيما يلي :

* **أولاً:** اعتمد الغبريني في نقل معلوماته وأخباره عن شيوخ ذوي تخصصات متنوعة لهم منزلة كبيرة في مجال التعليم والتأليف فنجد من بين شيوخه : الفقهاء المحدثين والمؤرخين والصوفية والمفسرين، وغيرهم وهذا دليل على تنوع الأخبار التي تلقاها وأدرجها في كتاب العنوان.

* **ثانياً:** أخذ الغبريني أغلب معلوماته عن شيوخ بجائين ،بحكم أن الكتاب يتناول الترجمة لعلماء بجاية ، محل إقامته حيث أخذ عن مجموعة كبيرة من علمائها كأبي العباس أحمد بن محمد الغماز الأنصاري البلنسي (ت693هـ/1293م)⁽³⁾، حيث قال عنه الغبريني "رأيت ببجاية ولقيته بها" ورأيت

1- الغبريني:عنوان الدراية،ص55.

2- يعتبر كتاب عنوان الدراية من الكتب التي تدخل ضمن "التاريخ المحلي" الذي يهتم بالتاريخ لمنطقة معينة، وهذا النوع من الكتابة تعبير صادق عن ارتباط المؤرخ بإقليمه واعتزازه بوطنه.

3- ترجم له الغبريني:عنوان الدراية،ص129.

أيضا بتونس رؤية جيدة واستفدت من أخلاقه ومن الاطلاع على أحكامه بحضوره مجلسه ما انتفعت به كثيرا⁽¹⁾.

وكمعاوية الزواوي وهو من خدام الشيخ أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي (ت662هـ/1263م)⁽²⁾ حيث اعتمد عليه عند الترجمة لهذا الأخير قال الغبريني "ذكر معاوية الزواوي وهو من خدامه قال جئت يوما لأراه فلما وقفت عند باب الزاوية، أصابتني هيبة وسمعت كلاما بداخلها..."⁽³⁾.

*** ثالثا:** استقى الغبريني معلوماته أيضا عن طريق الاطلاع على السجلات الرسمية، في الدواوين، فيقول مثلا عند حديثه عن تولي أبي تميم ميمون بن خلفون البردوي⁽⁴⁾ للقضاء ببجاية "ولي أبو تميم المذكور قضاء بجاية مدة قليلة، وقد رأيت التسجيل عليه في بعض كتب القضاء الكائنة بمودع بجاية حرسها الله"⁽⁵⁾.

*** رابعا:** اعتمد الغبريني أيضا في توثيق معلوماته، على الوثائق⁽⁶⁾ التي احتفظ بها أهلها، فيقول عند حديثه عن أبي زكرياء يحيى بن علي المهداني (ت القرن 07هـ/13م)، والفقير أبو محمد عبد الحق (ت القرن 07هـ/13م): "...وما يوجد من وثائقيهما وكتبهما يدل على تحصيلهما وفضلهما"⁽⁷⁾، وكحديثه عن أبي محمد عبد الحق الاشبيلي (ت582هـ/1186م)⁽⁸⁾، حيث قال: "وجلس للوثيقة والشهادة وولي قضاء بجاية مدة قليلة، ولم يشتهر ذلك من أمره، ولا

1- الغبريني: المصدر السابق، ص130.

2- ترجم له الغبريني: عنوان الدراية، ص161.

3- المصدر نفسه، ص163.

4- ترجم له الغبريني: عنوان الدراية، ص183.

5- المصدر نفسه، ص183.

6- تعتبر الوثائق من المصادر المهمة لتاريخ الأحداث وتتمثل في الرسائل الصادرة من ديوان الإنشاء في الحاضرة إلى الولايات، أو الأقاليم التابعة للحكومة المركزية، والمنشورات، والسجلات والأحكام والفتاوى والنصوص والمعاهدات، عقود البيع والشراء وغير ذلك وتصدر هذه الوثائق عن الدواوين كديوان الرسائل الذي كان يتولى تنفيذ الأوامر الصادرة من الخلفاء والسلاطين، كالرسائل السلطانية والأحكام والمعاهدات، والمخالفات، وإن تكون مجرد اتفاقات فردية كالعقود الشخصية. السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمنهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت 1981، ص133، قاسم يزبك: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت 1990، ص53.

7- الغبريني: عنوان الدراية، ص221.

8- الغبريني: المصدر نفسه، ص73.

اطلعت على ذلك إلا من رسوم وجدتها مسجلا عليه فيها" (1) وعند حديثه عن وفاة الشيخ أبي زكرياء الزواوي (ت611هـ/1214م) (2) يقول الغبريني: "لقد رأيت فصلا فيه ذكر وفاته بخط الشيخ المقرئ أبي العباس بن الخراط ، وأنا أذكره بنصه ... " (3).

ويقول عن أبي محمد عبد الحق الأزدي الأشبيلي (ت 628 هـ/1230م): "ورأيت له برنامجا ذكر فيه شيوخه و مقروءا ته من الكتب يشتمل على مائتين كتابا واثنين وعشرين كتابا كلها مسندة إلى مؤلفيها ... " (4) . ويقول عند حديثه عن الشيخ أبي الخطاب بن دحية الكلبى "ورأيت من كلامه كثيرا في رسائل ومخاطبات ... " (5).

* **خامسا:** حصل الغبريني على معلوماته أيضا عن طريق المشاهدة ، فعند كلامه عن شيخه أبي محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري (ت 675هـ/1276م) ، سجل مشاهدته لخطه بقوله: "كان ابن مقلة زمانه ، له خطوط جميلة وهو في كل واحد منها ابن مقلة زمانه ، كان يكتب الشرقي و الغربي على فنون من ريحاني وتحساني ، وديواني وغير ذلك من أنواعه ... " (6).

ويشير إلى مشاهدته بقوله : " شاهدت " أو " شاهدتها " كقوله عند الحديث عن شيخه أبي العباس أحمد بن عيسى الغماري (ت682هـ/1283م) (7): " حضرت دروسه وشاهدتها" (8) ، أو كوصفه لشيخه أبي القاسم بن زيتون (ت 691هـ/1291م) (9) حيث قال عنه: "وكان من أجمل الناس منظرا" (10) وكقوله عن أبي بكر محمد بن سليمان الزهري البلسني (ت 655 هـ/1257م) (11):

1- الغبريني: المصدر السابق، ص73.

2- ترجم له الغبريني، ص135.

3- المصدر نفسه، ص136.

4- نفسه، ص193.

5- نفسه، ص229.

6- الغبريني: عنوان الدراية، ص86.

7- المصدر نفسه، ص112.

8- المصدر نفسه، ص112.

9- المصدر نفسه، ص114.

10- المصدر نفسه، ص114.

11- المصدر نفسه، ص241.

ورأيت له خطباً في عقود النكاح حسنة... وجميع ما طالعته من الكتب التي يوجد عليها خطه في غاية الجودة، وقد رأيت له هذا في فنون كثيرة من الفقه و الحديث والأدب واللغة" (1).

*** سادساً:** أخذ الغبريني مادة كتابه "العنوان" أيضاً عن طريق الإطلاع على الكتب والمدونات التي صنفتها أصحابها، كقوله مثلاً "ورأيت في فهرست أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني... (2)"، وكحديثه عن أبي علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت آخر القرن 06 هـ/12م): "...له التذكرة في أصول علوم الدين، وهو كتاب حسن طالعته، وكررت النظر فيه، فرأيته من أجل الموضوعات في هذا الفن... (3)".

وكقوله عن شيخه أبي زكرياء يحيى بن محجوبة القرشي السطيفي (ت 677هـ/1278م) (4): "ورأيت له تأليفاً حسناً في شرح أسماء الله الحسنى" (5).
وكوصفه لتأليف "الوافي" في علم الفرائض للشيخ أبي الحسن علي الحرالي التجيبي (6)، حيث قال عنه: "ما رأيت مثله في ذلك الفن لأنه أعطى الفرائض مفصلة معلة بأخصر بيان" (7).

*** سابعاً:** أخذ الغبريني مادته العلمية أيضاً عن طريق الاستعانة ببقايا النقوش الأثرية، كالكتابات على القبور حيث استفاد منها في تحديد تواريخ وفيات بعض علماء بجاية، كقوله مثلاً عند حديثه عن الشيخ أبي محمد عبد الحق الأشبيلي (510-582هـ/1116-1186م) (8)، "وكان تاريخ وفاته مكتوباً في رخامة عند قبره" (9).

وكذكره لتاريخ وفاة شيخه أبي محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد الأنصاري (ت 675هـ/1276م) (10) حيث قال: "توفي رحمه الله في الثامن

1- الغبريني: المصدر السابق، ص 242.

2- المصدر نفسه، ص 61.

3- المصدر نفسه، ص 66.

4- المصدر نفسه، ص 119.

5- المصدر نفسه، ص 120.

6- المصدر نفسه، ص 145.

7- المصدر نفسه، ص 148.

8- المصدر نفسه، ص 73.

9- المصدر نفسه، ص 75.

10- المصدر نفسه، ص 85.

والعشرين لربيع الأول من عام خمسة وسبعين وستمئة ودفن في خارج باب المرسى،... وتاريخ وفاته في رخامة وضعت لحدا على قبره⁽¹⁾.

*** ثامنا:** اعتمد الغبريني في نقل مروياته كذلك عن طريق المشافهة والسماع، على أشهر شيوخ عصره، واستعمل الألفاظ والمصطلحات الدالة على ذلك فكان يسبق اسم محدثه بقوله: "سمعت عن الفقيه..."⁽²⁾ أو يقول، "أخبرني غير واحد"⁽³⁾، وتمثل الروايات التي أخذها الغبريني عن طريق المشافهة والسماع معظم مصادر الكتاب.

وقد حرص الغبريني في رواية أخباره في كتابه عنوان الدراية على اتباع طريقة المحدثين في ذكر أسانيد الروايات، حيث استعمل الإسناد بطرق مختلفة، جاءت على النحو الآتي:

01- استعمل الغبريني المسند الموصول، كقوله: "أخبرني الشيخ أبو محمد عبد الحق بن ربيع عن الفقيه أبي الزهر ربيع..."⁽⁴⁾.

أو كقوله "حدثنا أبو العباس بن خضر عن الخطيب أبي بكر بن سيد الناس عن أبي العباس ابن مقدم عن الحافظ أبي بكر بن العربي..."⁽⁵⁾.

02- استعمل الغبريني أحيانا المسند المقطوع، فكان يورد اسم الشيخ الذي أخذ عنه دون ذكر سلسلة إسناده كقوله: "أخبرنا شيخنا أبو محمد عبد الحق عمن أخبره أن الشيخ أبا علي المسيلي كان يأتي إلى الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل للتهجد"⁽⁶⁾. أو كقوله: "أخبرني شيخنا الفقيه أبو محمد عبد العزيز..."⁽⁷⁾.

03- استعمل الغبريني الإسناد إلى مجاهيل، فكان يسند أخباره ومروياته، إلى رواية سمع منهم دون ذكر أسمائهم، كقوله: "أخبرني بعض الأصحاب أن بعض الطلبة وقع بينهم نزاع في بعض الأحاديث المروية عن النبي ﷺ"⁽⁸⁾، أو

1- الغبريني: المصدر السابق، ص 89.

2- المصدر نفسه، ص 87.

3- نفسه، ص 142.

4- نفسه، ص 58.

5- نفسه، ص 109.

6- نفسه، ص 67.

7- نفسه، ص 147.

8- نفسه، ص 58.

كقوله: "أخبرني بعض من وثقت بهم"⁽¹⁾, أو "ما سمعت عن غير واحد ممن أثق به..."⁽²⁾.

04- بالرغم من أن الغبريني حرص على توثيق أغلب رواياته, وذلك بذكر الرواة في سلسلة الإسناد, إلا أن بعض الروايات وردت لديه في كتاب "العنوان" بدون إسناد, حيث يسبقها بكلمة "يقال" أو "ذكرلي", كقوله: "ويقال أنها بعثت بهما إلى ابن الفكون"^(ت القرن 07هـ/13م)⁽³⁾, أو كقوله عند حديثه عن الشيخ أبي محمد عطية الله بن منصور الزواوي^(ت القرن 07هـ/13م): "وذكرلي أن اسمه الذي يسمى به لم يكن عطية الله..."⁽⁴⁾

1- الغبريني: المصدر السابق, ص 134.

2- نفسه, ص 152.

3- نفسه, ص 79.

4- الغبريني: عنوان الدراية, ص 141.

عوامل نمو الحركة الفكرية ببجاية

01-عناية السلاطين الحفصيين بالعلم والعلماء:

استفادت حاضرة بجاية من الرعاية الخاصة التي أولاها لها سلاطين بني حفص، حيث كانت لهم إرادة كبيرة ورغبة شديدة في سبيل الإرتقاء بالحركة العلمية والفكرية بصفة عامة، وتشجيعهم وعنايتهم للعلوم والآداب، فشجعوا العلماء والفقهاء والأدباء، بل كانوا يستقبلونهم من مختلف الحواضر المغربية والمشرقية ومن الأندلس⁽¹⁾.

واستفاد البجائيون مما كان يحمله هؤلاء العلماء من علم وفكر وحضارة، حيث كانت لهم مشاركة جادة في تطوير الحياة العلمية والثقافية بل تعداه إلى الجوانب الحياتية الأخرى⁽²⁾.

أولى الأمراء وسلاطين بني حفص رعاية مستمرة للعلم وأهله، لأن من بينهم من كان ينتمي إليه، كالسلطان الحفصي أبي زكريا الأول (628-647هـ / 1228-1249م)، الذي كان مولعاً بالعلم وأهله، يكنى بنصير الآداب والعلوم، حيث قرب إليه العلماء والأدباء والفقهاء، فكان يستدعيهم إلى تونس و يسمع إليهم ويحضر مجالسهم العلمية⁽³⁾.

وقد كان هؤلاء الأمراء والسلاطين يشجعون العلماء على الاجتهاد في التدريس، وتنشيط الحركة العلمية والفكرية، بل كانوا يشرفون في بعض الأحيان على مجالس الدروس والحلقات العلمية⁽⁴⁾.

1 - استفادت حاضرة بجاية بكوكبة من العلماء المشاركة والمغاربة والأندلسيين، الذين ساهموا مساهمة فعالة بالرفق بالمجتمع البجائي علمياً وثقافياً، الغبريني: عنوان الدراية، ص 55، 73، 100، 158، 165، 166،

2 - استفادت العديد من حواضر المغرب الإسلامي، بتشجيع السلاطين والأمراء للعلماء وطلبية العلم كتلمسان مثلا التي كان سلاطينها الزيانيين في خدمة العلم والعلماء فجعلوها قبلة العلماء والفقهاء والأدباء، للتفصيل في هذا الموضوع أنظر: فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص320.

3 - الغبريني: عنوان الدراية، ص172.

4 - كان الأمير أبو زكريا الأول (628-649هـ / 1228-1249م) محبا للعلم وأهله، فكان يجري على المدرسين أرزاقا كثيرة، وكان يحضر بعض الحلقات العلمية، يوم الاثنين والجمعة، حيث=

الفصل الثاني

عوامل نمو الحركة الفكرية ببجاية

01-عناية السلاطين والأمراء بالعلم والعلماء

02-المؤسسات التعليمية ببجاية

03-الرحلة العلمية

04-التعليم:أنواعه ومراحله

05-طرق ومناهج التدريس

06-تعليم المرأة

07-الإجازة العلمية

08-الوراقة

وكان السلطان الحفصي المستنصر السالف الذكر، أبرز من شجع الحركة العلمية والفكرية ببجاية ، ورغب رجال العلم في القدوم إلى حاضرتي بجاية، وتونس، فكان يصدق عليهم الأموال والهدايا، وأعلى منزلتهم، وكان يحثهم دائما على التدريس والتأليف وهذا ما يذكره لنا الغبريني في عدة مواضع من كتابه العنوان، حيث يذكر أن أبا القاسم محمد الأموي (ت 674هـ/1275م) استدعاه الخليفة المستنصر لما سمع به، فقربه وأكرمه، وجعله من خاصة جلسائه⁽¹⁾.

والفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري (ت 682هـ/1283م) الذي كان يعامله الخليفة المستنصر معاملة خاصة، حيث عينه في منصب قضاء بجاية، ثم جعله رسولا إلى بعض الحواضر⁽²⁾، وحصل الأمر نفسه مع الشيخ الفقيه أبي العباس أحمد بن الغماز الأنصاري البلنسي (619-693هـ/1222-1293م)⁽³⁾.

وكان الفقيه القاضي أبي علي الحسن بن موسى (ت القرن السابع الهجري/13م)، له حظ عظيم عند المستنصر، فكان يحضر مجالس علمه، ويستحسن كلامه، بل كان المستنصر لا يلتفت إلى غيره عندما يكون في مجلسه⁽⁴⁾.

ولم يقتصر الأمر على تقريب العلماء والصلحاء في المجالس السلطانية، وتبجيلهم واحترامهم، بل خصصوا لهم رواتب، واقطعوا لهم الأراضي

= كان يطلق العود والعنبر مادام المجلس ، بل أنه فضل أن يسكن بجانب المدرسة، وجعل بينها وبين داره نافذة حتى يسمع ما يقرأ، برنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، ج 02، ص 377.

1 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 102 .

2 - المصدر نفسه، ص 113 .

3-الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن الغماز الأنصاري من أهل بلنسية، ولد سنة (619هـ/1222م)، رحل إلى بجاية واستوطنها ، تقلد العديد من المناصب كالقضاء و الإمامة بالجامع الأعظم ببجاية ، بلغ مكانة سامية عند الخليفة المستنصر، فقام بتعيينه قاضي القضاة ، وكان رسوله إلى العديد من السلاطين والأمراء، توفي بتونس سنة (693هـ/1293م)، الغبريني، عنوان الدراية، ص 130.

4 - ولاء المستنصر العلامة المستنصرية، وهي عبارة عن شارة تكتب في رسائل السلاطين الحفصيين، وكان لها كاتب خاص يكتبها بخط جميل. الغبريني: المصدر نفسه، ص 256.

ليسترزقوا منها، ومن ذلك أن الخليفة عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/ 1130-1163م) منح أرضاً زراعية للفقير الصوفي أبي النجم هلال بن يونس الغبريني⁽¹⁾.

وسلك أول وال حفصي علي بجاية الأمير أبو يحيى زكرياء (633-646هـ/ 1236-1248م) سياسة والده، حيث قرب العلماء واعتنى بهم وأحسن إليهم، حيث عرض علي الفقيه أبي زكرياء يحيى بن محجوبة القرشي السطايفي (ت 677هـ/ 1279م) أن يجعل له مرتباً من أعشار الديون في كل شهر، غير أن الفقيه ابن محجوبة رفض هذا المرتب وقال له: <>إن اسمي في ديوان الوجود المطلق، فلا أجعله في الديوان المقيد، لأن الإطلاق أوسع من التقييد، وهو في ديوان الحق، فلا أجعله في ديوان الخلق<>⁽²⁾.

ولما ولي محمد الأول المستنصر (647-675هـ/ 1249-1277م)، أتبع خطى والده في تشجيع العلماء وإكرامهم، حيث كاتب الفقيه أبا محمد عبد الحق بن ربيع البجائي (ت 675هـ/ 1277م) عارضاً عليه منصب قضاء قسنطينة، ولكنه رفض⁽³⁾.

وكان ولاية بجاية يستعينون بالعلماء من أجل مناقشة قضايا المجتمع البجائي كالفقيه أبي محمد عبد الله بن عبادة القلعي (ت 669هـ/ 1271م) الذي كان يحضر هذه الاجتماعات، فكان يساعده في إيجاد الحلول لقضايا العامة ومشاكلهم⁽⁴⁾.

وكان المستنصر يتوحد إلى علماء بجاية، بأن يطلب زيارتهم، فكان يرسل إلى الفقيه الصوفي أبي القاسم أحمد بن عجلان القيسي (ت 675هـ/ 1277م) يطلب منه زيارته قصد مساعدته في النظر في قضايا المجتمع⁽⁵⁾.

1 - المصدر السابق، ص 169.

2 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 120.

3 - المصدر نفسه، ص 88.

4 - نفسه، ص 93، ترجم له التبتكي: نيل الابتهاج، ص 139.

5 - نفسه، ص 116.

كما كان المستنصر يزور المحدث الفقيه علي بن أبي نصر البجائي (ت 652هـ/1254م) في منزله ببجاية، حيث كان يكرمه، ويحمل إليه الهدايا عرفانا بعلو كعبه في العلم والتعليم⁽¹⁾.

ولم يقتصر تكريم السلاطين والأمراء لعلماء بجاية وحدها، بل قاموا بإستدعاء العديد من الفقهاء والمحدثين الذين ذاع صيتهم، وعلا شأنهم العلمي من مختلف الأقطار، فهذا المستنصر أبو عبدالله بن أبي زكرياء الحفصي، طلب أبا بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسي الأندلسي (ت 686هـ/1278م) للكتابة، وبعث له أموالا كثيرة لهذا الغرض، لكن ابن خطاب اعتذر للمستنصر ورد له أمواله⁽²⁾.

وقام المستنصر بإستدعاء الفقيه أبي بكر محمد بن سيد الناس اليعمري الأشبيلي (ت 659هـ/1260م)، وذلك لما سمع بغزارة علمه، وبإتقانه التعليم، حيث استدعاه وقربه، يقول الغبريني لما دخل ابن سيد الناس على المستنصر أمره بقراءة آية من كتاب الله تعالى فاستفتح بالاستعاذة وقرأ: ﴿بما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمته فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾⁽³⁾ فاستحسن المستنصر بالله قراءته، فقربه، وأجزل عطيته وجانزته⁽⁴⁾.

ولم يقتصر إكرام السلاطين وتبجيلهم في حياتهم، بل تعداه إلى ما بعد وفاتهم، حيث كانوا يحضرون جناز العلماء، إرضاءً لشعور طلبتهم، كما حصل مع الفقيه الصوفي أبي زكرياء يحيى الزواوي حيث لما توفي أرسل والي بجاية نقيباً كلفه بالمحافظة على جثته، كما كلف أمناء بتجهيز جنازته⁽⁵⁾.

وخلاصة القول فإن تشجيع السلاطين للعلم والعلماء، وإكرامهم قد ظهر جليا في حاضرة بجاية، حيث اتسمت علاقة العلماء بالسلاطين والأمراء بالتميز، وإذا استثنينا منها بعض صور التصادم والاختلاف التي وقعت بين العلماء والسلاطين، فإننا يمكن القول بأن السلطة عموما قد شجعت هؤلاء

1 - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 142.

2 - فيلالى : تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص 321.

3 - سورة آل عمران: الآية:159.

4 - الغبريني : عنوان الدراية، ص 247 .

5 - الغبريني: المصدر نفسه ، ص 138 .

العلماء ، وحاولت التقرب منهم ، واستقطابهم وذلك للنهوض بحركة التعليم والتأليف، حيث أقبل أهل العلم ببيجاية على الاستفادة من علمائها المقيمين والزائرين، كما كان هدف السلاطين والأمراء من التقرب من العلماء وتشجيعهم، ضمان ولاء العامة لهم لأنهم يدركون المكانة الكبيرة التي يحتلها هؤلاء العلماء في المجتمع البجائي.

02- المؤسسات التعليمية ببجاية:

إذا كانت بجاية قد احتلت مكانة علمية وثقافية مرموقة، جعلتها في مصاف الحواضر العلمية في المغرب الإسلامي، بل تنافس أشهر المراكز العلمية العالمية آنذاك، وما يجب أن نشير إليه هنا أن تلك المكانة العلمية الرفيعة ما كانت لتصل إلى تلك الدرجة لولا وجود وسائل وقنوات عديدة كفلت لها تلك المكانة، فالمساجد، والكتاتيب، والرباطات، والمدارس، والمكتبات، والمجالس العلمية، هي التي انتشرت عن طريقها العلوم والثقافة.

أ- المساجد :

منذ أن وضع الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، أساس مسجده بالمدينة المنورة، اضطلعت المساجد والجوامع في العالم الإسلامي برسالة تعبدية وعلمية خالدة، فالإلى جانب هذين الدورين، كانت المساجد المقر الذي تناقش فيه قضايا المسلمين ومشكلاتهم السياسية والأمنية والعسكرية⁽¹⁾.

ومساجد المغرب الإسلامي بصفة عامة لم تكن في منأى عن هذا الإتجاه، فقد عرفت القيروان مثلاً العديد من المساجد التي أقامها التابعون وغيرهم لخدمة هذا الهدف، فهذا إسماعيل بن عبيد الأنصاري، أحد أفراد البعثة العلمية التي بعثها عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م) يؤسس في تونس مسجداً كبيراً، أصبح يعرف فيما بعد بمسجد الزيتونة⁽²⁾.

ومساجد بجاية كغيرها من المساجد في جميع الأقطار الإسلامية، كانت على رأس وسائل الثقافة، حيث ساهمت بدورها في نشر الثقافة والمساهمة في الحركة العلمية والفكرية.

¹ - حوالة: يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في أفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، (90-450هـ)، ط01، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000، ج01، ص201.

² - المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق البشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج02، ص77.

وحسب العديد من المصادر والمراجع التاريخية فقد تأسست بمدينة بجاية العديد من المساجد التي كانت تؤدي وظيفتها الروحية والعلمية على أكمل وجه، حيث يقدر أيفر في مقاله بجاية عدد مساجد المدينة بإثنين وسبعين مسجداً⁽¹⁾.

وقد أورد الغبريني (ت704هـ/1304م) في كتابه العنوان العديد من أسماء مساجد بجاية التي كانت ذات شهرة علمية كبيرة كمسجد الفقيه الشيخ أبي زكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ/1214م)، ومسجد الإمام المهدي⁽²⁾، ومسجد حومة اللؤلؤة⁽³⁾ المعروف بمسجد المرجاني⁽⁴⁾.

كما تميزت بجاية بجامعها الخاص (الجامع الأعظم) كما يسميه برنشفيك، وهو جامع جميل، وذو شأن، أقدم من جامع القصبة⁽⁵⁾.

ويصف لنا فيرو هذا المسجد بقوله: إن هذا المسجد الجامع كان رائعاً في هندسته تعلوه منارة علوها ستون ذراعاً، ويتميز بكبر بابه المرصع بالرخام، وعليه نقوش وكتابات عربية جميلة، أما بيت الصلاة فكله مبلط بالرخام وجدرانه مرصعة بالزخارف، ونقوش، وآيات قرآنية بالخط العربي الجميل، وتعلو المسجد قبة ضخمة، وبه إثنان وعشرون باباً، منها أبواب مخصصة لدخول وخروج النساء⁽⁶⁾.

لقد قامت مساجد بجاية بدورها العلمي والفكري بالإضافة إلى دورها الأساسي وهو الروحي، على أكمل وجه، حيث كان الشيخ أبي مدين شعيب

¹ - أيفر، مقال حول بجاية، دائرة المعارف الإسلامية، ج03، ص 351.

² - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 151، ويعرف هذا المسجد بمسجد الريحانة. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية(تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م)،ترجمة حمادي الساحلي، ط01، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1992، ج01، ص110. وكان مسجد أبي يحيى الزواوي موجوداً في حومة اللؤلؤة أيضاً : روبر برنشفيك: تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، ج01، ص 414.

³ - حومة اللؤلؤة نسبة إلى قصر اللؤلؤة الواقع في الباحة الشرقية من بجاية.

⁴ - نسبة إلى أبي زكرياء المرجاني الموصلي، وكان هذا المسجد مقر لاجتماع الأفاضل من العلماء والصلحاء، الغبريني : عنوان الدراية، ص 165.

⁵ - برنشفيك: تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، ج01، ص 414.

⁶ - Charles Feraud: Histoire des Villes de la province de Constantine Bougie. In Recueil de la société archéologique de Constantine , années 1869.p78

- حسينة تواتي، جامع القصبة بمدينة بجاية .(دراسة أثرية ومعمارية)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1993/1994، ص ص 15، 16.

(ت594هـ/1197م) يقيم مجالسه العلمية والصوفية بمسجد أبي زكرياء الزواوي⁽¹⁾، وكان الشيخ أبي علي حسن المسيلي يأتي إلى الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل للتهجد⁽²⁾.

وكان الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله المعافري يجتمع إليه الناس بالجامع الأعظم لحضور دروسه العلمية⁽³⁾.

وكان للفقيه أبي فارس عبد العزيز بن مخلوف (ت686هـ/1287م) درسان الأول بمسجده بالغدأة حيث يلقي الدروس الفقهية، بالإضافة إلى التفسير والأصول والآخر بالجامع الأعظم بين الصلاتين، أي بين صلاة المغرب والعشاء، حيث يخصصه لإلقاء الدروس على العامة من أهل بجاية⁽⁴⁾.

وكانت طريقة التعليم في المساجد تتم بجلوس الأستاذ أو الفقيه على كرسي حتى يراه جميع الطلبة، أو مستنداً على ظهره على عمود أو ركن من أركان المسجد، وحوله يجلس التلاميذ أو طلبة العلم في شكل حلقة محيطين به، وكانت الأبواب تفتح والحضور مباح للجميع⁽⁵⁾، إلا في حالات خاصة، حيث يفهم من كلام الغبريني أن المجلس الذي كان يعقده أبو زكرياء المرجاني الموصلي كان خاصاً للأفاضل والصلحاء من طلبته ومريديه⁽⁶⁾.

وكانت الدروس التي تلقى في المساجد متعددة بين الدينية واللغوية، على حسب تخصص الفقيه أو الأستاذ المدرس.

ب- الكتابيب:

الكتابيب، جمع كُتاب، وهو لفظ مشتق من التكتيب، أي تعليم الكتابة، ويقال له أيضاً المكتب، أو لمسيد، وهو تحريف لكلمة مسجد صغير.

1 - الغبريني : عنوان الدراية، ص 59.

2 - المصدر نفسه، ص 67.

3 - نفسه، ص 265.

4 - الشيخ الفقيه أبو محمد بن عمر بن مخلوف (ت686هـ/1287م) عالم محدث متقن، من الأساتذة الذين درس عليهم الغبريني، حيث قرأ عليه الجلاب والموطأ بالجامع الأعظم، أنظر الغبريني: عنوان الدراية، ص ص 91، 92.

5 - أبو حويج: مروان سليم، أصالة التنقيف التربوي الإسلامي في الفكر الأندلسي، د ط، الدار الجامعية، 1987، ص 97.

6 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 165.

تعد الكتابات من أقدم المؤسسات العلمية التي ساهمت في التعليم، فالكتابات عرفت منذ عصور الإسلام الأولى وإلى يومنا هذا، حيث لا يخل منه شارع ولا حيّ من الأحياء في المدن والقرى، فالكتابات تعد النواة الأولى في العملية التعليمية⁽¹⁾.

ولقد شهدت بجاية كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي، ظهور هذا النوع من المراكز العلمية، حيث كان الهدف الأسمى من إيجاد تلك الكتابات تنشئة الصبيان تنشئة دينية قوية تقوم على أساس حفظ كتاب الله، أو جزءاً منه، بالإضافة إلى الإلمام بقواعد اللغة العربية، وبعض مبادئ الشريعة، كتعليم أركان الصلاة والصوم، مع شيء يسير من علوم اللغة والنحو ومبادئ الحساب⁽²⁾.

وتنقسم أوقات الدراسة في الكتاب على ثلاثة أقسام تتخللها فترات للراحة. وكانت الأدوات اللازمة للدراسة في الكتاب بسيطة، تتكون من مصحف قرآني، وأدوات الكتابة المكونة من لوح مصنوع من الخشب، وقلم مصنوع من القصب أو من ريش النعام، بالإضافة إلى الحبر⁽³⁾.

وكانت الكتابات تنتصب إما في المسجد، وإما في أماكن خاصة، فالخاصة هي التي تنتصب في قصور الأمراء والوزراء، أما العامة فقد كانت تقوم في الأزقة التي تكون من تنظيم الأهالي⁽⁴⁾.

وكان المؤدب يلقي كل أنواع الإحترام والتقدير من السكان، ولا زالت هذه الصفة إلى يومنا هذا، ويصف لنا المالكي قصة مهمة تدل على مكانة المؤدب فيقول عن القاضي عبد الله بن غانم إذ يروي أن: <>إبنة دخل عليه وقد إنصرف من المكتب، فسأله عن سورتة، فقال له الصبي: حولني المعلم من سورة الحمد، فقال: إقرأها، فقرأها، فقال له: تهجها، قال (أي راوي القصة): فتهجها، فقال هل أرفع ذلك المقعد، فرفعه، فإذا تحته دنانير كثيرة، قال: وأبو عثمان شك في عددها أي الراوي، إلا أنه أكثر من العشرة، ودون العشرين، قال: فحصلها إلى معلمه فدفعها له، فأنكر المعلم ذلك وأتى بها إلى ابن غانم، وأخبره أن الصبي أتاه بها، فقال له ابن غانم كالمعتذر: <> لم يحضرني غيرها يا معلم،

¹ - يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في أفريقية، ج01، ص 226.

² - المرجع نفسه، ص 227.

³ - محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، (أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية)، دط، المكتبة المصرية العامة، القاهرة، 1987، ص 26.

⁴ - يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في أفريقية، ج01، ص 228.

أتدري ما علمته، علمته: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ بحرف واحد مما علمته، خير من الدنيا وما فيها >> (1).

وللأسف الشديد لا يسعنا كتاب عنوان الدراية بذكر شيء عن كتاتيب بجاية، حيث لم يذكر الغبريني أماكنها أو عددها، أو أبرز المعلمين القائمين على إدارتها، فجل ما نعرفه أن بجاية كانت بها كتاتيب، كان لها دور علمي ملحوظ، كون بجاية كانت حاضرة من الحواضر العلمية، إلا أن الغبريني لم يذكرها سوى مرة واحدة عند ترجمته لشيخه أبي الحسن علي بن محمد الزواوي، حيث ذكر أنه لقيه وفرح به حيث مسح على رأسه وقرأ عليه وكان الغبريني آنذاك تلميذاً في الكتاب (2).

ج- المدارس :

يبدو أن أول ظهور للمدارس كان ببلاد فارس، حيث بنيت المدرسة البيهقية في نيسابور (3).

وأسس نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي (465-485هـ/1072م-1092م) المدرستين المشهورتين اللتين تعرفان باسمه في بغداد و نيسابور، حيث كان الإمام أبي حامد الغزالي (4) يقوم بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد، ثم نيسابور في أواخر القرن الخامس الهجري (5).

1 - المالكي: رياض النفوس، ج2، ص145.

2 - الغبريني : عنوان الدراية، ص 134.

3 - المقرئزي: الخطط المقرئزية، دار العرفان، بيروت، ص 02، ص 363.

4 - الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الملقب حجة الإسلام، الطوسي، الفقيه الشافعي ولد بطوس في خراسان، من بلاد فارس سنة (450هـ/1058م)، قرأ في صباه على أحمد محمد الراذكاني، ولازم إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، درس بالمدرسة النظامية ببغداد

سنة (484هـ/1091م)، ترك الكثير من المصنفات أهمها: إحياء علوم الدين، المنقذ من الظلال،

مكاشفة القلوب، توفي بطوس سنة (505هـ/1111م) وعمره خمسة وخمسون سنة. ابن خلكان:

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص 04، ص 216 ؛

الغزالي: أبو حامد، مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، ط2، دار إحياء للعلوم،

بيروت، 1985، ص ص 07، 13؛ Samih A. El Zein: Assoufia et l'islam, Dar al

Kitab allubnani, Beirut, Lebanon, 1978, p: 125.

5 - حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، دار الجيل، بيروت، 1996، ص 402 ؛ محمد بن الخوجة: تاريخ معالم التوحيد في القديم والحديث، تحقيق =

وتأسست أول مدرسة في سبته سنة (635هـ/1237م)⁽¹⁾، ثم تأسست المدرسة المستنصرية ما بين سنتي (655-658هـ/1257-1260) في طرابلس، والتي يصفها التجاني: بقوله >>... وأحسنها المدرسة المنتصرية التي كان بناؤها على يد الفقيه أبي محمد عبد المجيد بن ابن أبي البركات بن أبي الدنيا رحمه الله تعالى⁽²⁾ وذلك ما بين سنة خمس وخمسين إلى سنة ثمان وخمسين، وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضعاً، وأظرفها صنعا>>⁽³⁾.

ثم ظهرت المدارس بعد ذلك في فاس، وقرطبة سنة (750هـ/1349م)⁽⁴⁾ وتلمسان في مطلع القرن الثامن الهجري/14م.

وقد اجتهد حكام بجاية في إنشاء العديد من المدارس، بهدف الإرتقاء بالتعليم، ولتعميم الفائدة، خاصة إذا علمنا أن المؤسسات التعليمية الأخرى لم يعد بوسعها استيعاب الأعداد الكبيرة من الطلبة لاسيما في المدن⁽⁵⁾.

وإن كانت المصادر التاريخية تمدنا بمعلومات عن عدد وأسماء المدارس التي كانت منتشرة في تونس وتلمسان⁽⁶⁾ ومدينة فاس بالمغرب

=الجيلاني بن الحاج يحيى، وحمادي الساحلي، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 279.

1 - للتفصيل أكثر حول تاريخ المدارس وظهورها ينظر: فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص ص 324، 326.

2 - الفقيه العالم المجتهد أبو محمد عبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدي الطرابلسي، التقى العديد من العلماء كعز الدين بن عبد السلام وغيره، كان بارعا في علمي الفقه والأصول، الغبريني: عنوان الدراية، ص 122.

3 -التجاني: محمد بن أحمد، الرحلة، د ط، المطبعة الرسمية، تونس، 1958، ص ص 251، 252.

يرى حمادة البخاري أن الفتن والصراعات، والدساتر والمؤامرات التي شهدها القرن الخامس للهجرة أدت إلى محاولة كل فرقة من الفرق إلى تشكيل التعليم، وتأويل الدين بما يخدم أهدافها، ويتفق مع مبادئها، تلك العملية التي امتدت إلى كل مظهر من مظاهر الحياة الفكرية. التعلم عند الغزالي، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987، ص 23.

4 - الفرد بيل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 351؛ قسوم: عبد الرزاق، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 21.

5 - جورج مارسية: بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمد عبد الصمد هيكل، د ط، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، 1991، ص 332.

6-أنشأ المرينيون العديد من المدارس في مدينة فاس وغيرها من المدن وأشهرها مدرسة الصغارين، ومدرسة العطارين، والمدرسة المصباحية، والمدرسة العنانية التي =

الأقصى⁽¹⁾ والتي تخرج منها الكثير من طلبة العلم في أنحاء المغرب الإسلامي، فإن هذه المصادر تسكت عن الحديث عن مدارس بجاية فلا تذكر عددها ولا أسماءها، وحتى الغبريني لم يتطرق في عنوانه إلى المدارس ولم يشر إليها سوى مرة واحدة عند حديثه عن العالم أبي عبد الله بن شعيب، حيث ذكر أنه >> وُلِّي المدارس فزانها بنظره وجملها بحميد أثره <<⁽²⁾.

أما عن الدروس التي كانت تلقى في هذه المدارس، فتتوعدت هذه العلوم والمعارف إلى ثلاثة أصناف:

- (1) - العلوم الدينية: مثل القرآن الكريم وعلومه، كعلوم الحديث، الفقه، وأصوله، والتوحيد.
- (2) - علوم اللغة : كالنحو والصرف، والأدب، وعلوم البلاغة، وقواعد الإنشاء ، باعتبارها مهمة جداً لإتقان العلوم الأخرى.
- (3) - العلوم الطبيعية والتجريبية : كعلم الفلك، والحساب، والطب، والصيدلة العشبية⁽³⁾.

وكانت السلطة العليا في المدينة هي التي تدير المدارس، فالسلطة هي التي تدفع رواتب المدرسين من العلماء والأدباء والفقهاء من بيت المال، أو من الأوقاف ومن المحسنين، إضافة إلى إعانات أو منح تمنح لبعض الطلبة⁽⁴⁾. كما كان الطلبة يستفيدون من المأوى في هذه المدارس، حيث كانت هذه الأخيرة توفر لهم المبيت، على أن يتكفل الطلبة بمصاريف الإطعام واللباس⁽⁵⁾.

تأسست (750هـ / 1349م)، الحريري: محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في

العصر المريني، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، 1985، ص ص 324، 325.

1 - اشتهرت بتلمسان العديد من المدارس نذكر منها: المدرسة التاشفينية: في عهد السلطان أبي تاشفين الأول (718-737هـ / 1318-1352م) والمدرسة اليعقوبية: التي أسسها السلطان أبو حمو موسى الزياني الثاني (760-791هـ / 1359-1389م)، حاجيات : الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة (4) ، العدد (26) جويلية/ أوت، 1975، ص 138.

2 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 173.

3 - يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر، مجلة الثقافة، السنة (11)، العدد(63) ماي/ جوان 1981، ص 13 ؛ جوزيف فان إيس: نشأة علم الكلام في الإسلام ، مجلة الأصالة، السنة (4) ، العدد (25) ماي/ جوان 1975، ص 25.

4 - برنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ، ج02، ص ص 377، 378.

5 - برنشفيك: المرجع نفسه ، ج02، ص 378.

أما الأساتذة والمدرسين فقد كانت روايتهم مغرية ومشجعة جداً، وذلك لتشجيعهم على أداء وظائفهم على أكمل وجه⁽¹⁾.

د- الزوايا :

للزوايا رسالة سامية، وعمل نبيل يتمثل في المحافظة على الإسلام، وتعاليمه وذلك بالتركيز على تعليم القرآن والعناية بالعلوم الشرعية واللغوية. والزوايا جمع زاوية، وهي مأخوذة من الفعل انزوى ينزوي، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للإعتكاف والتعبد⁽²⁾.

وسميت الزاوية بهذا الاسم لأن الذين فكروا في إنشائها أول مرة من الصوفية الذين اختاروا الانزواء والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلباً للهدوء والسكينة اللذان يساعدان على التأمل والرياضة الروحية⁽³⁾.

ثم تطورت الزاوية فيما بعد في شكل أبنية تضم مساجد لإقامة الصلوات الخمس، وفيها تعقد حلقات دراسية في شتى العلوم الدينية والعقلية من تعليم للقرآن وإلقاء لدروس الفقه والتفسير وعلوم الحديث، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر⁽⁴⁾.

كما أصبحت الزاوية مكاناً لإقامة طلبة العلم، أين تتكفل بايوائهم وإطعامهم، وتوفر لهم متطلبات معيشتهم، حيث يخضعون لنظامها التربوي والتعليمي، إلى جانب إستقبال وإطعام المسافرين وأبناء السبيل⁽⁵⁾.

¹ - Rober Brunchvic : la berberie Oriental sous les Hafside, Librairie d'Amérique et d'Orient. Paris, 1980, Tome2,p360.

عندما أصبحت المدارس يتعدد فيها أساتذة العلم الواحد، وجب تعيين رئيس لهم، وذلك لتوجيه وتنظيم عملية التدريس. مجاني بوبة، المدارس الحفصية نظامها ومواردها، مجلة العلوم الإنسانية، العدد (12)، 1999، ص 160.

² - صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، ط1، دار اليرق، بيروت، 2000، ص 301.

³ - المرجع نفسه، ص 302؛ علا الفاسي: نهضة التعليم الأصلي في الجزائر، مجلة الأصالة، العدد(07) مارس/أفريل، 1972، ص90.

⁴ - حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج04، ص 401؛ المهدي البوعبدلي: الرباط والفداء في وهران والقبائل، مجلة الأصالة، العدد(13)، مارس/أفريل 1973، ص26.

⁵ - ابن مرزوق الخطيب: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولاي أبي الحسن، تحقيق ماريّا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص413.

عرفت بجاية العديد من الزوايا التي كانت تهتم بالتعليم وتحفيظ القرآن الكريم، وقد ساهمت هذه الزوايا مساهمة فعالة في الحركة العلمية، وفي نشر التعليم بمختلف أطواره.

ويبدو أن ظهور الزوايا في بجاية قد بدأ أوائل القرن السابع الهجري/13م، حيث يذكر الغبريني في العنوان أن الفقيه أبا زكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ / 1215م) كانت له زاوية، لكن يبدو من كلام الغبريني أن هذه الزاوية كانت للعبادة فقط، وكانت عبارة عن بناية صغيرة ملحقة بالمسجد، بينما كان يؤدي الصلاة، ويعقد حلقات دروسه بالمسجد⁽¹⁾.

ويذكر لنا الغبريني إسم زاوية أخرى من زوايا بجاية وهي زاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي (ت622هـ / 1263) حيث يفهم من كلام الغبريني أن هذه الزاوية كانت تأوي الطلبة ومريدي الشيخ أبي الفضل، إلا أنهم كانوا يعتمدون على أنفسهم بأنفسهم، وذلك من خلال الخروج للصيد في البحر رفقة الشيخ⁽²⁾.

ونتيجة للانتشار الواسع للتصوف، وعناية أمراء بجاية بالمؤسسات التعليمية⁽³⁾ أصبحت الزوايا مركز إشعاع فكري وروحي، كالزاوية الملازية بفرجوية التي أسسها يعقوب بن عمران البويوسفي (ت717هـ / 1317م)⁽⁴⁾ الذي كانت له مراسلات عديدة مع شيوخ بجاية وصلحائها وعلمائها.

هـ- المكتبات :

شكلت المكتبات أهمية بالغة لدى المسلمين، حيث لقيت من الحظوة والإهتمام شأناً جعلها من أهم وسائط الثقافة والمعرفة.

وقد حث القرآن الكريم على القراءة في أول آية أنزلت ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾⁽⁵⁾، ومن هذا المنطلق إعتنى المسلمون بالكتب والمكتبات، حيث كانت أول مكتبة هي مكتبة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث تشكلت بما يجمعه من كتاب الوحي

¹ - الغبريني : عنوان الدراية، ص ص137، 138.

² - المصدر نفسه، ص ص 162، 163.

³ - Atallah dhina , les états de l'occident musulman au 13 et14 et15 siècles, O.P.U,

Alger 1984, pp303 , 304.

⁴ - ابن القنفذ: أنس الفقير، ص 40 .

⁵ - سورة العلق: الآية 01.

من القرآن الكريم، ومن الرسائل والمعاهدات التي كان يبرمها النبي صلى الله عليه وسلم مع القبائل و الملوك والقيصرة.

ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وانفتاح العالم الإسلامي على العديد من الحضارات كالحضارة الفارسية واليونانية، وما صاحب ذلك من حركة الترجمة، التي ابتدأت في العصر الأموي، وبلغت مجدها في العصر العباسي⁽¹⁾، زاد الإهتمام بالمكتبات التي أصبحت تحتوي على أمهات المصادر، ونفائس المخطوطات في جميع العلوم والفنون، حيث نشطت حركة التأليف، وازدهرت حركة الاستنساخ وتجليد الكتب.

والمغرب الإسلامي لم يكن ليقبل اهتماماً بالمكتبات عن غيره من أقطار العالم الإسلامي، وذلك لدخول علماء المغرب الإسلامي ميدان التأليف مبكراً، حيث اشتغل علماؤه وأدباؤه وأطبائهم بالتأليف في جميع العلوم والفنون، مما شكل مجموعات ضخمة من المؤلفات والتصانيف، لاسيما أن الكثير من المؤلفين قد ألفوا في أكثر من علم⁽²⁾.

وبما أن بجاية كانت تشكل حاضرة علمية وحضارية، فمن الطبيعي أن تكون قد احتوت على مكتبات، خاصة إذا علمنا أن العديد من أمراء بجاية قد ساهموا في إنشاء وإثراء هذه المكتبات⁽³⁾، غير أننا نتفاجأ بعدم العثور على معلومات كافية توضح احتواء بجاية على تلك المكتبات، اللهم إلا بضع الإشارات التي لا تروي الظمأ، حيث يذكر المؤرخ الفرنسي < شاربونو > أن تفسيراً نقلته عالمة عائشة البجائية بخطها، مما جعل أمير بجاية يجعله

¹ - الدفاع علي: روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998، ص 24.

² - حوالة يوسف: الحياة العلمية في أفريقية، ج01، ص 250.

³ - اعتنى الكثير من أمراء وحكام بجاية بإنشاء المكتبات، حيث خصصوا قاعات، ومقصورات للمطالعة، وزودوا هذه القاعات بألاف الكتب المختلفة حيث أوقفوها على طلبة العلم لكي ينهلوا منها، وينتفعوا بها، حتى أن الأمير أبي زكرياء (ت 647هـ / 1249م). ترك ستة وثلاثين ألف سفر من الكتب. ابن القنفذ: الفارسية، ص07؛ الزركشي: تاريخ الدولتين، ص 113.

بالمكتبة السلطانية ببجاية⁽¹⁾، وكتاب الثعالبي، يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر⁽²⁾، الذي رآه الغبريني (ت704هـ/1304م) بنفس المكتبة⁽³⁾. وقد كانت المكتبات ترتب وتنظم وفق ترتيب علمي، من حيث حفظ الكتب، وفهرستها، وتنظيم أوقات المطالعة واستقبال روادها، حيث كان القيم على المكتبة يشترط أن يكون عالماً متقفاً ذو مستوى علمي رفيع⁽⁴⁾. ويبدو أن أغلب المكتبات التي تأسست ببجاية أو المغرب الإسلامي عموماً كانت جلها مكتبات سلطانية، حيث يكون الإشراف على هذه المكتبات يتم بأمر من السلاطين وتحت رعايتهم، كما كانت هناك بعض المكتبات الأخرى التي توجد في المساجد والمدارس، وبيوت العلماء وكبار القوم.

و- الحلقات الخاصة:

وهي حلقات يعقدها العلماء خارج المؤسسات العلمية التي ذكرناها، وكانت هذه الحلقات لا تقتصر على العلوم الدينية المعروفة فقط، بل كانت تشمل حتى العلوم العقلية و الفلسفية، والتصوف. كما كانت بعض الحلقات تضم نجباء الطلبة ، لأنهم يستحقون في نظر العديد من الشيوخ والفقهاء عناية خاصة. يذكر لنا الغبريني في عنوانه العديد من هذه الحلقات الخاصة التي شاهدها أو حضرها ببجاية⁽⁵⁾، فيذكر أن للفقير العالم أبي علي حسن بن علي المسيلي مجلساً كان يجلس فيه رفقة أبي محمد عبد الحق الأشبيلي (516-

¹ - Cherbonneau: Aicha , poète de Bougie au 7 ème siècle de l'hégire , la Revue Africaine , Année(04) , (1859-1860) O.P.U. Alger , 1985 , p.p 34, 35.

² - هو أبو منصور الثعالبي، اشتهر بتأليفه (يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر)، حيث ترجم لشعراء المائة الرابعة ، ورتبه باعتبار الأقطار، فترجم لشعراء الشام ومصر، والمغرب والعراق، ولشعراء خوارزم، توفي سنة (429هـ/1037م). الغبريني : عنوان الدراية ، ص 79.

³ - المصدر نفسه، ص 79.

⁴ - برنشفيك: تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، ج02، ص 385.

⁵ - Urvoy.(Dominique):la structuration du monde des ulémas a bougie, au VII /XIII siècle, p101.

582هـ/1122-1186م⁽¹⁾) والفقير العالم أبي عبد الله محمد بن عمر القرشي، وكانوا يجلسون بالحنوت الذي هو بطرف حارة القدس، حيث كان هذا الحنوت يسمى مدينة العلم لاجتماع هؤلاء الثلاثة فيه⁽²⁾.

وكان للشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون التميمي القلعي (ت 673هـ/1274م)⁽³⁾ مجلساً يحضره خاصة الطلبة من النجباء و المجتهدين⁽⁴⁾ كما كان للشيخ أبي عبد الله محمد بن صمغان القلعي مجلساً خاصاً للتدريس يعلو سقيفة داره حيث يجتمع إليه خواص طلبته⁽⁵⁾.

ويذكر ابن قنفذ القسنطيني أن أبا عبد الله بن يحيى الباهلي المسفرت) 744هـ/1348م)، كان له مجلساً علمياً ببجاية يؤمه الفقهاء والفضلاء والصلحاء⁽⁶⁾.

¹ - الفقيه المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي، له العديد من المؤلفات منها: الأحكام الكبرى والصغرى في الحديث، والعاقبة في ذكر الموت، صحب الشيخ أبي مدين وتلمذ عليه، للتفصيل أنظر: ابن القنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقيير، ص ص 34، 35؛ الغبريني : عنوان الدراية، ص ص 73، 74.

² - الغبريني : المصدر السابق، ص 69.

³ - الفقيه النحوي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي، رحل إلى بجاية، كان بارعاً في علوم اللغة، وكان كثير التلاميذ، حيث كانت تقرأ عليه العلوم اللغوية والأدبية. الغبريني ، عنوان الدراية، ص 94.

⁴ - المصدر نفسه، ص 94.

⁵ - المصدر نفسه، ص 189.

⁶ - أنس الفقير، ص 51.

03-الرحلة العلمية :

اهتم المسلمون منذ العهد النبوي بالرحلة في طلب العلم، وما تشكله من قيمة كبيرة في التحصيل والتكوين العلمي، فأقبلوا على الارتحال والتنقل بين الحواضر والمدن رغبة في طلب العلم وطلباً للاستزادة، حيث عدت الرحلات العلمية من أهم السمات، أو خصوصيات الثقافة العربية الإسلامية⁽¹⁾ وبالرغم من أن هذه الرحلات قد تحكمت فيها ظروف سياسية في بعض الأحيان، إلا أن الرغبة الجامعة للعلماء في تنمية القدرات العلمية، وكسب صداقات جديدة بين العلماء، جعلت من الرحلة عاملاً من عوامل نمو ونشاط الحركة الفكرية والعلمية.

كما كان للدين دور كبير في الحث على طلب العلم والرحلة في سبيل التحصيل العلمي، فالقرآن الكريم اهتم بهذا الشأن كقوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾⁽²⁾.

كما حثت الأحاديث النبوية على طلب العلم والتنقل في سبيله، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: <من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة >>⁽³⁾.

فهذا جابر بن عبد الله يبلغه عن الرسول صلى الله عليه وسلم حديثاً، فيشد رحاله ويسير شهراً حتى يصل الشام ليتأكد من ذلك الحديث⁽⁴⁾.

كما أدى التعلق بالمشرق إلى كثرة الرحلات العلمية فالسفر لأداء مناسك الحج والعمرة، يستغرق مدة طويلة⁽⁵⁾، حيث كان العلماء يغتنمون هذه الرحلات للاستزادة من العلوم، فالمغاربة والأندلسيون كانوا يشكلون الجناح الغربي للدولة

1 - حوالة: يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في أفريقية ، ج01، ص 112.

2 - سورة التوبة، الآية : 122.

3 - أخرجه الإمام مسلم ، 58/01 ، وأنظر أيضاً أحاديث أخرى في الترغيب في طلب العلم وبيان فضله: العسقلاني: ابن حجر مختصر الترغيب و الترهيب، تحقيق أسامة محمد عبد العظيم حمزة ، ط01، دار الفتح، 1985، ص 10.

4 - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي ، بيروت، ج02، ص 70.

5 - إسماعيل العربي : دور المسلمين في تقدم الجغرافيا الوصفية والفلكية، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1994، ص 144.

الإسلامية، وهم كانوا يرون أنه لا بد للعلماء من كل الأقطار أن يتلاقوا، للاستفادة، وتبادل الآراء ومناقشتها.

ويعدّد الخطيب البغدادي (1) فوائد الرحلة العلمية، حيث ذكر خمس فوائد للرحلة في طلب العلم:

1- التمكن من الجوانب العلمية: وذلك بالاحتكاك بعلماء الأقطار الأخرى، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: >> إن الرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال <<(2).

2- نشر العلم الذي حصله العالم: وذلك أن أكثر العلماء كانوا ينبغون في بلد يضيق عن حمل نبوغهم لعدم توفر الكفاءات أو لقلّة اهتمام أهل البلد، بحيث يرحلون إلى مدن و بلدان تكون أوسع مجالاً للآراء، أين يكثر الانتفاع(3).

3 - اتساع الثقافة العامة: وذلك لكثرة إحتكاك العلماء ببعضهم البعض، حيث احتل الرحالون مراكز الصدارة في المجالس، واجتذبوا الناس إليهم بما يحكون من أنباء رحلاتهم العلمية، وما يذكرون من أحوال مشايخهم وأساتذتهم(4).

4- تنمية الفضائل والكمالات في النفس: حيث كان الرحالة يرغبون في مجاورة أهل العلم والفضل والالتقاء بهم للتأسي بأحوالهم وصفاتهم(5).

5- كسب صداقات جديدة خالصة: فالرحلة وسيلة نافعة في كسب أصدقاء جدد يتعرف عليهم، ويعرّف بهم أهل بلده، ويتحدث عن فضائلهم ومحاسنهم في مجالسه، فيؤدي ذلك إلى تعارف الشعوب وتحاببها(6).

وقد تكون الهجرة لدوافع سياسية أو اقتصادية، كحال علماء الأندلس وعامتهم، عندما تدفقت سيول مهاجري الأندلس إلى المغرب

1 - الخطيب البغدادي: أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت، ألف كتابه (الرحلة في طلب الحديث) حيث تتبع فيه من رحل من الصحابة والتابعين في طلب الحديث، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف الأصقاع.

2 - المقدمة، ص 598.

3 - الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1975، ص 25.

4 - المصدر نفسه، ص 25.

5 - المصدر نفسه، ص 26.

6 - المصدر نفسه، ص 28.

الإسلامي⁽¹⁾ حيث ابتدأت هذه الهجرة في أواسط القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي⁽²⁾ فتنقل عدد من أعلام الأندلس إلى الضفة الأخرى، وتولوا مناصب هامة في التعليم والإمامة والقضاء جعلتهم ينافسون علماء وفقهاء بجاية بل ويزاحمونهم حتى في المناصب التي كانوا يتولونها وذلك لجودة تكوينهم العلمي⁽³⁾.

لقد شهدت بجاية توافد الكثير من العلماء من مختلف الأقطار، كما شد طلاب العلم من أهل بجاية رجالهم إلى مختلف الحواضر المغربية والمشرقية، تدفعهم الرغبة في التحصيل العلمي على كبار شيوخ هذه الحواضر⁽⁴⁾، وقد أبلى هؤلاء الرحالة البلاء الحسن في سبيل التحصيل حيث تزودوا بمعارف المشرق، واستفادوا أيضاً من رحلات الأندلسيين إلى بلادهم، كما تمكنوا من العودة إلى بلادهم بالعديد من المؤلفات المشرقية⁽⁵⁾.

والأسماء التي سنوردها على سبيل المثال، لا تمثل كل الشيوخ الذين وفدوا على بجاية، أو الطلبة و الشيوخ البجائيين الذين تجشموا مشقة السفر في سبيل الدرس والتحصيل والتعمق، أو للتدريس والإفادة.

¹ - المطوي: محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط01، دار الكتب الشرقية تونس، 1954، ص 192؛ وأنظر أيضاً: شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، د ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983، ص 296.

² - نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، د ط، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 56، كان تأثير العلماء الأندلسيين الذين وفدوا إلى حواضر المغرب الأوسط إيجابياً خاصة في مجال التعليم: محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى أفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، السنة (4)، العدد (26) جويلية/ أوت، 1975، ص 56.

³ - ابن الأحمر: نشر فرائد الجمال في نظم فحول الزمان، تحقيق: محمد رضوان الذاية، د ط، دار الثقافة، 1967، ص 07.

⁴ - شهدت أغلب حواضر المغرب الأوسط توافد العلماء الأندلسيين، كما شهدت هذه الحواضر حركة الرحلة العلمية، كتلمسان مثلاً التي اشتهرت وتميزت بهذه الميزة، للتفصيل أنظر: عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص 327؛ عبد الحميد حاجيات: تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب <نظم الدرر والعقيان >> لأبي عبد الله التنسي، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1980.

⁵ - Urvoy.(Dominique):la structuration du monde des ulémas a bougie. au VII /XIII siècle, Dans studia islamic,XLIII(1976),p99.

*** نماذج من الرحالة :**

أ-رحالة بجائيون أو من علماء المغرب الأوسط: وهم الذين رحلوا في سبيل طلب العلم إلى المشرق، ومنهم:

01- الشيخ أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن محجوبة القرشي السطيفي (ت677 هـ /1278م):

الشيخ الفقيه ، الصوفي، رحل إلى المشرق لينهل من مختلف العلوم، لقي بالديار المصرية الشيخ أبو الحسن الحرالي (1). حيث استفاد منه في عدة علوم أهمها التصوف، يتميز بحسن المشاركة في كثير من العلوم، وله عدة مؤلفات ، وقطع شعرية صوفية(2).

02- الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري الأصولي (ت612 هـ /1215م):

من أهل بجاية، رحل إلى المشرق لطلب العلم، لقي العديد من العلماء، وُلِّي قضاء بجاية ثلاث مرات، كان عالماً بالفقه والأصول، يصفه الغبريني بالعالم الجليل، وذلك لتمكّنه في العلوم الشرعية(3) له العديد من المؤلفات كتقبيده على المستصفي لأبي حامد الغزالي (4)

03- الشيخ أبو علي ناصر بن أحمد عبد الحق المشذالي (ت731 هـ /1330م):

رحل إلى المشرق للاستزادة من علماء الأمصار، فلقى في مصر عز الدين بن عبد السلام، وغيره من الشيوخ الذين ذاع صيتهم في تلك الفترة(5)، فاستفاد منهم في علوم عديدة كالفقه والأصول والتفسير وأصول الدين، له شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه(6)، أثنى عليه ابن خلدون، حيث ذكر أنه جلب كتاب مختصر ابن الحاجب في الفقه، ونسخ مختصره، فقد كان المشذالي سبباً في انتقال هذا التأليف إلى سائر الأمصار المغربية(7).

1 - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 119.

2 - المصدر نفسه، ص 120.

3 - المصدر نفسه، ص 184.

4 - ترجم له أيضا :ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، د ط، أكاديمية المملكة المغربية، 1984، القسم الثاني، ص 271.

5 - الغبريني : عنوان الدراية، ص 200.

6 - المصدر نفسه، ص 201.

7 - ابن خلدون: المقدمة، ص 499.

04- الشيخ أبو علي عمر بن أحمد العمري البجائي (ت 660 هـ/ 1261م):

من فقهاء بجاية وعلمائها، رحل إلى المشرق لحج بيت الله الحرام، وللاستفادة من ملاقات العلماء، ورجع إلى موطنه بجاية بعدما حصل على مرغوبه، شارك في التدريس ببجاية في علوم الفقه، والأصلين، أصول الفقه، وأصول الدين⁽¹⁾.

ب- رحالة أندلسيون: وهم العلماء الذين هاجروا إلى بجاية بغرض التدريس والتعليم، ومنهم:

01- الشيخ أبو محمد عبد الحق الأزدي الأشبيلي (ت 581 هـ/ 1185م):

فقيه محدث من أهل اشبيلية، ولد في ربيع الأول سنة (510 هـ/ 1116م)، رحل إلى بجاية حيث أختارها وطناً ومقاماً⁽²⁾، ولي الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، كما جلس للوثيقة والشهادة، وكان أحد قضاة بجاية لمدة قليلة⁽³⁾ ألف العديد من المؤلفات خاصة في علمي الحديث والفقه، استفاد منه الطلبة ومن مؤلفاته كثيراً⁽⁴⁾.

02- الشيخ أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي الأندلسي (ت 674 هـ/ 1275م):

طبيب من أهل مرسية، ورد على بجاية، واشتغل بالطب، كما كانت له مشاركة في العديد من العلوم الأخرى، تتلمذ عليه الغبريني، ودرس عليه أرجوزة ابن سينا⁽⁵⁾. تولى طب الولادة ببجاية، توفي بتونس سنة (674 هـ/ 1275م)⁽⁶⁾.

¹ - الغبريني: عنوان الدراية، ص 228.

² - استفادت بجاية كثيراً من هجرة العلماء الأندلسيين الوافدين على المدينة، حيث كونوا نهضة علمية امتزجت فيها العلوم والآداب الأندلسية بالعلوم والآداب الأفريقية. المهدي البوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، مجلة الأصالة، السنة (2)، العدد (07)، مارس/ أفريل، 1972، ص 10.

³ - الغبريني: عنوان الدراية، ص 73؛ Urvoy.(Dominique):la structuration du monde des ulémas a bougie.p103.

⁴ - المصدر نفسه، ص 74.

⁵ - نفسه، ص 101.

⁶ - نفسه، ص 102.

كما رحل إلى بجاية العديد من المشاركة الذين ذكرهم الغبريني أو ترجم لهم، حيث ساهموا في الحركة العلمية بحاضرة بجاية، كأبي زكرياء المرجاني الموصلية⁽¹⁾، وتقي الدين الموصلية العراقي⁽²⁾.

الإمامية
الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - ترجم له الغبريني: المصدر نفسه، ص 165.

2 - نفسه: ص 166.

04- التعليم:

يعتبر التعليم من العوامل الأساسية لنمو الحركة العلمية والفكرية، ولدفع عجلة التطور والتقدم للمجتمعات، وترقيتها سلوكياً وحضارياً⁽¹⁾. وقد كانت بجاية في القرن السابع الهجري/13م، إحدى الحواضر الهامة التي ازدهرت فيها حركة التعليم بجميع أنواعه وأشكاله⁽²⁾، مما انعكس إيجاباً على المجتمع البجائي عموماً وعلى الحركة الثقافية والفكرية خصوصاً.

أ- أنواع التعليم:

01- التعليم الشعبي :

لقد حث القرءان الكريم في كثير من الآيات على طلب العلم، والاجتهاد فيه، وكذلك جاءت السنة النبوية بالكثير من الأحاديث الدالة على ذلك. وعندما أقبل الفاتحون المسلمون، وفي مقدمتهم الصحابة الذين عاشوا ظروف الوحي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حملوا معه مشعل الدعوة الإسلامية التي لن تنتشر وتتجذر في المجتمعات إلا بالتعليم، فكلما فتحوا مدينة قاموا بتأسيس المساجد والمؤسسات العلمية والتربوية، بل أن هؤلاء الصحابة أخذوا على عاتقهم مهمة القيام بالتعليم، فكانوا دعاة وفاتحين ومعلمين، وهكذا أخذ التعليم ينتشر في هذه الأقطار ومنها المغرب الإسلامي، خاصة بعد ما ترسخ الدين جيداً في هذه البلاد، حيث ظهرت أجيال حرصت على نقل هذه الرسالة العلمية إلى الأجيال التي جاءت بعدها، فسار التعليم بخطى ثابتة جنباً إلى جنب مع انتشار الإسلام⁽³⁾.

وكانت أبرز مظاهر التعليم في هذه المدة تتجلى في التعريف بأركان الإسلام، وشرح الآيات القرآنية وتفسيرها، والتعريف بالحلال والحرام من أمور الدين.

¹ - عبد العزيز فيلاي : تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص 338.

² - Urvoy.(Dominique):la structuration du monde des ulémas a bougie. au VII /XIII siècle, p99.

³ فيلاي:المرجع نفسه، ج02، ص 338.

وهذا النوع من التعليم، أي التعليم الشعبي، هو ضمان الحد الأدنى من المعارف الدينية التي تتيح للمسلم معرفة الشعائر الإسلامية فهو موجه إلى كافة الناس⁽¹⁾.

وقد أصبحت لهذا التعليم مناصب دينية وإدارية واجتماعية مثل : الإمامة والقضاء والفتيا والحسبة⁽²⁾.

وقد ظهر التعليم الشعبي جلياً في المغرب الإسلامي مع ظهور المرابطين في الصحراء، حيث غلب الجهل على سكانها، فانبرى المرابطون لنشر التعليم في هذه المناطق، بالرغم من أنهم ألزموا المجتمع على تعلم فقه الإمام مالك ، ومؤلفاته،كالرسالة والمدونة، ومنعوا تدريس بعض العلوم كالفلسفة⁽³⁾.

كما اعتنى الموحدون بحركة التعليم في المغرب، واهتموا بالجانب التربوي الشعبي ، فأدخلوا الطلبة والحفاظ في جهاز الدولة⁽⁴⁾ وفرضوا نظاماً صارماً ركزوا فيه على إجبارية التعليم بقراءة كتاب التوحيد للإمام المهدي بن تومرت⁽⁵⁾.

وقام الموحدون بمراقبة التعليم في المغرب الأوسط ، حيث فرضوا طوقاً على الفقهاء والصوفية الذين يقومون بتعليم العامة، وهذا ما يؤكد الغبريني في عدة مواضع من عنوانه، كالشيخ أبي مدين شعيب(ت 594هـ / 1198م) الذي

1 - الغزالي: أبو حامد ، إحياء علوم الدين، ط01، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، ص12.

2 - ابن عذاري : البيان المغرب، ج01، ص 17.

3 - المراكشي: عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد السعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949، ص 172.

4 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص 340؛ حيث يرى " أن الدولة ملزمة بنشر التعليم في المجتمع، والخليفة بصفته المسؤول الأول، فهو مكلف بتبليغ التكليف الشرعية وحمل الناس عليها، حيث يجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم، إما بأنفسهم وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك، وأن يرتب أقواماً لتعليم الجهال".

5 - اعتمد ابن تومرت في كتابه على التبسيط والتسهيل حتى يتمكن الناس من فهمه بسهولة كما قسمه إلى سبعة أجزاء، كل جزء يقرأ في يوم من أيام الأسبوع، كما سن المهدي بن تومرت قراءة الحزب القرآني صباحاً ومساءً، وعمل من بعده بهذه الطريقة عبد المؤمن (524 - 558هـ / 1130-1163م) فيلالي : المرجع نفسه، ج02، ص ص 340 ، 341.

وشي به عند الخليفة الموحد يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1198 م) فأمر صاحب بجاية أن يحمله إليه⁽¹⁾.

عرفت بجاية في أواخر القرن السادس والقرن السابع الهجريين/12 و13م، التعليم الشعبي، فقد أعطى لنا الغبريني أمثلة عديدة عن تصدر فقهاء وعلماء بجاية لتعليم العامة، فهذا أبوزكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ/1214م)⁽²⁾ الذي كان مجلسه مقصداً للعامة في الجامع الأعظم ببجاية، حيث كانوا يزدحمون على دروسه في الفقه وعلم التنكير⁽³⁾ وكان يقرأ عليهم كتاب (المسند الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (194-265هـ/809-878م)⁽⁴⁾، ويصف لنا الغبريني هذا المجلس بقوله >> ما يمر بمجلسه إلا نكر النار والأغلال والسعير، وتكاد تفيض قلوب الحاضرين في مجلسه ، هذا هو حاله دائماً ، وهذه الطريق هي أحسن الطرق إلى الله تعالى ، إذ جبل الله الخلق على أنهم لا ينفعلون غالباً إلا بالخوف ، ولأجل هذا كان أكثر الشريعة تخويفاً <<⁽⁵⁾.

¹ - الغبريني: عنوان الدراية ، ص 60.

² - هو أبوزكرياء يحيى الزواوي الفقيه الزاهد، ارتحل إلى المشرق للقاء العلماء والأفاضل ورجال التصوف، ثم عاد إلى بجاية ، كان عبداً زاهداً ورعاً وكان من الذين اشتهرت بهم بجاية توفي سنة (611هـ/1214 م) . ابن الزيات التادلي ، التصوف إلى رجال التصوف ، تحقيق أحمد التوفيق ، ط2 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، 1997، ص 428، مؤلف مجهول: مفاخر البربر ، تحقيق : عبد القادر بوباية ، ط1، دار أبي رقرق ، الرباط، 2005، ص 167.

³ - المصدر السابق ، ص 136.

⁴ - هو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ولد سنة (194هـ/809 م) ، ببخارى، نشأ في بيت علم وعبادة وورع فكان والده من كبار المحققين في ذلك العصر . انكب البخاري على طلب العلم في سن مبكرة، لما بلغ ثماني عشر سنة ذهب للبقاع المقدسة لأداء فريضة الحج ، وبعد قضاء المناسك بقي بمكة لطلب الحديث ، ثم بدأ في رحلاته العلمية طلباً للقاء العلماء من مختلف الأمصار ، حتى قيل أنه لقي أكثر من ألف شيخ ، أثرى البخاري المكتبة الإسلامية ، بالعديد من المؤلفات من أهمها الجامع الصحيح ، التاريخ الكبير ، الأدب المفرد ، التاريخ الأوسط ، التاريخ الأصغر ، الضعفاء ، بر الوالدين، قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم ، وهو أول مؤلف صنفه وعمره لا يتجاوز الثماني عشر سنة. توفي ليلة السبت في آخر يوم من شهر رمضان سنة (265هـ/878 م) وكان عمره يوم مات اثنتين وستين عاماً إلا ثلاثة عشر يوماً.الذهبي : تذكرة الحفاظ ، دط، دار إحياء التراث، بيروت، 1956، ج02، ص 55؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دط، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج02، ص 134.

⁵ - الغبريني : عنوان الدراية، ص 136.

وكذلك كان الشيخ أبو علي المسيلي ، يقوم بتدريس العامة الدين ، ويعرفهم بالحلال والحرام من أموره (1) حيث كان الناس في أشد الحاجة إلى مجالسه ودروسه بالجامع الأعظم (2).

وفي القرن السابع للهجرة /13م استمر علماء بجاية بتعليم العامة ، وبشكل أوسع مما كان عليه في أواخر القرن السادس الهجري/12م ، حيث أشار الغبريني إلى ازدياد الحلقات العلمية التي كان يقدمها علماء بجاية ، وإلى كثافة الدروس التي كانت تقدم إلى العوام ، ومن هؤلاء نجد أبو القاسم أحمد بن عجلان القيسي(ت 675هـ / 1277م) الذي أنفع الناس بعلمه(3) وأبو تمام الواعظ الذي اشتغل بتذكير العامة وتعليمهم يقول عنه الغبريني : >> كان له مجلساً يروق الحاضرين ، ويسر الناظرين ... وكان يوجد لكلامه في النفس أثر، وكان أكثر مجلسه التخويف، وكان له أتباع من الجمهور <<(4).
والفقيه أبو عثمان سعيد بن عبد الله الذي عاش في القرن 7هـ / 13م، حيث كان منشغلاً بترشيد الناس(5).

وشارك العلماء الأندلسيون الذين استقروا ببجاية في التعليم الشعبي، وترشيد العامة وتذكيرهم ، حيث استغلوا المعارف التي اكتسبوها ، والعلوم التي تعلموها في سبيل تعليم الناس والأخذ بأيديهم ، ومن هؤلاء نجد الفقيه أبي زكرياء يحيى الأندلسي، عاش في القرن (7هـ / 13م) والذي أبى إلا أن يساهم في التعليم الشعبي، حيث كان له مجلساً بالجامع الأعظم لتعليم الناس أحكام الدين(6).
وإذا كان التعليم الشعبي ببجاية قد بدأ بترشيد العامة وتذكيرهم ، وتعليمهم المبادئ الأولى للدين، وتبيين الحلال والحرام منه، وذلك بالتركيز على تدريس الفقه، والحديث، فإن هذا التعليم قد تطور بمرور الزمن، وهذا ما يؤكد الغبريني، حيث أضاف هؤلاء المعلمون والفقهاء مواد أخرى كعلم القراءات، وأصول الفقه، والتصوف، وأصول الدين(7).

1 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 67.

2 - المصدر نفسه ، ص 68.

3 - المصدر نفسه ، ص 116.

4 - المصدر نفسه، ص 180.

5 - نفسه، ص 198.

6 - نفسه، ص 224.

7 - نفسه، ص 116.

02- التعليم الاحترافي :

التعليم الاحترافي هو ذلك التعليم الموجه إلى النشأ الذين تتراوح أعمارهم ما بين سبع سنوات، وعشرين سنة في الغالب، حيث يتم الإعتماد في هذا التعليم على اللغة العربية الفصيحة كأداة للتواصل بين المعلمين والمتعلمين⁽¹⁾. وقد أدرج عبد الرحمن بن خلدون مهنة التعليم الاحترافي ضمن الصناعات المعاشية، ووضح الاختلاف بينه وبين التعليم الشعبي العام فإذا كان هذا الأخير هدفه ترشيد العامة من الناس، والوصول بهم إلى درجة معينة من العلم والفهم التي تؤهلهم إلى معرفة الأحكام الشرعية، وتمييز الحلال والحرام من أمور الدين، فإن التعليم الاحترافي هدفه تكوين جيل من الطلبة المتخصصين في العلوم، حيث كانوا يستمرون في مزاولة الدروس والتعمق فيها، وذلك بواسطة الرحلات العلمية، والتنقل بين الحواضر للإستزادة ولملاقة الفقهاء وكبار الشيوخ، ومن ثم يعودون إلى أوطانهم بعلم غزير ، يؤهلهم أن يكونوا من مصاف الشيوخ، ويؤهم لتولي المناصب العلمية للتدريس، وإدارة المجالس ، وتولي الخطط الإدارية⁽²⁾.

اجتهد الكثير من علماء بجاية في التكفل بالطلبة علمياً، وتكوينهم تكويناً خاصاً، يضمن لهم أن يكونوا شيوخاً وفقهاء، ومدرسين في شتى العلوم والفنون، وقد أورد لنا الغبريني أمثلة واضحة في عنوان الدراية، عن التعليم الاحترافي، أو التعليم الأكاديمي المتخصص الذي عرفته حاضرة بجاية.

فهذا الشيخ أبو مدين شعيب (ت 594هـ / 1198 م) كان يدرس التصوف للطلبة تعليماً تربوياً ، معتمداً على العديد من المصادر الصوفية⁽³⁾ وكان أبو علي المسيلي (ت أواخر القرن السادس الهجري/12م)، يقوم بالتدريس للطلبة ، حيث كان له إمام كبير بالتعليم⁽⁴⁾.

¹ - فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، ج 02 ، ص 343.

² - ابن خلدون: المقدمة ، ص ص 447 ، 481 ؛ فيلالي: المرجع السابق ، ج 02، ص 343.

³ - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 58؛ ابن القنفذ : أنس الفقير، ص 17.

⁴ - المصدر نفسه، ص 69.

وكان الشيخ عبد الحق الأشبيلي (ت581هـ/1185م) من العلماء الذين تفرغوا لتعليم الطلبة ببجاية ، حيث أستطاع أن ينهض بالتعليم ببجاية ، وأن يقدم للطلبة الشيء الكثير خاصة في علوم الحديث⁽¹⁾.

وأثنى ابن خلدون كثيرا على الفقيه أبي علي ناصر الدين المشذالي(631-731هـ/1233/1330م) الذي أرتحل من بجاية إلى المشرق، والتقى بأكابر العلماء كعز الدين بن عبد السلام، وشرف الدين السبكي، وأخذ عنهم، ولقن تعليمهم، ثم رجع إلى بجاية بعلم كثير وتعليم مفيد، حيث استفاد منه طلبتها⁽²⁾، ويصف الغبريني طريقة تدريسه بقوله >> ودروسه حسنة منقحة، وله عبارة جيدة، وهو كثير البحث، ومحفته في البحث أكثر من محفته في النقل<<⁽³⁾.

ومن علماء بجاية الذين اشتغلوا بالتعليم الفقيه أبو تميم ميمون البردوي (ت584هـ/1188م)، الذي كان يدرس الفقه، وأصول الدين على طلبة بجاية⁽⁴⁾.

وكان بعض الفقهاء يتخذ لنفسه مجموعة من الطلبة النجباء، يختارهم حتى يتم تكوينهم تكويناً خاصاً، كالفقيه الأصولي أبي عبد الله بن عبد السلام المعروف بابن الطير الذي اختار مجموعة من الطلبة الخواص لتعليمهم الفقه، والأصول⁽⁵⁾ والفقيه أبو الحسن علي بن عمران(ت670هـ/1271م) الذي كان يدرس على مجموعة من الخواص أصول الدين، والتصوف⁽⁶⁾.

ويذكر لنا الغبريني في برنامجه مجموعة من الشيوخ والفقهاء الذين تكون عليهم تكويناً علمياً معمقاً في العديد من العلوم والفنون كالفقه والأصول و التصوف واللغة العربية، وآدابها⁽⁷⁾، حيث كان لهؤلاء الأساتذة والشيوخ حلقات علمية تكوينية للطلبة تؤهلهم لأن يكونوا من خيرة العلماء والفقهاء، وترشحهم لتولي مناصب التدريس والأستاذية، وإدارة الخطط والمناصب الإدارية كالقضاء والفتيا والإمامة.

¹ - رابح بونار : عبد الحق الأشبيلي البجائي ، محدث القرن السادس عشر ، مجلة الأصاله ،

العدد(19) السنة(04) ، مارس، أبريل، 1974، ص 262.

² - المقدمة، ص 487.

³ - الغبريني : عنوان الدراية، ص 201.

⁴ - نفسه، ص 184.

⁵ - نفسه، ص 194.

⁶ - نفسه، ص 199.

⁷ - للتفصيل أنظر: برنامج مشيخة الغبريني، عنوان الدراية، ص ص307،323.

ب- مراحل التعليم :

كان التعليم بحاضرة بجاية مقسما إلى مرحلتين، المرحلة الأولى، والتي كانت تتم في الكتاتيب وموجهة لتعليم الصبيان، ويمكن أن نطلق عليها المرحلة الابتدائية أما المرحلة الثانية فهي التي تلي مرحلة الدراسة بالكتاب، حيث يبدأ الطلبة بالتعمق في دراستهم، وتتسم المرحلة الثالثة بالتخصص حيث لا يصلها إلا الطلبة المتفوقون أو الذين لديهم رغبة كبيرة في الوصول إلى درجات متقدمة من التحصيل العلمي تؤهلهم لأن يكونوا أساتذة وشيوخا، وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة الدراسات العليا.

01- المرحلة الأولى من التعليم:

وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ الصبيان سن السابعة، حيث كان أغلب الفقهاء يفضلون هذا السن، بالرغم من وجود بعض الأطفال الذين يدفعون إلى الكتاتيب في سن الخامسة والسادسة⁽¹⁾.

والواقع لم تكن هناك سن معينة أو محددة يبدأ عندها الطفل في تلقي العلم، بل كان الأمر متروكا لتقدير أولياء الصبيان، فإن وجدوا أن الطفل بدأ في التمييز والإدراك، بعثوا به إلى الكتاب⁽²⁾.

ويبدأ الصبية تعليمهم بتعلم الكتابة والقراءة، وحفظ القرآن الكريم وتلاوته، حيث كانوا يكتبون الآيات القرآنية على الألواح، ويرتلون القرآن بصوت واحد⁽³⁾. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون : >> إعلم أن تعليم الولدان القرآن الكريم شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات <<⁽⁴⁾.

وكان أولياء الأطفال يتحملون نفقة التعليم قبل القرن السابع، لأن الدولة لا تتدخل في شؤون الكتاتيب⁽⁵⁾، فليس للحاكم سلطان على هذه الكتاتيب، فهو لا ينشؤها، ولا

¹ - الأهوائي: أحمد فؤاد، التربية في الإسلام، د ط، دار المعارف، بيروت، 1983، ص 58.

² - المرجع نفسه، ص 59.

³ - الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج 02، ص 388.

⁴ - المقدمة، ص 594.

⁵ - فيلالى: تلمسان في العهد الزياني، ج 02، ص 344.

يشرف على سير التعليم فيها، ولا شأن له بها، وغالبا ينشئ المعلمون هذه الكتابات من تلقاء أنفسهم⁽¹⁾.

وأجاز الفقهاء عقاب الطفل إذا استحق العقاب، لكن لا يجوز عقاب الانتقام حتى لا يلحق بالمتعلمين ضرر، وأن يتدرج المعلم في العقاب، ولا يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط، لأن هذا المكان ليس بموضع الغضب والانتقام، وإنما هو موضع التأديب والتهديب⁽²⁾ ومعاينة الصبية بواسطة الضرب ضروري في التربية والتعليم، لكن على المتعلم أن يتجنب المواضع الحساسة والخطيرة كالرأس والبطن، ويجب على المتعلمين اجتناب السب والشتم وغيرها من التصرفات التي تضر بالتعليم، وتسيء إلى سمعة المؤدب أو المعلم⁽³⁾.

وعلى المعلم أن يعدل بين الصبية في التعليم، ولا يفصل بعضهم عن بعض بل يعلمهم بالسوية غنيهم مع فقيرهم⁽⁴⁾.

وليس على الصبية كراء الكتاب أو المكان المخصص للتعليم، بل يكون ذلك على عاتق المعلمين، فقد كان بعض المعلمين يكترون دكاكين يخصصونها لتعليم القرآن⁽⁵⁾.

وإذا كان أكثر الفقهاء قد اختلفوا في جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن فإنه على ما يبدو أن معلمي بجاية قد أثروا أخذ الأجرة من الأطفال ميسوري الحال فقط، كما كان يفعل الفقيه أبو عثمان سعيد بن زاهر الأنصاري البلبني (ت 654هـ/ 1256م)، حيث لم تكن له حرفة سوى الإشتغال بإقراء القرآن الكريم⁽⁶⁾. لكن بالرغم من هذا فإن هذه الأجور ما كانت لتكفل العيش الكريم لهؤلاء المعلمين، ولهذا نجدهم يستفيدون من بعض المساعدات المادية كالزيوت والشموع وبعض

¹ - الأهواني: التربية في الإسلام ، ص 63؛ كان بعض المعلمين يقوم بمهمة التعليم في المساجد، إلا أن الفقهاء منعوا الصبيان من التعلم في المساجد صوتا لها من النجاسة.

² - ابن خلدون: المقدمة، ص 597؛ Robert Brunchvic : la Berbère, oriental sous les hafside , p 358.

³ - المغراوي: أحمد بن أبي جمعة ، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلول ورابع بونار ، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1975، ص 41.

⁴ - ابن سحنون محمد : آداب المعلمين ، تحقيق: حسين حسني عبد الوهاب، ط2، دار بوسلامة للنشر والتوزيع، تونس، 1985، ص 85؛ القابسي : علي ، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، د ط، دار المعارف، 1983، ص 311.

⁵ - الأهواني : التربية في الإسلام ، ص 64.

⁶ - الغبريني : عنوان الدراية، ص 245.

البقول والحبوب، والفواكه المجففة⁽¹⁾، هذه المساعدات كان يستفيد منها أكثر المعلمين في جميع المؤسسات العلمية الحفصية⁽²⁾.

وكانت العطل التي يأخذها الصبية تتمثل في يومي الخميس والجمعة، ثم يعودون صبيحة يوم السبت⁽³⁾ بالإضافة إلى أيام الأعياد الدينية، كما كانت الظروف القاسية لبعض المناطق تجبر الطلبة على التوقف عن الدراسة صيفا⁽⁴⁾.

أما عن أهم المواد التي كانت تدرس في الكتاب، فهو القرآن الكريم، لأنه أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل من الملكات حسب تعبير ابن خلدون⁽⁵⁾.

ويبدو أن المعلمين قد اختلفوا في طريقة تدريس القرآن الكريم للصبيان في الأقطار الإسلامية، وهذا ما أكده ابن خلدون حيث يقول أن أهل المغرب يقتصرون على تعليم القرآن فقط وما يتعلق به من مسائل، ولا يخلطونه بغيره من العلوم كالحديث والفقهاء، والشعر، أما أهل أفريقية فيخلطون تعليم القرآن بالعلوم الأخرى، فطريقتهم أقرب إلى طريقة أهل الأندلس⁽⁶⁾.

وإذا كانت حاضرة بجاية لم تشذ عن باقي حواضر المغرب الأوسط في طريقة تعليم القرآن، إلا أن هذا الواقع قد تغير بوصول علماء الأندلس واستقرارهم بها، وكذلك بعودة الكثير من علماء وشيوخ بجاية من المشرق كأبي علي ناصر الدين المشدالي (ت731هـ/1330م) الذي تأثر بمنهج المشاركة، وعمل على إدخال بعض العلوم والمناهج الجديدة في نظام التعليم⁽⁷⁾ كتعليم النحو والعربية، والحساب، وكرواية الشعر، وتجويد الخط والكتابة⁽⁸⁾.

وكان يوجد للصبيان نوعان من المعلمين في هذه المرحلة، الأول ويدعى المعلم الملقن، وهو المكلف بتلقين الأطفال القرآن الكريم دون كتابته في الألواح، تنزيهاً

¹ - برنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، ج2، ص 378.

² - Robert Brunschvic : La Berbère, oriental sous les hafside, tome 2 , p 361

³ - الأهواني : التربية في الإسلام ، ص 64.

⁴ - Robert Brunschvic: OP.cit , P360

⁵ - المقدمة، ص 594 ؛ يذهب الكثير من الفقهاء إلى أن حفظ القرآن الكريم فرض كفاية على الأمة لئلا ينقطع عدد التواتر فيه، فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف، وتعليمه أيضا فرض كفاية، وهو من أفضل القرب. أحمد بن مصطفى : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1985، ص 365.

⁶ - المقدمة، ص ص594، 595.

⁷ - ابن خلدون: المقدمة، ص 478؛ الغبريني : عنوان الدراية، ص 200.

⁸ - ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 596.

لكتاب الله عزوجل من عبث الصبيان، والثاني هو المعلم المكلف بتعليم الصبيان الخط، حيث كان يكتب خطأ نموذجياً، يقوم الصبيان بتقليده⁽¹⁾.

02- المرحلة الثانية والثالثة من التعليم:

وهذه المرحلة تلي مرحلة الدراسة بالكتاب، حيث يكون الصبي قد حفظ القرآن الكريم، وألم بمبادئ القراءة والكتابة، وحفظ بعض المتون وتتنظم هذه المرحلة من التعليم بالمساجد، والمدارس⁽²⁾. وتتسم الدراسة في هذه المرحلة برغبة الطالب في اختيار المقررات والمواد التي يريد أن يدرسها، حيث يكون الطالب حراً من جميع القيود، ويختار بنفسه الشيخ الذي يروقه، أو المعلم الذي يريد أن يدرسه⁽³⁾. وكان الأساتذة يحترمون ميولات طلابهم، فلا يكرهونهم على دراسة علوم لا يريدونها، كآبي حسن علي الحرالي (ت 638هـ/1241م) الذي كان يخبر طلبته ببجاية عن الوظائف التي تلائمهم في المستقبل كالقضاء، أو التدريس، أو الفتيا، وبالتالي يتوجهون لدراسة العلوم التي تلائم هذه الوظائف⁽⁴⁾. وكان الشيوخ والمدرسون في هذه المرحلة يراعون المستويات العلمية للطلبة بحيث يقسمونهم إلى مجموعات، عكس المرحلة الأولى في الكتاب الذي يعتبر الفصل بين الصبيان أمراً منهيأ عنه، حيث كان لأبي عبد الله محمد القلعي (673هـ/1275م) قسمين من الطلبة، قسم يضم الطلبة النجباء، يلقي عليهم دروساً في النحو واللغة، وقسم ثاني يضم عامة الطلبة، ويشيد الغبريني بهذه الطريقة، حين يقول أنه لازمه أكثر من عشرة أعوام في القسم الأول، واستفاد منه كثيراً⁽⁵⁾. وكانت المواد التي يحبذ الطلبة دراستها، عاملاً مهماً في تحديد المقرر الدراسي، حيث كان أغلب الطلبة يتوجهون إلى العلوم الدينية خاصة الفقه، لأنه

1 - فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج 02، ص 346.

2 - المرجع نفسه، ص 343.

3 - أسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوي، د طه، مكتبة الانجلو، القاهرة، 1956، ص 121.

4 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 153.

5 - الغبريني: المصدر السابق، ص 94.

يضمن خير الدنيا والآخرة، فمن خلال عنوان الدراية نرى أن أغلب التراجم التي ترجم لها الغبريني كانوا فقهاء⁽¹⁾.

كما كان الطلبة في هذه المرحلة يدرسون العلوم اللغوية وما يتعلق بها من نحو وأدب، تمكنهم هذه المواد من بلوغ مستوى ثقافي وتعليمي رفيع⁽²⁾.

وكثيراً ما كانت الظروف السياسية وعلاقة الفقهاء والمدرسين بالسلطة عوامل مهمة في تحديد مضمون المقررات الدراسية، حيث كانت السلطة تتدخل دوماً في هذه المرحلة لتوجيه التعليم مع ما يتناسب مع مذهبها خاصة إذا علمنا أن غالبية فقهاء بجاية قد اعتنقوا المذهب المالكي، فضلاً عن السياسة المرنة التي لقيها المالكية من قبل الحفصيين⁽³⁾.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التخصص، ويمكن أن نقارنها اليوم بمرحلة التعليم العالي، حيث يتلقى الطلبة تعليمهم بنوع من التعمق والتخصص، كما يتوسع الطلبة في دراستهم، فإلى جانب العلوم الشرعية كالتفسير، والقراءات والفقهاء، والحديث، يدرس الطلبة علوماً أخرى كالعلوم الإجتماعية من فلسفة وتاريخ، حيث يدرسون هذه العلوم بمزيد من التفصيل⁽⁴⁾.

كما كان بعض الطلبة يحظى بالتنقل إلى جامعة الزيتونة والقرويين والجامع الأزهر بمصر، لإكمال دراستهم، وللاحتكاك بعدد أكبر من المعلمين والمدرسين⁽⁵⁾.

وكانت المنافسة العلمية تشد بين الأساتذة والعلماء الأندلسيين ونظرائهم من علماء بجاية والمغرب الإسلامي عموماً، حيث كان كل عالم يحاول إثبات قدرته على التدريس والعطاء العلمي، لأن التعليم في هذا المستوى يجلب لصاحبه

¹ - المصدر نفسه، ص 76، 85، 91، 93، 100، 122، 129، 173، يرى الدكتور فيلاي عبد العزيز: أن أغلب الطلبة يتوجهون لدراسة الفقه لأن أغلب الفقهاء ينصحون بدراسته، إضافة لبعض الأقوال الماثورة، والأبيات الشعرية التي تمدح الفقه وتفضله على بقية العلوم، وأنه أهم طريقة للحصول على المال والجاه، كما أن فترته الدراسية أقل من دراسة التفسير والحديث. المرجع السابق، ج 02، ص 344.

² - فيلاي عبد العزيز: جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سرتا، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، العدد (10)، السنة (6)، رمضان 1408هـ / أبريل 1988م، ص 77.

³ - ألفرد بيل: الفرق الإسلامية، ص 300.

⁴ - فيلاي عبد العزيز: جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، ص 77.

⁵ - فيلاي: المرجع السابق، ص 78.

الإحترام والجاه والمكانة الإجتماعية المرموقة، والدليل على ذلك ما ذكره الغبريني من أن المستنصر (647- 675هـ/ 1249- 1277م) أكرم الفقيه أبوبكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سيد الناس (ت659هـ/ 1260م) وقربه، وأسند إليه تدريس العلم بالمدرسة التي تقع عند جامع الهواء، والتي أنشأتها أم الخلائق⁽¹⁾.

ويقوم بتدريس هؤلاء الطلبة أساتذة وشيوخ متزلعون، وعلى مستوى راق من التعليم، يعينون بواسطة ظهير سلطاني، في المؤسسات التعليمية المختلفة، وكان لهؤلاء الأساتذة والشيوخ، معيدون ونواب⁽²⁾.

فالمعيد هو الذي يعين الأستاذ على نشر علمه، بحيث يعيد الدرس بعد أن يلقيه الأستاذ، وقد ذكر الغبريني في عنوانه العديد من المعيدين كأبي العباس بن الخراط الذي كان معيداً للشيخ أبي زكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ/ 1215م)، فكان المعيد يجلس بجانب الفقيه الزواوي، حيث كان يتلو جزءاً من القرآن الكريم والفقيه يقوم بتفسيره، كما كان هذا المعيد يقرأ بعض الأحاديث من كتاب صحيح البخاري، ثم يقوم الزواوي بشرح هذه الأحاديث⁽³⁾.

أما النائب فهو المدرس الذي ينوب الشيخ في حالة غيابه، فيتناوب معه التدريس، ويجب أن يكون مستواه العلمي في مستوى الشيخ الذي سينوبه أو أقرب منه، حيث كان الفقيه أبو علي المسيلي، (ت582هـ/ 1186م) يستنوب حفيده للتدريس مكانه، عندما يعرض له مرض⁽⁴⁾.

ويجب على الأستاذ أو المعلم أن تتوفر فيه بعض الشروط المهمة، كأن يكون وافر العلم، مطلعاً على أمهات الكتب والمؤلفات، قادراً على العطاء، والحفظ والتثبيت والصدق، والإنصاف⁽⁵⁾، فغالباً ما تعود شهرة الأساتذة إلى هذه الصفات التي يتحلون بها، حيث ينتقل إليهم الطلبة من مختلف المناطق للأخذ عنهم، كالشيخ أبي مدين شعيب (ت594هـ/ 1198م)، وأبي علي حسن المسيلي (ت582هـ/

1 - الغبريني : عنوان الدراية، ص 247 ؛ فيلاي : المرجع السابق، ص 78.

2 - فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، ج 02 ، ص 351.

3 - الغبريني: المصدر نفسه، ص 137؛ لازال ليومنا هذا العديد من الفقهاء والمدرسين، يعتمدون على المعيد ودوره في مساعدة المدرس، خاصة في الزوايا، والعهاد، حيث كثرة الطلبة تستدعي الاستعانة بالمعدين.

4 - الغبريني: المصدر نفسه، ص 70.

5 - فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، ج 02 ، ص 351.

1186م)، وأبي زكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ/1215م)⁽¹⁾ وغيرهم، ومن الأساتذة من كان يطلب من طلبته بالتقييد والكتابة عنه، كأبي فارس عبد العزيز بن مخلوف (ت602هـ/1205م) الذي كان يأمر طلبته بالتقييد عنه⁽²⁾، ومن الأساتذة من كان يأمر طلبته بعدم التقييد عنه، بل يأمرهم بالسماع والتركيز أثناء إلقاء الدرس فقط، كأبي مدين شعيب الذي نقل عنه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصنهاجي (ت640هـ/1242م) أنه كان يكره التقييد وكان يقول >> لا أريد أن يقيد عليّ شيء مما أقوله <<⁽³⁾، كما يشترط في المعلمين أن ينقطعوا من حين إلى آخر، ويتفرغوا لتجديد المعلومات بالمطالعة والبحث، أو أن يخصصوا أوقاتا للالتقاء مع بعضهم البعض للنقاش والمذاكرة، كالمجلس الذي كان يقيمه أبو علي المسيلي (ت582هـ/1186م) مع الشيخين أبي محمد عبد الحق الأشبيلي (ت581هـ/1185م)، والفقير أبي عبد الله القرشي، حيث كانوا يجلسون للمذاكرة في المسائل العلمية والفقهية، حتى يعودون للتدريس بنفس وعلم جديدين⁽⁴⁾.

1 - الغبريني: المصدر نفسه، ص 55، 66، 135 .

2 - المصدر نفسه، ص 92.

3 - المصدر نفسه، ص 192.

4 - المصدر نفسه، ص 69.

05- طرق ومناهج التدريس :

إهتم المعلمون والأساتذة بطرق ومناهج التعليم، فقد كان الاهتمام منصباً على مبادئ التربية وأدبياتها، كالترج في تلقين العلوم، حيث عدّه ابن خلدون عاملاً مهماً من عوامل التحصيل العلمي بقوله: << أعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً، وقليلًا قليلًا يلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويُقرب له في شرحها على سبيل الإجمال >> (1) وشدد ابن خلدون على أن يراعي المعلم أو الشيخ قوة الاستعداد والتلقي عند طلابه، << ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم >> (2).

وقد سار علماء بجاية على هذا المنهج ، حيث حافظوا على هذه التقاليد العلمية، فهذا أبو محمد عبد الله القلعي (ت 669هـ/1270م) يبدأ بالأسهل ثم الأصعب في إلقاء دروسه على الطلبة ، حيث يبدأ مجلسه بالفقه، ثم بالحديث (3). وكان أبو العباس أحمد الغماري (ت 672هـ/1273م) يبدأ دروسه بالفقه ثم يتبعه بالأصول (4)، ويفتح الفقيه أبو الحسن علي الحرالي التجيبي (ت 638هـ/1239م) مجلس تعليمه بالفقه ثم يتبعه بدرس في التفسير، ثم يتحول إلى علوم الحديث فعلوم اللغة العربية، وهكذا إلى أن يصل إلى علم المنطق، ثم يختم جلساته العلمية بالتصوف (5).

1 - ابن خلدون : المقدمة ، ص 589.

2 - المصدر نفسه ، ص 589.

3 - الغبريني : عنوان الدراية، ص 93.

4 - المصدر نفسه، ص 112.

5 - نفسه ، ص 146 ، 147 ، 148.

وكان المعلم أو الفقيه يفتتح درسه بالبسملة والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يشرع المدرس في إلقاء درسه، وكلما ورد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قام بالصلاة والسلام عليه⁽¹⁾.
و ينبغي للمعلم أن يراعي درجة الاستيعاب عند طلبته، كل حسب طاقته، ولا يخلط مسائل التعليم ببعضها بعض، وينبغي على المعلمين أن لا يفرقوا بين مجالس التعليم لأنه ذريعة للنسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض، على حد قول ابن خلدون⁽²⁾.

وكان الاعتماد على الذاكرة والحفظ أمراً مهماً، بحيث تعد وسيلة أساسية للتحصيل العلمي لدى الطلبة⁽³⁾.

أما طرق التدريس فقد تعددت في بجاية من شيخ لآخر حيث كان لكل فقيه أو أستاذ طريقته الخاصة في تقديم المادة العلمية وفي إلقاء دروسه، حيث عرفت حاضرة بجاية طريقتان أساسيتان من طرق التدريس:

أ- الطريقة الأولى:

وهي الطريقة التقليدية، حيث تعتمد على التلقين أو ما يسمى بالرواية الشفوية⁽⁴⁾، وهذه الطريقة لجأ إليها الكثير من العلماء والفقهاء في العديد من العلوم النقلية و العقلية، حيث يقوم المدرس بإلقاء الدروس مع شرحها، ويقوم الطلبة بالتقييد عنه⁽⁵⁾.

ويرى العديد من المؤرخين أن هذه الطريقة كانت منتشرة في حواضر المغرب الإسلامي، حيث قدم لنا الغبريني نماذج عن العديد من الفقهاء والمدرسين الذين فضلوا هذه الطريقة كأبي محمد بن عمر بن مخلوف (ت 686هـ/1287م)، الذي كان يعتمد اعتماداً كبيراً على الحفظ والتقييد⁽⁶⁾، وكالفقيه أبي العباس أحمد بن خالد (ت 660هـ/1261م)، الذي كان شديد التعلق

1 - آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبوريدة، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ج01، ص242.

2 - المقدمة، ص 590.

3 - فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص 352.

4 - المرجع نفسه، ج02، ص 352.

5 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 29.

6 - المصدر نفسه، ص 92.

بهذه الطريقة في التدريس، أي طريقة الأقدمين⁽¹⁾، وكان الفقيه أبو محمد بن عبد المجيد بن أبي البركات (ت680هـ/1281م) يأمر طلبته بالتقييد والحفظ حيث كان يحب التلقين والتدريس بالرواية في علم الفقه وأصوله، وكان يرى أن مثل هذه العلوم الشرعية لا تناسبها طريقة المحاوراة والمناقشة، وإعمال النظر والاجتهاد⁽²⁾.

وسلك هذا المسلك أيضا الشيخ أبو علي عمر المرساوي (ت القرن السابع الهجري/13م)، وبالرغم من معرفته الجيدة لعلم الكلام والمنطق، إلا أنه أثر طريقة التلقين والحفظ، لأنه كان يرى أنها الأنسب لأغلب العلوم الشرعية⁽³⁾.

ب- الطريقة الثانية:

وتعتمد هذه الطريقة على الإلقاء مع الشرح والمحاوراة، حيث يقوم أنجب الطلبة بقراءة النصوص أمام زملائه، ويسمى قارئ المجلس⁽⁴⁾، ثم يفتح باب المناقشة في هذه المسائل و المواضيع المراد دراستها، ويتولى المدرس أو الفقيه شرح هذه الدروس فقرة بعد فقرة حسب قدرته العلمية، وعلى قدر الأسئلة التي يطرحها الطلبة⁽⁵⁾.

لقد ساهمت هذه الطريقة في التعليم، والتي أعتمدها علماء بجاية، وكثير من علماء الحواضر الأخرى كقسنطينة، وتلمسان في تطوير التعليم، والرقى بالمناهج الدراسية، فازدهرت الدراسات الفقهية والشرعية، والعلوم اللغوية، وغيرها، كما كان التأثير الأندلسي في مناهج التعليم واضحا، حيث سارع طلبة بجاية لتلقي الدروس على شيوخ وفقهاء الأندلس، فكانت إسهامات العلماء الأندلسيين في التعليم ذات قيمة وفائدة، كما ظهرت إسهامات هؤلاء العلماء من حيث تجاوز الطرق القديمة المعتمدة في التعليم، واستبدالها بطرق ومناهج جديدة تعتمد على المحاوراة والمناقشة⁽⁶⁾.

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص 100.

2 - المصدر نفسه، ص 122

3 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 198.

4 - فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص 354.

5 - Brunschvic: la Berbèrie Oriental sous les hafside, Tome02, P 362.

6 - محمد الطالبي: الهجرة الأندلسية إلى أفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد (26)،

تسنة (4) جويلية، أوت 1975، ص 68.

وأشاد الغبريني بهذه الطريقة الجديدة في التعليم ، وبالشيوخ الذين اعتمدها فكان أحد الطلبة الذين تلقوا التعليم وفق هذا المنهج ، حيث ترجم لنا في كتابه للعديد من هؤلاء العلماء كالشيخ أبي علي المسيلي (ت 582هـ/ 1186م) الذي كان يدرس في بجاية وفق هذه المنهجية⁽¹⁾، وكأبي عبد الله محمد الكناني الشاطبي (ت 699هـ/ 1299م) الذي أثنى عليه الرحالة الأندلسي العبدري، وعبر عن إعجابه بطريقته في التعليم حيث عدّه من الأعلام الأكابر، ومن المدرسين الأفاضل، الذين سلكوا بالتعليم منهجاً فريداً يعبر عنه سعة علمه، ومقدرته على تحسين طرائق ومناهج التعليم⁽²⁾، واشتهرت بجاية بعالم آخر أثر هذه الطريقة في التعليم، واتخذها منهجاً في تدريسه حتى اشتهر بها، وهو الفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري (ت 682هـ/ 1283م)، الذي كان منهجه في التعليم يعتمد اعتماداً كلياً على الحوار والمناقشة والجدل، حيث يصف لنا الغبريني طريقة تدريسه بقوله: << فيكثر البحث، وتحدت القرائح، ويجيء بالمسألة الخلافية فيرتضي أحد وجهيها فيبحث عليه إلى أن يظهر الرجحان، ويقع التسليم، ثم يأخذ الطرف الآخر، ويلزم أصحابه ما كان هو يناظر عليه، فلا يزال إلى أن يظهر الرجحان في ذلك الطرف، ويقع التسليم أيضاً، وهذا من حدة فكره، وجودة نظره >>⁽³⁾.

وكان أبو القاسم بن أبي بكر بن زيتون (ت 691هـ/ 1291م)، من العلماء الذين برعوا في التعليم بطريقة الحوار والمناقشة، فكان يعمل بأسلوب الجدل والمناقشة⁽⁴⁾، وقد أثنى ابن خلدون على أسلوبه التعليمي الجيد، ومهارته في تلقين العلوم النقلية والعقلية، حيث عدّه من العلماء الذين طوروا طرق ومناهج التعليم⁽⁵⁾، وكان الشيخ أبو القاسم أحمد بن عثمان القيسي (ت 675هـ/ 1276م) إذا جلس للإقراء يحضر بين يديه الكتب المراد القراءة أو التدريس

¹ - الغبريني: عنوان الدراية، ص 69.

² - محمد العبدري: الرحلة المغربية ، د ط، دار البحث، قسنطينة، د ت، ص 24؛ الغبريني :

عنوان الدراية، ص 104.

³ - الغبريني : المصدر نفسه ، ص 112.

⁴ - نفسه، ص 115.

⁵ - المقدمة، ص 478 ؛ وأنظر أيضاً: برنشفيك: تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، ج 02،

ص 302.

منها ، ثم يأمر أحد الطلبة بالقراءة، ويقوم هو بالشرح، وهذا من اجتهاده و تثبته في المسائل العلمية⁽¹⁾.

ويؤكد ابن خلدون في سياق حديثه عن ناصر الدين عبد الحق المشذالي (ت 731هـ/1230م) ما ذهب إليه الغبريني، حيث كان المشذالي أحد أهم الأعلام الذين اعتمدوا الجدل والمحاورة وطريقة المناقشة، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون <حوظ المشذالي في العقليات والنقليات ورجع إلى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد، ونزل ببجاية، واتصل سند تعليمه في طلبتها >>⁽²⁾.

وإذا حاولنا إلقاء نظرة سريعة وشاملة حول العلوم التي كانت تدرس بحاضرة بجاية في القرن السابع الهجري/13م، فنجد أن هذه العلوم قد تنوعت بين العلوم الدينية والتي كانت تشمل علوم التفسير، والفقه وأصوله، والقراءات، وعلوم الحديث، والتصوف، والعلوم اللغوية، التي كانت تشمل النحو والبلاغة والشعر والنثر، والعلوم الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا، والعلوم الطبيعية والعقلية كالحساب والطب والصيدلة وعلم الفلك، ومن بين الكتب والمصنفات التي كان طلبة بجاية يدرسونها خلال المراحل الدراسية نجد ما يلي:

✓ كتب تفسير القرآن الكريم :

- 1-كتاب الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري(ت427هـ/1035م).
- 2-أحكام القرآن لأبي الحسن علي بن محمد الطبري (ت310هـ/922م).
- 3-كتاب التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد المهدي(ت404هـ/1013م).
- 4-الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لأبي محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي(ت546هـ/1151م).
- 5-الكشاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم محمد الزمخشري (ت535هـ/1140م)⁽³⁾.

1 - الغبريني: ص 116.

2 - المقدمة، ص 478.

3 - الغبريني : عنوان الدراية، ص ص 25،26؛ فيلالي عبد العزيز ، جوانب من الحياة الثقافية و تفكيرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سيرتا ، عدد(10) ص 79.

✓ كتب الفقه والأصول :

- 1- كتاب المدونة والمختلطة لسحنون عبد السلام بن الحسين بن سعيد التنوخي.
- 2- التهذيب لأبي سعيد البراذعي القيرواني (ت438هـ/1046م).
- 3- كتاب التفريع لأبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الجلاب البصري (ت378هـ/988م).
- 4- كتاب الواضحة لعبد الملك بن حبيب القرطبي (ت238هـ/852م).
- 5- كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م).
- 6- كتاب التلقين للقاضي أبي محمد عبد الوهاب (ت362هـ/972م)⁽¹⁾
- 7- كتاب المقدمات ، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن راشد (ت595هـ/1198م).
- 8- كتاب التبصرة لأبي الحسن اللخمي⁽²⁾.
- 9- كتاب المستصفي للإمام الغزالي (ت505هـ/1111م).
- 10- كتاب الإرشاد لأبي المعالي (ت478هـ/1085م).
- 11- كتاب جامع الخيرات للإمام سفيان بن عيينة (ت198هـ/813م)⁽³⁾.

✓ كتب الحديث :

- 1- كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت179هـ/795م).
- 2- جامع صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ/869م)⁽⁴⁾.
- 3- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (ت261هـ/874م).
- 4- سنن أبي داود لأبي عيسى محمد بن عيسى السجستاني (ت275هـ/888م).
- 5- جامع الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت297هـ/909م).
- 6- جامع النسائي لأبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي.
- 7- التمهيد والتذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م).

1 - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 26.

2 - الغبريني : المصدر نفسه، ص 27.

3 - المصدر نفسه، ص 28.

4 - واسمه الكامل : >> الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه<<.

8-المنتقى للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي(ت474هـ/1081م)⁽¹⁾.

✓ **كتب التصوف والتذكير :**

1-رسالة فضل مكة لأبي سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري(ت110هـ/728م).

2-قوت القلوب ومعرفة الطريق إلى معاملة المحبوب لأبي طالب محمد بن علي المكي(ت ق03هـ/09م).

3-الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري(ت465هـ/1072م)⁽²⁾.

✓ **كتب علوم اللغة العربية :**

1-كتاب الجمل للزجاجي ، وعنوانه الكامل: << الجمل الكبرى في النحو >> لصاحبه عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت340هـ/951م).

2-كتاب سيبويه(ت180هـ/796م).

3-كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي(ت377هـ/987م).

4-كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه(ت327هـ/938م).

5-كتاب آداب الكتاب لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت276هـ/889م).

6-كتاب الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس(ت231هـ/845م).

7-كتاب المقامات لأبي محمد بن القاسم بن علي الحريري(ت510هـ/1116م)⁽³⁾.

فمن خلال هذه المجموعة من المؤلفات التي كانت تدرس ببجاية، يتبين أن أغلب هذه المؤلفات مشرقية، خاصة في مجال العلوم الدينية، كما نلاحظ دخول بعض المقررات الأندلسية في منظومة التدريس ببجاية خلال القرن السابع الهجري/13م.

1 - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 26.

2 - المصدر نفسه، ص 28.

3 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 27؛ فيلالي عبد العزيز: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ط01، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص100.

06- تعليم المرأة :

شجع الإسلام تعليم المرأة، بحكم أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، لقوله صلى الله عليه وسلم: >> طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة <<، إلا أن المرأة ظلت محرومة من هذا الحق إلا في حالات نادرة، كما يقول الدكتور فيلاي عبد العزيز⁽¹⁾، وكانت المرأة تدرس قبل البلوغ في الكتاب، مع الأطفال القرآن الكريم ومبادئ الفقه والعلوم الشرعية، ومبادئ الكتابة واللغة العربية، وكانت المرأة في بعض الأحيان تنافس الرجل في الجد والاجتهاد، والتحصيل العلمي، إلا أن هذه الفرص لم تكن متاحة لجميع النساء، لأن أغلبهن يتوجهن بعد البلوغ إلى تحمل مسؤولية البيت والإنجاب وتربية الأطفال.

أما النساء اللواتي برزن في الميدان العلمي في المغرب الأوسط عموماً، فكن ينتمين في أغلب الأحيان إلى الفئة الخاصة من المجتمع، وهي فئة الحكام والسلطين، أو فئة الحكماء والفقهاء، الذين كانوا يحرصون على تعليم بناتهم كتعليم أبنائهم⁽²⁾.

وكانوا في الغالب يخصصون مدرسين ومعلمين يدرسونهن في منازلهن وبيوتهن، وفي هذا الشأن يقول ابن القنفذ: عند حديثه عن الشيخ أبي عبد الله محمد الصفار: >> ... واختصه والذي رحمه الله لبناته يعلمهن القرآن ولم تفارقه إحداهن حتى ختمت وكررت ثلاث مرات <<⁽³⁾.

لم يتطرق الغبريني في كتابه >> عنوان الدراية << إلى تعليم المرأة، سوى مرة واحدة فقط عند حديثه عن عالمة عائشة البجائية، ويبقى السؤال المطروح، هل بجاية في القرن السابع لم تكن بها نساء عالمات غير هذه العالمة؟ أو هل أن أهل بجاية لم يكونوا يهتمون بتعليم المرأة؟

ومن خلال تجولنا في تراجم كتاب العنوان، نجد أن الغبريني لم يهتم للترجمة للنساء العالمات، ولم يعطينا فكرة عن تعليم المرأة، وربما لم يكن

¹ - تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص 355.

² - المرجع نفسه، ج02 ص 355.

³ - ابن القنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقيير، ص 45.

اهتمامه منصباً في هذا المجال، ويؤكد هذا قوله في آخر ترجمته لعائشة البجائية حيث قال: >> وطارحها الله طرائف أخبار ومستحسنات أشعار، لكن هذا الموضوع لم يقصد به هذا المعنى فيقع منه الإكثار، وإنما المقصود منه صورة التعريف بالرجال، وذكر بعض شواهد الحال<<(1).

وبالرغم من حديثه عن عالمة عائشة البجائية، إلا أنه يلاحظ عليه، أنه لم يفرّد لها ترجمة مستقلة، بل ذكرها مع ترجمة والدها الشيخ أبو الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني(ت القرن السادس الهجري/13م)(2). ومن هنا يتبين لنا أن غرض الغبريني هو الترجمة للرجال، العلماء الذين اشتهروا بتفوقهم العلمي والفكري.

لقد أشاد الغبريني بعائشة البجائية، حيث قال عنها:>> كانت أديبة أريبة فصيحة لييبة<<(3)، كما ذكر أن لها خطأ حسناً، نسخت كتاب الثعالبي>> يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر<<(4).

1 - الغبريني : عنوان الدراية، ص 80.

2 - ترجم له الغبريني، ص 76، وكان من رجال القرن السادس الهجري.

3 - المصدر نفسه، ص 78، 79.

4 - نفسه، ص 79.

07-الإجازة العلمية :

بعد أن يتم الطلبة دراستهم وبحثهم المستفيض، يتوجون بشهادات يمنحها إياهم شيوخهم ومدرسيهم، وتعرف هذه الشهادات في العصر الوسيط بالإجازة، يذكر فيها أصحابها الشيوخ والأساتذة الذين درسوا على أيديهم وتعلموا عليهم في مختلف الحواضر، والمقررات الدراسية التي درسوها وأجيزوا فيها⁽¹⁾. وتدل الإجازة على المستوى العلمي الرفيع الذي يصل إليه الطلبة بعد سنوات من التحصيل و البحث المعمق، حيث يصبح أهلاً لكي يُدرّس ويتصدر للإقراء، والإفتاء بعد أن يجاز في العلم الذي حصله، أو الكتاب الذي درسه، ويجب على المجيز أن يكون عالماً لما يجيز به في دينه، ورواياته، معروفاً بالصلاح والعلم، كما يجب على المستجيز أن يكون أيضاً من أهل العلم متمسماً بسمته⁽²⁾.

يقول الغبريني(ت 704هـ/ 1304م) في عنوانه عن شيخه أبي محمد بن عمر بن مخلوف(ت 686هـ/ 1287م): >> شيخنا الجليل المتقن المحدث أبو محمد بن مخلوف قرأت عليه، وحضرت دروسه، وسمعت منه كثيراً، وقرأت عليه الجلاب، والموطأ بالجامع الأعظم <<⁽³⁾.

ويذكر الغبريني أيضاً في برنامجه مجموعة الأساتذة الذين درس عليهم، وأجازوه بقوله:>> أما علم الفقه فإني تلقيتّه علماً وتفهماً وتبسّطاً بالقراءة على الفقيهين:أبي محمد عبد العزيز القيسي وأبي محمد بن عبد الله بن عبادة⁽⁴⁾ قرأت عليهما، وسمعت، منهما ، وتفقهت عليهما ومازلت أحضر مجلسهما للاستفادة والنفع ، وما من شيء من الكتب المذهبية إلا وكان يقرأ عليهما من التهذيب إلى الرسالة، وأما موطأ مالك رحمه الله فهو أصل دروسهما، وكل ذلك

¹ - فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص 355،تنقسم الإجازة إلى نوعين:إجازة عامة وتكون في مجموعة من الكتب، وإجازة خاصة وتكون في علم واحد، أو كتاب واحد.

² - المرجع نفسه، ج02، ص 356.

³ - الغبريني: عنوان الدراية، ص 91، 92.

⁴ - المصدر نفسه، ص 307.

على إتقان وتحصيل، وجودة بيان >>⁽¹⁾، وأجاز الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الحق اليعفري التلمساني (ت 625هـ / 1227م) الفقيه أبا عبد الله محمد الخشني البجائي، الذي رغب إليه في ذلك، فأجابه بقوله >> أجبتك بأحسن تحية، وامثالاً لما جاء به خير البرية، نعم وأجبتك إلى ما سألته وطلبته إجابة من يعلم أنك أهل له، وإذن من تحقق أنك قائم به لشواهد طلبك، وبوارع أربك إجابة عامة بشرطها فتلقها تلقى أمثالك، واعمل لحسابك عمل نظراتك والعمل جمال العلم، وخادم له مرتبط به لمن أراد السعادة، وسعى لها، قال الله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾⁽²⁾، مع شروط الإجازة عند أهلها القائلين بإجازتها جعلنا الله وإياكم ممن استمع القول واتبع أجمله، وممن ختم بالحسنى عمله أمين، قاله وكتبه حامداً ومصلياً على نبيه محمد بن عبد الحق بن سليمان⁽³⁾ في ذي الحجة عام ثلاثة وستمئة>>⁽⁴⁾، وأجاز الفقيه أبو عبد الله محمد بن اليعفري التلمساني السابق الذكر، الشيخ أبا زكرياء يحيى بن علي بن جلوس المهداني⁽⁵⁾ الذي رغب إليه في ذلك بقوله: >>حيرغب إلى الشيخ الفقيه الزكي المحصل الأفاضل، أبي عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الفاضل أبي محمد عبد الحق بن سليمان اليعفري أدام الله كرامته، وأبقى بركته ووصل رفعتة مجل قدره ومؤثر بره، الراغب في بركات دعائه وإلى الله تعالى في إطالة بقائه يحيى بن علي بن حسن بن جلوس المهداني في الإنعام عليه بإجازة ما اشتمل عليه برنامج روايته عن أشياخه رضي الله عنهم، وما سند عنه من قراءاته ومسموعاته وإجازاته ومناولاته وتأليفه في فنون العلم، وماله من نثر وعلم ونظم منعماً ومتفضلاً عليه بالإسعاف بمطلوبه من ذلك والإجابة إليه، والله عزوجل يعينه على بره، ويمتع ببركاته وبصالح دعائه والسلام الأتم، الجزيل المبارك الحفي يخصه ورحمة الله وبركاته>>⁽⁶⁾.

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص 307.

2 - سورة فاطر : الآية : 10.

3 - محمد بن عبد الحق بن سليمان: فقيه ومحدث، حافظاً، متكلماً في علوم جمّة، ولد سنة (536هـ/1141م) وتوفي بتلمسان سنة (625هـ/1227م). الغبريني: عنوان الدراية، ص 220.

4 - المصدر نفسه، ص 220.

5 - أبو زكرياء بن علي بن جلوس المهداني أحد فقهاء مدينة بجاية، وكانت له معرفة بعلم الوثائق، بلغ مرتبة الإفتاء، المصدر نفسه، ص 220.

6 - الغبريني عنوان الدراية، ص 221.

فأجابه بقوله: >> أجزت لكم أكرمكم الله جميع ما سألتموه وأبحت لكم من ذلك ما طلبتموه أجازة عامة على شروطها المعمول بها عند القائلين، إذ أنتم أهل لذلك نفعكم الله ونفع بكم، فلتستعمل نفسك ولتتوخ هديك في العمل بمقتضى ما علمك الله من ذلك أبلغكم الله أملككم، وختم بصالح عملنا وعملكم، قاله وكتبه حامداً لله، ومصلياً على نبيه محمد وعلى آله، بتاريخ جمادى الآخرة من سنة خمسة عشر وستمائة<<⁽¹⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أغلب الشيوخ كانوا يتشددون في إعطاء الإجازات حتى يصل الطلبة إلى مستوى عال من الحفظ والتحصيل والبحث، يؤهلهم لنيل هذه الإجازات، يذكر الغبريني أن أبا العباس أحمد بن خضر الصدفي الشاطبي (ت 674هـ/1275م) ⁽²⁾ كان قليلاً ما يجيز في علم القراءات إلا بعد التحصيل الجيد، وكان متشديداً في هذا الأمر ولم تكن له مسامحة فيه⁽³⁾. فبعد الحصول على الإجازة، يصبح الطالب شيخاً، ويتحصل بذلك على لقب الأستاذية الذي يؤهله لأن يكون من مصاف العلماء والفقهاء والأدباء الكبار، له مكانته في المشيخة العلمية⁽⁴⁾.

¹ - المصدر نفسه، ص 221.

² - أبو العباس الشاطبي: (ت 674هـ/1275م) فقيه مقرئ رحل إلى بجاية واختارها موطناً، له معرفة واسعة بعلم القراءات، ألف العديد من التأليف في هذا الفن ، أنظر الغبريني : عنوان الدراية، ص 108.

³ - المصدر نفسه، ص 109.

⁴ - عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص 357.

08- الوراقة:

لما توسعت الدولة الإسلامية مشرقاً ومغرباً، وما تابع ذلك من ظهور مظاهر الحضارة المختلفة، حيث أصبح الاهتمام بالنسخ والتجليد وسائر الأمور المكتبية متزايداً، نتيجة لكثرة التأليف، وحرص السلاطين والعلماء على تناقل هذه التأليف العلمية عبر الأقطار(1). وكان هدف السلاطين والفقهاء والخطاطين، أن يتقربوا إلى الله عزوجل بنسخ المصاحف والمؤلفات العلمية، ووقفها(2). وقد عرفت مدينة بجاية نسخ المؤلفات بمختلف أنواعها وأشكالها، حيث أورد لنا الغبريني نماذجاً من اهتمام علماء بجاية بهذه الصناعة، فيقول عن عالمة عائشة البجائية بنت أبي الطاهر عمارة بن يحيى الشريف الحسني، أنها كانت تتميز بخط جميل فكانت تنسخ الكتب، ومن ذلك كتاب يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر لأبي منصور الثعالبي (ت429هـ/1037م) حيث يصف الغبريني هذه النسخة بالجودة والحسن(3). وكحديثه عن الفقيه أبي محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري البجائي(ت675هـ/1286م)(4) حيث ذكر أنه كان خطاطاً بارعاً، وكانت له خطوطاً جميلة، فكان يكتب بجميع الأنواع المشرقية والمغربية دون أن يخلط هذا الخط مع غيره من الخطوط(5).

1 - ابن خلدون: المقدمة، ص 467.

2 - فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص337. كان اهتمام الخلفاء في الغرب الإسلامي بالوراقة كبيراً، حيث شارك الكثير منهم في نسخ الكتب وكتابتها، فهذا الخليفة أبو حفص عمر المرتضى (ت665هـ/1267م) الذي كان خطاطاً بارعاً، أبي إلا أن يشارك في نسخ الكتب، ولا يزال يوجد بخطه أثران جليلان: ختمة قرآنية كانت في عدة أجزاء كتبها عام 654هـ/1256م، ونسخة من الموطأ للإمام مالك بن أنس في سفرين، أستسخها بخطه. محمد المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، ط01، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1991، ص36.

3 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 79.

4 - فقيه صوفي ولد ببجاية وقرأ بها، برع في العديد من العلوم كالفقه وأصوله، وأصول الدين، والتصوف، والفرائض، تخطط بالعدالة وولي قضاء بجاية. أنظر الغبريني، عنوان الدراية، ص 85.

5 - المصدر نفسه، ص 86؛ اهتم المسلمون كثيراً بتطوير الخط العربي، وكانت مساهمة المغاربة والأندلسيين كبيرة في هذا الميدان حيث قاموا بتحسين الكوفي وتليينه كما حصل في القيروان وغيرها من الأقطار، للتفصيل: شريف: محمد بن سعيد: خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 255؛ فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص ص 337، 338.

لقد كانت هذه أهم عوامل نمو الحركة العلمية والفكرية ببجاية، بفضل مساهمة السلاطين الحفصيين وعنايتهم الفائقة برجال الفقه والأدب والثقافة، وبفضل ما كانوا يجودون به عليهم من منح ومساعدات للرفي بالمستوى العلمي بحاضرة بجاية.

كما كان الاعتناء بالمؤسسات الدينية والتربوية مشهوداً، كالمساجد ، والكتاتيب ، والزوايا، حيث تطورت هذه المؤسسات وأصبحت منارات علمية تؤدي وظائفها بمستوى راق، كما أدى الاهتمام بالتعليم وطلابه إلى نشاط حركة التعليم والتأليف خاصة إذا علمنا الدور الكبير الذي قام به العلماء الأندلسيون الذين وفدوا على بجاية.

فهذه العوامل وغيرها ساهمت بلا شك في تطوير مختلف الحركة العلمية والفكرية، مما خلق نشاطاً علمياً وفكرياً ساهم في الرقي بالمجتمع، والذي كان من نتائجه ظهور كوكبة كبيرة من العلماء المتخصصين في مختلف المجالات، كالفقه والعلوم الشرعية، والعلوم اللغوية والأدبية، والتصوف، ونشاط حركة التأليف.

العلوم الدينية في بجاية من خلال عنوان الدراية

تعد الدراسات الشرعية المظهر والمطلب الأساسي للحياة العلمية في أي قطر من الأقطار، أو حاضرة من الحواضر، حيث حرص المسلمون منذ فجر الإسلام على التعرف على هذا الدين الجديد، ودراسة تعاليمه فعمدوا على دراسة القرآن الكريم بصفته دستور الإسلام، واهتموا بالسنة النبوية الشريفة التي بها تستكمل أحكام الدين، فعلى أساس هذين الأصلين قامت العلوم الدينية، حيث كان أهمها الفقه والأصول والتفسير والحديث النبوي، بالإضافة إلى علوم القرآن والقراءات⁽¹⁾.

وتميزت حاضرة بجاية في القرن السابع للهجري 13 ميلادي، كغيرها من الحواضر بتأثير الدين، أو الدراسات الشرعية على المظهر العام للحياة الفكرية، وحتى الحياة اليومية للناس، ولهذا الغرض، سخر الفقهاء والعلماء البجائيون كامل طاقاتهم واهتمامهم لهذه العلوم، التي تطورت، وازدهرت⁽²⁾، خاصة إذا علمنا أن أغلب هؤلاء العلماء أخذوا على عاتقهم مشقة التعليم، والتفقيه وإرشاد الناس حيث كان العامة يدركون أن طلب العلم فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وواجب على كل فرد أن يلم على الأقل بالحد الأدنى الذي يضمن له أداء الفرائض على أكمل وجه، فمن هذا المنطلق سارع الناس إلى حلقات العلم، وإلى دروس الفقهاء والعلماء للنهل من علومهم، كما كان لتشجيع السلطة للعلماء الأثر البالغ في التقليل من الأمية، حيث ساهم أمراء بجاية في جلب

¹ - يرى الدكتور عبد العزيز فيلالي "أن العلوم الدينية بقيت منسجمة في مجملها، ونقية في معظمها من البدع المذهبية والفكرية، التي مزقت وحدة المشرق، وذهبت بانسجامه السياسي والعقدي والمذهبي، عكس بلاد المغرب الذي ظل يحتفظ بوحدة المذهب المالكي، وريادته في البيئة المغربية والأندلسية، حتى صارت الفئة المتعلمة والحكام وطبقات المجتمع المختلفة لاتعمل في مجال الفقه إلا به، ووفق آرائه" تلمسان في العهد الزياني، ج 02، ص 435.

² - صالح مهدي الخضير: النشاط الثقافي لعلماء بجاية الأفريقية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد (38)، السنة (10)، ص 47.

الفصل الثالث

العلوم الدينية ببجاية من خلال عنوان الدراية

01- علوم القرآن والتفسير

02- علوم الحديث

03- علم الفقه

04- أصول الفقه، والعلوم الدينية الأخرى

العلماء و تشجيعهم ، و تنظيم حلقات العلم و الوعظ ، و الإنفاق عليها (1) ، مما أدى إلى نشاط الحركة العلمية ، فكان الناس يؤمون المجالس و حلقات العلم بجميع أنواعه المختلفة من فقه و تفسير و أصول و نحو ، و ازداد الاهتمام بالعلوم العقلية المختلفة خاصة مع قدوم علماء الأندلس الذين أضفوا على النشاط العلمي تطورا و ازدهارا ملحوظا.

وإذا ألقينا نظرة متأنية على التراجم التي ذكرها الغبريني في عنوان الدراية ، نجد بأن هؤلاء قد ضربوا بسهم وافر في العديد من مجالات العلوم النقلية و العقلية (2)، حيث تعددت إسهاماتهم في الكثير من العلوم تدريسا و تأليفا .

01- علوم القرآن والتفسير:

شكلت دراسة القرآن الكريم، وحفظه وتدرسه اهتماما بالغا لعلماء بجاية، لكونه كلام الله المنزل، ودستور الأمة التي تستمد منه جميع تشريعاتها، حيث كانوا يدرسونه ويدرسونه في الكتاتيب والزوايا بقراءاته المتعددة والمتواترة عن الصحابة، كما اعتنى علماء بجاية بعلم التفسير، فقاموا بتفسير القرآن لعامة الناس، وخاصة للطلبة في المدارس والمساجد، ولم يقتصر علماء بجاية وفقهاؤها على الإلقاء والتدريس، بل ساهموا في التأليف وإثراء المكتبة الإسلامية بالعديد من المصنفات والمؤلفات في هذا المجال.

أ- علم القراءات:

هو علم يعرف به كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، وطريقة أدائها، فمصدر هذه القراءات، قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان صلى الله عليه وسلم يقرأ على أصحابه ما نزل عليه من القرآن

1 - الغبريني : عنوان الدراية ، ص ص 55، 73، 102

2- قسم مؤرخو الإسلام و الآداب العربية ، العلوم إلى قسمين رئيسيين : علوم نقلية وتشمل : التفسير و الحديث و الفقه و اللغة و الآداب و غيرها ، و علوم عقلية و تشمل : علوم الطب و الفلسفة و الرياضيات و الكيمياء و علم الفلك . عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ج 02 ، ص 435 .

الكريم، فربما قرأ ألفاظاً منه بوجوه عديدة من النطق والأداء، وانتقلت هذه القراءات واشتهرت إلى أن استقرت إلى سبع روايات معينة، تواتر نقلها أيضاً واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة⁽¹⁾.

وقد وضعت هذه القراءات لتسهيل على أهل الأمصار المفتوحة النطق الصحيح لألفاظ القرآن الكريم، فاشتهر بذلك سبعة أئمة حازوا ثقة العلماء والقراء في مختلف الأمصار، وإليهم تنسب القراءات السبعة⁽²⁾ وهم:

01- عبد الله بن عامر الشامى (ت 736/118 هـ): قاضي دمشق، ورأس مشيخة الإقراء.

02- عبد الله بن كثير المكي (ت 738/120 هـ): إمام مكة في القراءة.

03- عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت 744/127 هـ): كان على رأس الإقراء بالكوفة.

04- نافع بن عبد الرحمن المدني (ت 791/169 هـ): من أصفهان من كبار القراء توفي بالمدينة المنورة⁽³⁾.

05- أبو عمرو بن العلاء البصري (ت 771/154 هـ): إمام البصرة ومقرئها، توفي بالكوفة.

06- حمزة بن حبيب الكوفي (ت 773/156 هـ): انتهت إليه القراءة بعد الإمام عاصم.

¹- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، د ط، دار الفكر، دمشق، 1982، ج 01، ص 59؛ ابن خلدون: المقدمة، ص 530.

²- مصطفى أديب البغا: الواضح في علوم القرآن، ط 02، دار الكلم الطيب، دمشق، 1998، ص 116؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 31.

³- ابن النديم: الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، ط 01، دار المعرفة، بيروت، 1994، ص 46؛ موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن، ط 02، دار إعمار، الأردن، 1992، ص 73، 72.

07- علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت804/189م): إمام أهل الكوفة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة⁽¹⁾.

انتشرت هذه القراءات السبع في جميع أقطار العالم الإسلامي، عن طريق الرحلات، والحج فتناقلها العلماء والقراء جيلاً بعد جيل، ومن بين هذه الحواضر التي انتشر فيها هذا العلم حاضرة بجاية، ونظراً للترابط الوثيق بين العدوتين بجاية والأندلس، قام العالم أبو القاسم محمد بن فيرة الشاطبي (ت590هـ/1194م)، بتهذيب ما دونه أبو عمرو الداني (ت444هـ/1052م) مؤلف كتاب "التيسير"⁽²⁾، فنظم ذلك في قصيدة، لخص فيها أسماء القراء، وعرف بالقراءات المشهورة، حتى يتيسر حفظها واستيعابها، سماها "بحر الأمانى ووجه التهاني"، حيث سهلت للمعلمين والمتعلمين فهم فن القراءات⁽³⁾.

كما استفادت حاضرة بجاية بالرصيد العلمي في ميدان القراءات، الذي نشره علماء قلعة بني حماد عند نزوحهم إلى بجاية بعد خراب القلعة الحمادية⁽⁴⁾.

اشتهرت بجاية بكوكبة من علماء القراءات، فكان لها الأثر البالغ في تدريس هذا العلم، وشرح مصنفاته كأبي القاسم أحمد بن عجلان القيسي (ت675هـ/1276م)⁽⁵⁾، وأبي العباس أحمد بن محمد الصدفي (ت674هـ/1275م)، الذي كان له علم واسع بالقراءات، يصفه الغبريني بقوله: "له رواية واسعة ومعرفة بالقراءات، وبالضبط في تمكين

¹- مصطفى أديب البغا: المرجع السابق، ص117؛ فيلالي: تلمسان في العهد الزباني، ج02، ص437.

²- أنجل جنثالط بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955، ص404.

³- ابن خلدون: المقدمة، ص531.

⁴- الغبريني: عنوان الدراية، ص265.

⁵- المصدر نفسه، ص116.

الإمام ورش⁽¹⁾ حروف المد واللين الثلاثة: الألف، الواو، الياء، إذا تقدمت هن همزة، وألف كتابا آخر في بيان مذهب ورش في تفخيم اللام وترقيقها⁽²⁾.

واشتهر في علم القراءات أيضا أبو العباس أحمد بن محمد المعافري (ت ق 07هـ/13م)، الذي كان له مجلسا بالجامع الأعظم، يدرس فيه علم القراءات، فكان يوصف بأبي عمرو وقته، لتمكنه في علم القراءات، اختصر كتاب "التيسير" لأبي عمرو الداني، يصفه الغبريني بأهم وأبرز قراء بجاية في القرن السابع الهجري/13م، حيث كان متشدا في إجازة الطلبة في هذا العلم⁽³⁾.

ب- التفسير:

هو علم يهدف إلى توضيح الآيات القرآنية، وسبب نزولها، وقصتها، بحسب ما تقتضيه القواعد العربية، ومبادئها، وغايتها التوصل إلى فهم معاني القرآن الكريم، واستنباط الأحكام الشرعية بطرق صحيحة⁽⁴⁾، وقد انقسم التفسير إلى قسمين: تفسير نقلي (مأثور)، ويستند إلى الآثار المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكبار الصحابة والتابعين، ومن أبرز رواد هذا النوع، الإمام الطبري (ت 310هـ/922م)، والثعالبي (ت 429هـ/1037م)، أما النوع الثاني من التفسير فيعتمد على الرأي والاجتهاد، ومعرفة اللغة العربية وعلومها، كالإعراب، والبلاغة والبيان، ومن أشهر تفاسير هذا النوع

1- هو أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري (110-197هـ/728-813م)، شيخ الإقراء، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية. عبد الفتاح القاضي: البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ط 01، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991، ص 09.

2 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 108.

3 - نفسه، ص 265.

4- حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 01، ص 427؛ نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان هو المبين والمفسر، فكان صلى الله عليه وسلم يبين المجل، ويميز الناسخ والمنسوخ، فيعرفه لأصحابه، وهكذا تناقله الصحابة والتابعون، أجيالا بعد أجيال، حتى صار علما مستقلا بذاته. ابن خلدون: المقدمة، ص 532؛ عاشور سعيد عبد الفتاح، الحياة العلمية والفكرية في الإسلام، ط 1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996، ص 38، 39.

كتاب "الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لأبي القاسم عمر الزمخشري (ت538هـ/1144م)⁽¹⁾.

لقد اهتم علماء بجاية كغيرهم من المسلمين بقراءة القرآن ودراسة علومه، وتفسيره، حيث درس هؤلاء العلماء تفسير القرآن الكريم، وقد أشار الغبريني إلى العديد من العلماء الذين كانوا مهتمين بعلم التفسير كأبي علي حسن بن علي المسيلي (ت582هـ/1186م)، الذي ألف كتاباً سماه "التفكر في ما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات"، ضمنه الكثير من الأحكام الشرعية التي استنبطها من السور والآيات القرآنية⁽²⁾.

وكان لأبي يحيى زكرياء الزواوي (ت611هـ/1214م)، مجلساً علمياً ببجاية في جامعها الأعظم، لتفسير القرآن العظيم، حيث كانت هذه الدروس موجهة للعامة من أهل بجاية⁽³⁾، وكان الفقيه المدرس أبو إسحاق بن العرافة البجائي (ت675هـ/1276م)، يقوم بنفس الأمر حيث كان معتكفاً على علم التفسير، دراسة وتدریسا⁽⁴⁾.

أما أشهر علماء بجاية في التفسير، في القرن السابع الهجري، فقد كان أبو الحسن الحرالي التجيبي (ت637هـ/1239م)، الذي وضع كتاباً في قواعد وقوانين التفسير بعنوان "مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل"، حيث أقرأ الناس سورة الفاتحة في نحو ستة أشهر، فكان يلقي في التفسير قوانين تنزل في علم التفسير، منزلة أصول الفقه من الأحكام⁽⁵⁾، أما آيات القرآن الكريم فقد كان يوردها، ويناسقها نسقاً بديعاً، ويتكلم فيها بما لم

¹ - ابن خلدون: المقدمة، ص ص 533، 534؛ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط08، مكتبة النهضة المصرية، 1985، ج03، ص233.

² - الغبريني: عنوان الدراية، ص67.

³ - الغبريني: المصدر نفسه، ص137؛ محمد المختار إسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون، مطبوعة بحلب، 1991، ج01، ص78.

⁴ - محمد المختار إسكندر: المرجع السابق، ص83؛ الغبريني: المصدر نفسه، ص222.

⁵ - الغبريني، نفسه، ص146.

يسبق إليه، وله تفسير على كتاب الله، سلك فيه سبيل التحرير، وتكلم عليه لفظة لفظة، وحرفا حرفا، على نحو ما يقتضيه علم العربية⁽¹⁾.

وصنف الإمام محي الدين بن عربي (ت 640هـ / 1242م)، تفسيرا كبيرا على طريقة أهل التصوف، في مجلدات، وقيل في ستين سفرا، إلى سورة الكهف، وله أيضا تفسير صغير في ثمانية أسفار على طريقة المفسرين⁽²⁾.

أما العلماء الآخرون الذين لم يكن لهم إمام بعلم التفسير، فقد أبوا إلا أن يشاركوا ويساهموا في نشر وازدهار هذا العلم، حيث قامت العالمية عائشة البجائية بنسخ تفسير الإمام الثعالبي، والمعروف باسم "الكشف والبيان في تفسير القرآن"، في ثمانية عشر فصلا بخط جيد⁽³⁾.

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص 147.

2 - حاجي خليفة: المصدر السابق، ج 01، ص 438.

3 - Charbonneau.(A): op.cit. ,P:34.-

02- علوم الحديث:

يراد بعلم الحديث ما أثر ونقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي⁽¹⁾.

إهتم المسلمون بالحديث بصفته المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وقد كان الحديث الشريف يروى شفاهاً بين المسلمين، حيث كان من الصعب جمعه وحصره، لكثرة من سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولتفرقهم في الأمصار⁽²⁾.

لقد أدى الخلاف حول السلطة بين المسلمين بعد فترة الخلافة الراشدة، إلى وضع أحاديث مكنوبة نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض الفرق والطوائف الطامحة إلى السلطة، الأمر الذي أدى ببعض المخلصين من علماء المسلمين وأئمتهم إلى التصدي إلى هذه الظاهرة، وتنقية الحديث من الدس والتحريف⁽³⁾، فوضعوا منهجية لاستخلاص الحديث الصحيح، ومعرفة الأسانيد والرواة وأسمائهم، وأحوالهم، وطبقاتهم، ثم تفاوت مراتبهم فيه، وكيفية رواية بعضهم عن بعض، فأعطوا بذلك للحديث ألفاظاً ومصطلحات كالصحيح والحسن والضعيف، والمرسل والمنقطع، والشاذ والغريب⁽⁴⁾ فظهر في هذا الميدان محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ/869م) حيث رتب الأحاديث وقام بتخريجها، في مسنده الصحيح فجمع طرق الحجازيين والعراقيين والشاميين⁽⁵⁾.

¹ - بكرى شيخ أمين: أدب الحديث النبوي، ط05، دار الشروق، لبنان، 1981، ص10؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص49.

² - فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص441.

³ - المرجع نفسه، ج02، ص441.

⁴ - ابن خلدون: المقدمة، ص536.

⁵ - تفرق حفاظ الأحاديث من الصحابة والتابعين في الأمصار، وكانت طريقة أهل الحجاز في الأسانيد أعلى وأمتن في الصحة، وصاحب هذه الطريقة بعد الصحابة الإمام مالك بن أنس، ثم أصحابه كالإمام الشافعي، وابن وهب، وقد اشتمل كتاب الإمام البخاري على سبعة آلاف ومائتين حديث، وتكررت منها ثلاثة آلاف حديث. ابن خلدون: المقدمة، ص536، 537.

ثم جاء الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت261هـ/874م) حيث ألف مسنده الصحيح، فحذا حذو الإمام البخاري في نقل المجمع عليه، وحذف المتكرر منها وجمع الطرق والأسانيد، وبوبه على أبواب الفقه⁽¹⁾، وكتب أبو داود السجستاني (ت275هـ/888م) وأبو عيسى الترمذي (ت303هـ/915م)، في السنن بأوسع من الصحيح⁽²⁾.

لقد بلغت عناية علماء المغرب الإسلامي بالحديث وعلومه شأنًا كبيرًا خاصة صحيح الإمام مسلم حيث أجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري فقام الإمام المازري (ت536هـ/1141م) بشرحه وسماه المعلم بفوائد مسلم ثم أكمله القاضي عياض في القرن السادس للهجري /12م، وسماه إكمال المعلم⁽³⁾.

شهدت بجاية في القرن السابع للهجري/13م ازدهارا كبيرا في علوم الحديث، حيث اعتنى البجائيون بهذا العلم باعتباره مصدرا مهما من مصادر التشريع الإسلامي فضلا عن تشجيع السلاطين لطلبة الحديث ومكافئة دارسيه ناهيك عن رغبة محدثي بجاية وخاصة من الأندلسيين في الاعتراف بهذا العلم، وتخريج شيء من الأحاديث فانتشرت المصنفات الحديثية بين طلبة بجاية مثل كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت179هـ/796م)، وكتاب المسند الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت261هـ/874م)، وكتاب الجامع للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ/869م)، بالإضافة إلى كتب الحديث الأخرى ككتاب السنن لأبي داود السجستاني (ت275هـ/888م)، والجامع لأبي عبد الرحمن النسائي (ت303هـ/915م)، وجامع أبي عيسى محمد الترمذي (ت279هـ/892م)⁽⁴⁾.

ولا تكاد تذكر المصادر التاريخية، علوم الحديث ببجاية حتى تقف مطولا عند المحدث أبي محمد عبد الحق الاشبيلي (510-582هـ/1116-

¹ - ابن خلدون: المقدمة، ص 537.

² - المصدر نفسه، ص 537.

³ - نفسه، ص 539.

⁴ - الغبريني: عنوان الدراية، ص ص 311، 312، 313، 314.

1186م)⁽¹⁾ الذي لم يكن ينازعه أحد في علوم الحديث ببجاية حيث قام بتأليف عدد من الكتب الحديثية منها المرشد في الحديث⁽²⁾، ضمنه أحاديث صحيح مسلم وما زاد به البخاري على مسلم، وأضاف إليه أحاديث حسنة وصحيحة من سنن أبي داوود، وكتاب النسائي والترمذي، وما زاد به الإمام مالك في موطنه على صحيح مسلم والبخاري⁽³⁾، وألف الإشبيلي أيضا الجامع بين الصحيحين، وله الجامع الكبير جمع فيه بين المصنفات الستة مع إضافة ما جاء في مسند البزار، وتكلم فيه على علل الأحاديث كما ألف كتاب المعتل في الحديث، وكتاب تلقين الوليد في الحديث، ومختصر الكفاية في علم الرواية، وبيان الحديث في قدر صحيح مسلم⁽⁴⁾.

ولم يكتف الإشبيلي بالتصنيف في مجال الرواية والأسانيد، بل تعدى ذلك إلى تدوين الأحاديث النبوية على حسب أبواب الفقه، حتى يسهل استنباط الأحكام منها وذلك في مؤلفين سماهما الأحكام الكبرى، والأحكام الصغرى، وقد أثنى الغبريني على هذين المصنفين حيث ظلا متداولين بين أيدي الطلبة بكثرة، بل إن كتبه اشتهرت بالمشرق وصارت من الأمهات التي تدرس على طلبة الحديث⁽⁵⁾ وله أيضا كتابا كبيرا صنفه في أحكام الحديث وهو أضعاف الأحكام الكبرى⁽⁶⁾.

وكان الإشبيلي يجلس لتدريس علوم الحديث على طلبة بجاية⁽⁷⁾، ومن بين تلاميذه الذين اعتنوا بمؤلفاته وقاموا بشرحها تلميذه أبو محمد عبد الحق الأزدي

¹ - هو أبو محمد عبد الحق الإشبيلي المحدث الحافظ، نزل بجاية فنشر بها علمه وصنف، ولي الخطبة والصلاة بجامع بجاية، كان فقيها، عالما بالحديث وعلله، عارفا بالرجال، موصوفا بالخير والصلاح. الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مطبوع دار الآفاق، بيروت، ج 02، ص 55.

² - الحنبلي: المصدر السابق، ج 04، ص 271.

³ - راجع بونار: عبد الحق الإشبيلي البجائي محدث القرن السادس الهجري، مجلة الأصاله، العدد (19)، السنة (04)، مارس، أبريل، 1974، ص 263.

⁴ - المرجع نفسه، ص 264.

⁵ - الغبريني: عنوان الدراية، ص 74.

⁶ - المصدر نفسه، ص 74.

⁷ - نفسه، ص 73.

(ت628هـ/1231م)، حيث قام بتأليف كتاب الأعلام بفوائد الأحكام شرح فيه تأليف شيخه⁽¹⁾.

ومن علماء بجاية الذين صنفوا في علم الحديث أبو الخطاب عمر بن الحسن (ت633هـ/1235م)، حيث يوصف بأنه من كبار محدثي بجاية، وأنه صنف كتاباً في رجال الحديث، يقول عنه الغبريني "ارتحل إلى المشرق في مدة بني أيوب، فرفعوا شأنه، وقربوا مكانه، وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلساً أقروا له فيه بالتقدم، واعترفوا له أنه من أولي الحفظ والإتقان والفهم، وسمعت أنهد ذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها، وأنه أعاد المتون المحولة، ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليها من متونها الأصلية⁽²⁾".

أما أبا زكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ/1214م) فقد كان يلقي دروسه في علم الحديث من صحيح البخاري، وذلك بالجامع الأعظم ببجاية⁽³⁾، وكان أبو مدين شعيب حافظاً للأحاديث، خاصة جامع الترمذي⁽⁴⁾، فكان طلبة بجاية يرجعون إليه كلما أشكل عليهم أمر، أو اختلفوا في معنى حديث من الأحاديث⁽⁵⁾.

وكان طلبة بجاية يتسابقون للظفر بمكان عند أحسن وأجود علماء الأسانيد، نظراً لأهميتها في صحة الأحاديث وصدقها، فكان الطلبة يلتفون حول علي بن أبي نصر البجائي (ت652هـ/1254م) لصحة سنده في الحديث عن الإمام البخاري، بل كان علماء الأندلس يقصدونه للأخذ عنه لقصور سندهم عن سنده⁽⁶⁾.

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص 193؛ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسني، مطبعة السعادة، مصر، ج 01، ص 628.

² - الغبريني: عنوان الدراية، ص 230؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ج 02، ص 301.

³ - الغبريني: المصدر نفسه، ص 137.

⁴ - المقري: المصدر السابق، ج 07، ص 137.

⁵ - الغبريني: المصدر السابق، ص 58.

⁶ - سنده في البخاري عن الشريف أبي محمد بن يونس بن يحيى بن أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن داوود الداوودي، عن عبد الله بن أحمد بن حموية، عن محمد بن يوسف عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. الغبريني: المصدر نفسه، ص 143.

وبرز في هذا الميدان أيضا أبو الربيع سليمان الأندلسي، يصفه الغبريني بقوله: "كان له علم بالحديث، ومعرفة رجاله، حافظ لأسانيده، محصل لمعانيه، من أهل الضبط والحفظ"⁽¹⁾.

وعرفت بجاية في القرن السابع الهجري/13م عالما آخر من علماء الحديث هو المحدث أبو بكر محمد بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي (ت659/ 1260م) الذي أشاد به الغبريني عند الترجمة له، فقال عنه: "كان راوية حافظا للحديث، عارفا برجاله وبأسمائهم، وبتاريخ وفاتهم، ومبلغ أعمارهم، وكان يقوم على البخاري قياما حسنا، وكان إذا قرأ الحديث يسنده إلى أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إذا انتهى الإسناد رجع إلى ذكر رجاله، فيبدأ من الصحابي رضي الله عنه، فيذكر اسمه ونسبه وصفته وتاريخ ولادته ووفاته، ولا يزال يتبعهم واحدا واحدا إلى أن ينتهي إلى شيخه، وكان يستظهر عشرة آلاف حديث"⁽²⁾.

¹ - الغبريني، المصدر السابق، ص 239.

² - الغبريني، المصدر نفسه، ص 246، 247؛ التبتكتي: نيل الابتهاج، ص 381.

03- علم الفقه :

يعرف اللغويون الفقه ، بالعلم بالشيء و الفهم له ، أي الحدق و الفطنة (1) وقد وردت كلمة الفقه ، في القرآن الكريم مرات عديدة بهذا المعنى(2). ويعرف ابن خلدون الفقه فيقول : << هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب، و الحضر و الندب و الكراهة و الإباحة ، و هي متلقة من الكتاب و السنة ، و ما نصبه الشارع لمعرفتها من أدلة >>(3)، فإذا كان الفقه إذن هو العلم بالأحكام العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية ، أي أن هذه الأحكام الفقهية المتعلقة بأفعال المكلفين من عبادات و معاملات ، يجب أن تسند إلى أحكام و نصوص شرعية (4)، و فائدته حصول العمل به على الوجه المشروع و الغرض منه تحصيل ملكة الاقتدار على الأعمال الشرعية (5).

لقد حدد الفقهاء عدة شروط الواجب توفرها في الفقيه ، حتى يصبح من مصاف الفقهاء ، و أول هذه الشروط : وجوب حفظ القرآن الكريم ، لأنه المصدر النقلي الأول و الأساسي ، إضافة إلى علمه بالسنة النبوية ، لأنها المصدر الثاني للتشريع ، و حتى يميز الفقيه بين الأحاديث، و درجة صحتها(6). كما يجب على الفقيه أن يكون ملماً بقواعد اللغة العربية ، و علومها من النحو ، و الصرف ، و بيان ، و بديع ، حتى يتمكن من دراسة القرآن و السنة و فق قواعد و منهجية صحيحة.

ولما واجهت المسلمين مسائل و أمور لم يعهدوها من قبل ، و لم يجدوا لها نصوصاً قطعية من القرآن الكريم و السنة النبوية ، توجهوا إلى إجماع

1- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج13، ص646.

2 - ورد لفظ الفقه في القرآن الكريم عشرون مرة، و كلها تدل على العلم و الفهم و من هذه الآيات قول الله سبحانه و تعالى : << وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات ليقوم يفقهون >> ، سورة الأنعام الآية 98، وقوله عز و جل : << قالوا يا شعيب مانفقه كثيراً مما نقول >> سورة هود : الآية 91 ، أي لانفهمه ، و قوله سبحانه و تعالى : << يفقهوا قولي >> سورة طه : الآية 27 ، أي يفهموه و يعلموه .

3- ابن خلدون : المقدمة : ص : 541.

4- الأشقر عمر سليمان: تاريخ الفقه الإسلامي ، د ط، دار البعث ، قسنطينة ، 1990 ، ص 12؛ الجرجاني محمد ، التعريفات ، ط 03 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988 ، ص 168.

5 - حاجي خليفة : كشف الظنون، ج02 ، ص 1280.

6- فيلاي عبد العزيز : تلمسان في العهد الزياني ، ج 02 ، ص 445 .

الصحابة ، و إلى القياس و الاجتهاد ، و كان المصدر في كل هذا القرآن الكريم و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و إلى العرف و العادات السائدة في المجتمع بشرط عدم تعارضها مع الكتاب و السنة، و مع القيم و الأخلاق التي كانت تحكم المجتمع المسلم (1).

لقد أدى توسع الدولة الإسلامية في القرنين الأول و الثاني ، و الاحتكاك الذي صاحب ذلك بالحضارات و الثقافات المجاورة ، إلى ظهور العديد من المسائل و القضايا و الأعراف حيث تعددت الاتجاهات الفقهية بين واقف عند ظاهر النص الشرعي ، و بين أصحاب الرأي و الاجتهاد ، الذين يدعون إلى إحكام العقل في هذه المسائل الجديدة على المجتمع المسلم ، وكان أصحاب مدرسة الاجتهاد و الرأي ، يتمركزون في العراق ، وكان على رأسهم الإمام أبو حنيفة النعمان (ت 150هـ/768م) (2).

أما أصحاب الحديث ، فكانوا يقفون عند ظاهر النصوص لا يتعدونها ، و نادرا ما يجتهدون ، و من أبرز الأسباب التي جعلتهم يتوجهون هذا التوجه ، هي كون بلادهم كانت مهذا للسنة ، و الأعراف التي أقرها الإسلام ، حيث بقي أهل هذه الديار يذكرون سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و سيرة صحابته (3). وكان على رأس هؤلاء الإمام مالك بن أنس (ت 179هـ/796م) (4).

¹ - فيلالي: المرجع السابق، ج 02 ص 432 ؛ أنجل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 413 ؛ الاجتهاد هو بذل الوسع للتوصل إلى معرفة الحكم الشرعي ، سعدي أبو حبيب : القاموس الفقهي ، ط02 ، دار الفكر ، دمشق ، 1988 ، ص 71.

² - هو الإمام أبو حنيفة النعمان تلقى تعليمه بالكوفة ، و عرض عليه خطة القضاء مرتين ، الأولى في العصر الأموي ، و الثانية في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور في العصر العباسي لكنه رفض و تعرض بسبب ذلك للتعذيب في المرتين ، و كان منهجه التشدد في قبول الحديث ، و التدقيق فيه ، و التحري عنه ، الأمر الذي جعله يتوسع في القياس و الاجتهاد ، و أعمال العقل ، وهو الأمر الذي برع فيه نتيجة لقدرته على الاستنباط. عاشور سعيد عبد الفتاح ، الحياة العلمية و الفكرية في الإسلام ، د ط ، دار المعرفة الجامعية ، 1996 ، القاهرة ، ص 46 .

³ - ابن خلدون : المقدمة ، ص 542.

⁴ - هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، إمام دار الهجرة رضي الله عنه، ولد سنة (95هـ/713م) تلقى العلم بالمدينة المنورة على يد مجموعة من التابعين، كان يرى أن أهل المدينة أكثر دراية ، وإماما بالسنة النبوية الشريفة وكان أساس التشريع عنده بعد القرآن الكريم، هو الحديث الصحيح السند، ثم يأتي بعد ذلك عمل أهل المدينة، فإذا اتفق أهل المدينة وعلمائها على عمل معين ، رأى الإمام مالك في هذا العمل حجة تجعله يقدم على القياس لأنه بمنزلة الرواية وللإمام مالك عبارة قالها في ذلك: >> إن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن الكريم>> ، من أشهر كتبه >> الموطأ >> وهو كتاب في الحديث والفقهاء أما المدونة فقد =

وحاول الإمام الشافعي (ت 204هـ / 819م)⁽¹⁾ التوفيق والتقريب بين المدرستين السابقتين، حيث اتخذ لنفسه وجهة نظر جديدة، تقوم على مبدأ الوسطية، لا يرفض مبدأ الاجتهاد وأعمال الفكر والقياس ولا يقلل من أهمية الحديث، ورفض تقديم الرأي والقياس على الحديث، وكان يقول >> إن جهة العلم: الكتاب والسنة والإجماع، والآثار ثم القياس عليها<<⁽²⁾، أما أهل المغرب فاشتهروا بتقليد مذهب الإمام مالك بن أنس، ذلك لأن رحلاتهم كانت في الغالب نحو الحجاز، لأداء فريضة الحج، ولطلب العلم حيث كانوا يفضلون هذا المذهب على غيره من المذاهب ولم يقلدوا غير المذهب المالكي، إلا في القليل من المسائل⁽³⁾.

لقد بدأ اتصال المغاربة وكثير من علماء الأندلس بالمدينة المنورة مبكراً، حيث ارتحل الكثير منهم، إلى الإمام مالك بن أنس، فسمعوا منه مباشرة، أو من تلاميذه، ورووا عنه كتاب >> الموطأ <<، وكان أشهر هؤلاء على الإطلاق، يحيى بن يحيى الليثي (ت 233هـ / 847م)⁽⁴⁾، وأشتهر منهم أيضاً عبد المالك بن حبيب الأندلسي (238هـ / 852م)، حيث دون عدة مؤلفات فقهية أهمها

=جمعها تلميذه أسد بن الفرات، توفي سنة (179هـ / 796م)، القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج 01، ص 102؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 47.

¹ - هو محمد بن إدريس القرشي الشافعي، نشأ في الحجاز، بين مكة والمدينة، تلقى العلم على يد الإمام مالك، وسمع منه الموطأ، وأخذ عنه فقهه، ولازمه، حتى توفي الإمام مالك، انتقل الإمام الشافعي إلى اليمن، وبغداد، ومكة، ثم توجه إلى مصر سنة (199هـ / 814م) واستقر بها إلى أن توفي.

كان الشافعي أحد رجال مدرسة الإمام مالك، حتى سنة (195هـ / 810م) وعندما ذهب إلى بغداد اتصل بأصحاب الإمام أبي حنيفة، وعندئذ اتخذ لنفسه وجهة نظر جديدة، قامت على أساس التقريب بين مدرستي العراق والحجاز، من آثاره: رسالته في أصول الفقه، وكتاب >> الأم << وهو أكبر أثر عرف به، توفي رضي الله عنه سنة (204هـ / 819م)، سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 48.

² - فيلالتي: تلمسان في العهد الزياني، ج 02، ص 433.

³ - الفيومي: محمد إبراهيم، تاريخ الفلسفة الإسلامية، في المغرب والأندلس، ط 01، دار الجيل، بيروت، 1997، ص 195.

⁴ - هو يحيى بن يحيى بن كثير الليثي، سمع من زياد بن عبد الرحمان موطأ الإمام مالك بن أنس، وسمع من يحيى بن مضر، ثم رحل إلى المشرق، وهو ابن ثمان وعشرون سنة، فسمع من الإمام مالك بن أنس الموطأ، غير أبواب في كتاب الاعتكاف، توفي سنة (233هـ / 847م)، ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ط 02، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ج 02، ص 176.

((الواضحة))، ثم جاء تلميذه، العتيبي بن بشر بن عبد الرحمن ، حيث ألف كتاب ((العتبية))⁽¹⁾.

ثم انتقل أسد بن الفرات (ت 213هـ / 828م)⁽²⁾، للرواية والتدوين عن أصحاب الإمام مالك بن أنس ، حيث كتب على ابن القاسم في سائر أبواب الفقه ، ورجع بكتابه (الأسدية) الذي ألفه في الفقه⁽³⁾.
أما الفقيه سحنون(ت240هـ / 854م) فقد ألف كتابه(المدونة) التي لقيت إقبالا كبيرا خاصة بعدما اختصرها عبد الله بن زيد القيرواني(ت 386هـ / 996م)⁽⁴⁾.

يذكر الغبريني أن علماء بجاية كرسوا جهودهم في سبيل نشر الفقه المالكي⁽⁵⁾ حيث تعاهدوا هذه المؤلفات ، بالشرح و الإيضاح و الجمع و الاختصار ، فواصلوا تدريس مذهب الإمام مالك ، فأضافوا إليه شروحات و حواش و تعليقات ،خاصة على (المدونة) للإمام سحنون ، و تهذيب أبي سعيد البراذعي ، حيث ذكر أن أغلب التراجم التي ذكرها ، كانوا فقهاء ، أو لديهم إمام بهذا العلم ، فنادرا ما يذكر علما من الأعلام إلا ويصفه بالفقيه ، و لم يقتصر هؤلاء الفقهاء على التدريس و فق الفقه المالكي ، بل تعدوا ذلك إلى التأليف و الشرح.

ومن الفقهاء الذين اشتهرت بهم حاضرة بجاية في القرن السابع الهجري/13م، نجد الفقيه أبي علي حسن المسيلي (ت 582 هـ / 1186 م) الذي كان من أبرز فقهاء بجاية ، حيث كان يدعو إلى استعمال الفكر و الاجتهاد ، خاصة في المسائل الجديدة على المجتمع البجائي ، و ذلك بالوصول إلى فتاوى و تشريعات تتوافق مع هذه النوازل ، فألف كتابه <>النبراس في الرد على منكر

1 - فيلالي: المرجع السابق ، ج02، ص446.

2 - أبو العرب : محمد ، طبقات علماء أفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي، ط02، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985، ص163.

3 - الفيومي : المرجع السابق، ص195.

4 -ابن خلدون ، المقدمة ، ص547.

5 -ساهم المرابطون في نشر الفقه المالكي و ازدهاره، حيث عرفت المؤلفات المالكية رواجاً كبيراً ، و بمجئ الموحدين حاولوا التضييق على الدراسات الفقهية المالكية ، و استبدالها ، بالمذهب الظاهري حيث تعرض الفقهاء المالكية للاضطهاد ، و تضييق الخناق على نشاطهم ؛ الفيومي : المرجع السابق ، ص 77 ، الحريري : محمد عيسى ، تاريخ المغرب و الأندلس في العصر المريني ، ط 02 ، دار القلم ، الكويت ، 1987 ، ص 340 .

القياس» يصفه الغبريني بقوله: «هو كتاب مليح على ما أخبرت به ، وأنا شديد الحرص عليه ، و لقد أخبرني بعض الطلبة المتمسكين بالظاهر ، وهو من أنبلهم، أنه رأى هذا الكتاب ، و أنه ما رأى في الكتب الموضوعه في هذا الشأن مثله» (1).

وقام أبو مدين شعيب بشرح كتاب ابن رشد في الفقه، سماه «استكمال القصد في شرح أرجوزة ابن رشد» بدأه بمسائل الطهارة، والصلاة والصوم... (2).

و ألف الفقيه أبو محمد عبد الحق الإشبيلي (ت582هـ/1185م) كتابا في أحكام صلاة التهجّد (3).

وكان للفقيه أبي محمد فارس عبد العزيز (ت686هـ/1287م) ، مجلسا معتبرا يدرس فيه الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس ، حيث يذكر الغبريني أنه درس عليه في هذا المجلس الموطأ (4).

وكان للفقيه أبي القاسم أحمد بن عجلان القيسي (ت675هـ/1276م) تقييدات على كتاب التقييم في الفروع للقاضي عبد الوهاب البغدادي (ت422هـ/1031م) (5).

أما أبا زكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ/1214م) فقد استغل رحلاته العلمية إلى المشرق ، فقام بإدخال العديد من الكتب الفقهية إلى حاضرة بجاية ، ككتاب «المصابيح» لأبي سعيد مخلوف بن جارة ، وكان الزواوي يدرس الفقه بالجامع الأعظم (6).

كما كان أبو الحسن علي الحرالي (ت638هـ/1240م) ، من فقهاء بجاية المشهورين حيث كان يقارن في مجلسه بين مؤلفات المذهب المالكي ، كالتهذيب و المدونة ، ثم يستخرج أوجه الاختلاف بين هذه المؤلفات (7)، وفي هذا الصدد يقول الغبريني: «فكان إذا قرأ التهذيب يبين في كثير من مواضعه أنه

1 - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 66 ، 67 .

2- أبو مدين شعيب: استكمال القصد بشرح أرجوزة ابن رشد، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 599، ورقة 01، 02.

3 - الغبريني: المصدر نفسه ، ص 74 .

4- نفسه ، ص 92.

5- نفسه ، ص 117 .

6 - نفسه ، ص 138 ؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن

العشرين، ص168.

7 - التبتكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص 201 .

مخالف لأصل المدونة ، و مغاير لمالك و أصحابه في الكتب التي و قع فيها النقل ، حتى يقرهم في طريقهم <<(1)>.

أما الفقيه أحمد بن عثمان المتوسي الميلاني (ت 644 هـ / 1246 م) فقد قام بدور كبير في تدريس الفقه المالكي ببجاية ، خاصة كتاب التلقين يقول عنه الغبريني <<كان له في التلقين تقدم و نضر لم يكن لغيره ، و لم يكن له مثل في غيره من الكتب ، و ان كان الرجل إماما في الفقه ، و لكنه في هذا الكتاب أجل من غيره من الكتب ، و له عليه تقييد فيه تنبيهات خفيفة >> كما قام هذا الفقيه ، بإكمال شرح كتاب التلقين الذي بدأه المازري (ت 536 هـ / 1141 م) و لم يكمله (2) ، و يبدو من كلام الغبريني ، أن كتاب التلقين قد حظي بعناية فائقة في القرن السابع الهجري / 13م ، من قبل البجائيين(3).

وكذلك كان أبو الحسن علي بن الزيات ، من أحفظ وأعلم الفقهاء بالمذهب المالكي ببجاية ، حيث كان يدرس جميع الكتب المالكية، وخاصة التهذيب، والتلقين، والجلاب، والرسالة(4).

أما أبا محمد عبد الحق الأزدي(ت628هـ / 1230م) فقد كان يفضل تدريس كتاب الموطأ ، لأنه أصل المصنفات الفقهية (5).

وقام أبو علي ناصر الدين المشدالي (ت731هـ / 1330م) بجلب مختصر ابن الحاجب في الفقه(6) إلى بجاية ، من رحلته المشرقية(7) ومن ثم انتقل هذا المصدر المهم في الفقه إلى تلمسان ثم إلى فاس ، حيث كان المشدالي يحث طلبته على قراءة هذا الكتاب(8) كما شهدت بجاية مجموعة ثانية من الفقهاء يمكن ان نصنفها في الدرجة الثانية ، بعد الكوكبة الأولى ، حيث لم يصنفوا أو يؤلفوا ، وإنما اشتغلوا بتدريس أمهات الفقه ، والاعتناء بالشروح التي تركها أسلافهم، ومن هؤلاء نذكر الفقيه أبو سعيد الدوكالي الذي كان يحفظ

1- الغبريني:عنوان الدراية،ص147.

2 - نفسه ، ص171.

3 - نفسه ، ص 171

4- نفسه ، ص 178 ، 242 ، 307 ، 316.

5- نفسه ، ص 178.

6- نفسه ، ص 200.

7- مختصر ابن الحاجب، اسمه الكامل "جامع الأمهات " ويعرف أيضا بالمختصر في الفروع ؛ برنشفيك : المرجع السابق، ج02، ص302 ، 303.

8 - ابن خلدون ، المقدمة ، ص 478؛ ابن القنفذ : أنس الفقير ، ص ص 53 ، 54 .

المدونة، ولا يلقي دروسه إلا منها⁽¹⁾، والفقيه أبو يوسف يعقوب المنجلاتي (ت 690هـ/1291م)، الذي كان متخصصاً في إلقاء الدروس الفقهية في بجاية وغيرها من حواضر المغرب الإسلامي آنذاك⁽²⁾. ولم يقتصر علماء بجاية على المذهب المالكي بل كان الاهتمام منصباً حتى على المذاهب الأخرى، كالفقيه أبي عمر عبد الكريم الأزدي القلعي الذي كان له إمام كبير بالمذهب الظاهري⁽³⁾ حيث كان يحبذ الإفتاء وفق هذا المذهب⁽⁴⁾.

¹ - الونشريسي: أحمد، المعيار المعرب والجامع المعرب عن علماء فتاوى أفريقيا والأندلس والمغرب إخراج محمد حجي وآخرون، د ط، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1981، ج 12، ص 194.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص 222.

³ - نسبة إلى داود الأصفهاني (ت 270هـ/883م)، حيث يعتبر أول من دعا إلى الحكم بظاهر النص، من القرآن الكريم والسنة، ولا يأخذون بالإجماع والقياس والرأي، وأدخله إلى الأندلس الفقيه الأندلسي عبد الله بن القاسم بن هلال بن زيد (ت 292هـ/906م)، وكان ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ/1063م) من أشهر دعاة هذا المذهب، وانتقل هذا المذهب إلى المغرب الإسلامي بفعل هجرة علماء الأندلس إلى حواضر المغرب الإسلامي، الزرقاء مصطفى: معجم فقه ابن حزم الظاهري، د ط، دار الفكر بيروت، ج 01، ص 12؛ نسيم حسبلاوي: الحياة الفكرية للأندلس في عهد الدولة الأموية (138-422هـ/756-1030م) رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر (1422هـ/2001م)، ص 63.

⁴ - الغبريني: المصدر السابق، ص 189.

04- أصول الفقه والعلوم الدينية الأخرى:

إهتم علماء بجاية بعلم أصول الفقه⁽¹⁾، حيث أولوا له عناية كبيرة واهتماما بالغاً، فجلسوا لتدريسه، وشرح المصنفات الأصولية المهمة، وقد ذكر الغبريني في عنوان الدراية العديد من الفقهاء الذين اهتموا بهذا العلم وقاموا بنشره، ومن هؤلاء أبو محمد عبد الحق الأنصاري (ت675هـ/1276م) الذي وصفه الغبريني بالمجتهد، حيث كان له إمام وعلم كبيرين بأصول الفقه⁽²⁾، وكان الفقيه أبو العباس أحمد بن خالد (ت660هـ/1261م) متخصصاً في تدريس علم الأصول، حيث كان له مجلساً لتدريس هذا العلم، وكان الغبريني أحد تلاميذه حيث يقول عنه: "قرأت عليه جملة من المستصفي"⁽³⁾.

وقام أبو زكريا الزواوي بنقل كتاب "الأصلين" لأبي طالب اللخمي من المشرق، حيث قام بشرحه وتدريسه ببجاية⁽⁴⁾.

ولم يكتف علماء بجاية بتدريس هذه المصنفات، بل قاموا بشرحها وتبسيط محتواها حتى يسهل فهمها لدى الطلبة، فقام أبو عبد الله محمد الفهري (ت612هـ/1215م) بشرح كتاب المستصفي في الأصول ووضع عليه

1- يعتبر علم أصول الفقه من العلوم المهمة، حيث يهتم هذا العلم باستنباط الأحكام واستخراجها من أدلتها التفصيلية، فإذا أراد المجتهد مثلاً أن يعرف حكم الصلاة، قرأ قوله سبحانه وتعالى (وأقيموا الصلاة)، فيقول "أقيموا" صيغة أمر مجردة، والقاعدة الفقهية تقول "الأمر للوجوب إلا لقرينة صارفة"، حيث انطبقت هذه القاعدة على الآية السابقة، فنتج عن ذلك أن القيام للصلاة واجب. ابن خلدون: المقدمة، ص 551؛ الغزالي: المستصفي من علم الأصول، ط01، ج01، ص05؛ عبد الكريم زيدان: الوجيز في أصول الفقه، ط07، مؤسسة الرسالة، 1998، ص12.

2 - الغبريني: عنوان الدراية، ص86، 170، 176، 199، 198، 201.

3 - يعد المستصفي للإمام الغزالي من أهم مصنفات أصول الفقه، حيث اعتنى به علماء بجاية كثيراً وعملوا على تدريسه لطلابهم. الغبريني، نفسه، ص100.

4 - نفسه، ص138.

تقييدات⁽¹⁾، وقام أبو محمد عبد الله بن الطير بنفس الأمر عندما اختصر نفس الكتاب⁽²⁾.

أما أحمد بن عبد الله المخزومي (ت 658 هـ / 1259م) فقد كان من اعلم الفقهاء بعلم الأصول حيث قام بوضع تعليق على كتاب المعالم في أصول الفقه، يقول عنه الغبريني: "رأيت له تعليقا على كتاب المعالم في أصول الفقه لا بأس به، وهو جواب لسائل سؤال، وهو مكمل لعشرة أبواب حسبما سأل السائل، وكان الطلبة مدة كونه ببجاية يقرؤون عليه تنقيحات السهروردي وهي من مغلفات أصول الفقه عند طائفة من لم يمارس علم الأصول، ولا يتعرض لإقرائها إلا من كان له ذهن ثاقب"⁽³⁾.

وإلى جانب اهتمامهم بالعلوم الفقهية برع علماء بجاية في علم أصول الدين⁽⁴⁾، حيث ألفوا في هذا العلم وجلسوا لتدريسه، فصنف أبو علي حسن المسيلي كتاب "التذكرة في أصول علوم الدين"، حيث ظل هذا التصنيف مرجعا للجبائين، يقول عنه الغبريني: "وهو كتاب حسن طالعه وكررت النظر فيه فرأيته من أجل الموضوعات في هذا الفن"⁽⁵⁾، واشتهر أيضا في علم العقائد أبو عبد الله الشريف حيث كان له إمام كبير بعلم أصول الدين، فكان يثبت مسائل العقيدة الإسلامية بالأدلة النقلية والعقلية حتى يتمكن طلبته من فهمها، يقول عنه الغبريني: "له في علم العقائد باع وساع، وفكر مطاع، يميط شبه الملحدين ويثبت صور الحق بواضح البراهين"⁽⁶⁾.

¹- الغبريني: المصدر السابق، ص 186؛ ترجم له أيضا: ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج 02، ص 271؛ التبتكتي: نيل الابتهاج، ص 228.

²- الغبريني: المصدر نفسه، ص 195.

³- الغبريني: نفسه، ص 253.

⁴- هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، ابن خلدون: المقدمة، ص 557؛ أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج 01، ص 09.

⁵- الغبريني: عنوان الدراية، ص 66.

⁶- المصدر نفسه، ص 177.

وكانت لعدد آخر من علماء بجاية مشاركة في هذا العلم، حيث كانوا يشاركون في تدريسه على طلبتهم، وحتى على العامة من أهل بجاية كأبي زكريا يحيى الزواوي، وأبي عبد الله محمد بن علي القصري، وأبي عثمان سعيد بن عبد الله وأبي الحسن علي بن عمران الملياني (ت670هـ/ 1271م) (1).

واهتم علماء بجاية كذلك بعلم الفرائض أو المواريث (2) لكونه من العلوم المهمة، حيث كان الفقيه أبو الطاهر عمارة الحسني من أعلم علماء بجاية بهذا العلم، ويذكر الغبريني أن له تصنيفا في هذا الميدان ولكن لم يذكر عنوانه (3)، وصنف أبو الحسن الحرالي كتاب "الوافي في علم الفرائض" (4) يصفه الغبريني بقوله: "ما رأيت مثله في ذلك الفن، لأنه أعطى الفرائض موصلة مفصلة معللة بأخص بيان وأوضح تبيان" (5)، وجلس الكثير من العلماء لتدريس هذا العلم على طلبة بجاية في المساجد، والحلقات العلمية كأبي محمد عبد الحق الأنصاري (ت675هـ/ 1276م) (6)، وأبي عبد الله محمد بن منصور القلعي (ت660هـ/ 1261م) الذي اشتهر بتدريس الفرائض حيث كانت له طريقة ملخصة في تدريس هذا العلم، ولم يكن ببجاية في وقته أحد يريد أخذ هذا العلم إلا قرأه عليه، حيث كان يقصد من جميع الحواضر للأخذ عليه في علم المواريث (7).

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص 138، 170، 198، 199.

2 - هو علم يعرف به فروض الورثة وتصحيح سهام الفريضة، من كم تصح باعتبار فروضها الأصول أو مناسختها، وذلك إذا هلك أحد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته، فإنه حينئذ يحتاج إلى حسابان يصحح الفريضة الأولى حتى يصل أهل الفروض جميعا في الفريضتين إلى فروضهم من غير تجزئة. وقد تكون هذه المناسخات أكثر من واحد واثنين، وتتعدد كذلك بعدد أكثر. وبقدر ما تتعدد تحتاج إلى الحساب، وكذلك إذا كانت فريضة ذات وجهين، مثل أن يقر بعض الورثة بوارث وينكره الآخر، فتصحح على الوجهين حينئذ، وينظر مبلغ السهام، ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من أصل الفريضة، وكل ذلك محتاج إلى الحساب. ابن خلدون: المقدمة، ص 549.

3 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 76.

4 - التبتكي: نيل الابتهاج، ص 318-320.

5 - الغبريني: المصدر نفسه، ص 148.

6 - المصدر نفسه، ص 86.

7 - نفسه، ص 227.

لقد كانت هذه أهم آثار علماء بجاية وفقهائها في الميدان الديني، حيث بذلوا مجهودات كبيرة في سبيل نشر مختلف العلوم الدينية، وإن كثرة التصانيف والشروحات لتدل دلالة واضحة على غزارة علمهم وعمق تفكيرهم في سبيل الرقي بالمجتمع، وجعل بجاية حاضرة علمية تنافس أهم وأبرز حواضر العالم الإسلامي آنذاك.

التصوف والعلوم اللغوية وأدائها، والعلوم الإجتماعية

والعقلية بجاية من خلال عنوان الدراية

01-التصوف:

أ-معنى التصوف وظهوره:

التصوف هو عزوف النفس عن الدنيا ⁽¹⁾، ويعرفه ابن خلدون بأنه- أي التصوف- لم يزل عند سلف الأمة ، وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية، وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن الدنيا وزخارفها، من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ⁽²⁾، فالصوفية وإن كانوا فقراء، فهم أغنياء الله في أرضه، وأصفياءه في سمو سمائه، وأحباؤه في أعلى جبروته ⁽³⁾. وقد اختلف العلماء والمهتمون بعلم ونشأة التصوف واشتقاق كلمة التصوف اللغوية ⁽⁴⁾، حيث أكد القشيري بعدم وجود اشتقاق لها في اللغة ⁽¹⁾،

¹ - الكلاباذي: أبوبكر محمد، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق : محمود أمين النواوي، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، 1980، ص26.

² - ابن خلدون: المقدمة، ص 584؛ الجرجاني : التعريفات: ص ص 59، 60.

³ - علي الجمل العمراني: اليواقيت الحسان، (مخطوط)، ورقة 1055.

⁴ - يرى عبد القاهر بن عبد الله السهروردي بأن أصل كلمة التصوف تعود إلى لباس الصوف، ويبرر السهروردي رأيه: بأن الصوف أقرب إلى التواضع >> ولما أثروا الذبول والخمول، والتواضع ، والانكسار، والتخفي والتواري، كانوا كالخرقة الملقاة، والصوفة المرمية التي لا يرغب فيها، ولا يلتفت إليها>>عوارف المعارف، ط01، دار الكتاب العربي، بيروت، 1966، ص60، أما أبا نعيم الأصفهاني : فيتفق مع السهروردي في تخريج مصطلح التصوف، إلا أنه يرد تفسيره إلى ثلاثة آراء هي: الصوفانة: بقلة رعناء قصيرة، وصوفة: نسبة لقبيلة كانت تخدم الكعبة، وتجزئ الحجاج قبل ظهور الإسلام، وصوفة القفا: وهي شعيرات نابثة في مؤخرة الرأس.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، نشر حمد أمين الخانجي، ط02، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967، ص17؛ ويرى زروق بأن التصوف مشتق من الصوف، لأن الصوفية كانوا يفضلون لباس الصوف، اقتداء بالأنبياء، ومخالفة لأهل الدنيا في لباسهم الفاخر، قواعد التصوف، تحقيق محمد زهري البحار، ط03، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1976، ص06؛ مصطفى الصاوي الجويني : الدراسات الإسلامية منهجا=

الفصل الرابع

التصوف والعلوم اللغوية وآدابها، والعلوم الإجتماعية والعقلية ببجاية من خلال عنوان الدراية

01-التصوف

02-اللغة العربية وآدابها

03-العلوم الإجتماعية

04-العلوم العقلية

كما فضل الكثير من الباحثين إطلاق ألقاب عديدة على الصوفية ، تجنباً للخلاف، كالزهاد، والغرباء، والسياحين⁽²⁾، ويبقى أحسن الآراء، وأقواها رجحانا: القول بصفاء أسرارهم ونقائها، وارتفاع همهم وإقبالهم على الله تعالى، بقلوبهم، ووقوفهم بسرائرهم، بين يديه⁽³⁾.

وتجمع أغلب المصادر التي تتحدث عن التصوف، على أن ظهور هذا الأخير كان قبل تمام المائة الثانية للهجرة⁽⁴⁾ وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون بأن الإنقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا، كان عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا وملذاتها في القرن الثاني ، وما بعده، أختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية⁽⁵⁾.

سومادين بحث ومصادر، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية ، 1994، ص 321؛ ويرجعها عدد آخر من العلماء والباحثين إلى اشتقاقات مختلفة، مثل: العقاد الذي يرجح أن كلمة التصوف مستعارة من اليونانية، بمعنى الحكمة الإلهية ، فهي مركبة في تلك اللغة من كلمتين هما: >> ثيو>> أي الإله، و>> سوفي>> أي الحكمة، ومعنى التصوف مقابل لمعنى الحكمة العقلية، وهي الفلسفة، لأن التصوف يطلب الحكمة عن طريق الدين.عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، د ط، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، د ت، ص ص 108، 109.

للاستزادة أكثر في هذا الموضوع: الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر، ص ص 34، 35.

1 - يرى القشيري بأن هذه التسمية، قد غلبت على هذه الطائفة، فيقال رجل صوفي، وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث اللغة العربية قياس، وللاشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب. الرسالة القشيرية، د ط، دار الكتاب العربي، لبنان ، 1957، ص 126.

2 - يرى الكلاباذي بأن أهل الشام سموهم >>الجوعية>> لأنهم يكتفون بالقليل من الطعام، لقول النبي صلى الله عليه وسلم >> بحسب ابن آدم أكالات يقمن عليه>>؛ وسموا بالصوفية للبسهم الصوف، ولخروجهم عن الأوطان، سموا غرباء، وكثرة أسفارهم، سموا سياحين. التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 29.

3 - أبو عبد الله محمد الغزواني: النقطة الأزلية في سر الذات المحمدية، (مخطوط)، ورقة 57، الكلاباذي: المصدر السابق، ص 29.

4 - تحدثت بعض الروايات عن ظهور التصوف خلال العصر الجاهلي، ومن هذه الروايات ما ذكره السراج الطوسي، أن مكة خلت في بعض الأزمنة فكان لا يطوف بالكعبة سوى رجل واحد، يعرف بالصوفي، اللع،تحقيق عبد الحليم محمود،وطه عبد القادر سرور،دار الكتب الحديثة،مصر،1960،ص42؛الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر،ص09.

5 - ابن خلدون: المقدمة ، ص 584؛علي معبد فرغلي: محاضرات في التصوف، د ط، 1975، ص 09.

وتمثل التصوف عند هؤلاء في شكل حركة زهدية⁽¹⁾ كانت نتاج اعتكافهم على تلاوة القرآن الكريم، والتدبر في آياته، والإتعاظ بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والإقتداء به في أقواله وأفعاله⁽²⁾.
والتصوف هو ظاهرة مشتركة بين الديانات، والفلسفات، والحضارات المختلفة، حيث يخضع الصوفي إلى انتمائه الحضاري، والعقائدي، والبيئي⁽³⁾، والملاحظ لتطور التصوف يجده قد انتقل من ظاهرة إلى علم ونظام شامل في الحياة، وصار اتجاها نفسيا وعقليا، وسلوكا وعملا وعبادة، وطريقة حياة عامة يتخذها الصوفي لتحقيق كماله الأخلاقي، وسعادته الروحية⁽⁴⁾.

1 - الزهد هو تقليل الاهتمام بالدنيا، واستصغارها واحتقارها بالقلب، ولا يتأتى هذا إلا بإخراج هم الدنيا من القلب، وإدخال هم الآخرة، أما الزهد الحقيقي فيتمثل في إخراج الدنيا من القلب، ثم تعقبه مرحلة نسيان الزاهد لذممه، ليصل إلى مرتبة الزهد في زهده رغبة في المزمّد. أبو طالب المكي : قوت القلوب، ط02، المطبعة المصرية، 1932، ص169؛ ويرى أبو حامد الغزالي بأن الزهد هو الفرار من الدنيا وزخارفها، والتوجه للعمل الصالح. مكاشفة القلوب، ط02، دار إحياء العلوم، بيروت، 1985، ص329؛ أما السراج الطوسي، فيعتبر الزهد أساس التصوف، فحب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد فيها سبب كل خير، المصدر السابق ص ص 72، 73.

2 - بونابي، التصوف في الجزائر : ص 35.

3 - فيلاي : تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص383.

4 - بونابي : المرجع السابق، ص38.

ب- عوامل ظهور التصوف ببجاية:

عرفت حاضرة بجاية العديد من العوامل والإرهاصات الدينية، والسياسية والاجتماعية والإقتصادية، كان لها الأثر البالغ في ظهور الحركة الصوفية، وتطورها، ابتداء من القرن الثالث الهجري/19م، وما كاد القرن السادس الهجري/12م ينقضي حتى اتضحت الحركة الصوفية ببجاية بنوعها السننية، والفلسفية، ويذكر الغبريني أثناء ترجمته لصوفية بجاية الكثير من هذه العوامل التي تمثلت في عوامل دينية، وسياسية وأخرى اقتصادية واجتماعية تمثلت فيما يلي :

01- حركة الزهد :

عرفت حاضرة بجاية كغيرها من حواضر العالم الإسلامي، حركة زهدية، كانت تمهيداً لظهور التصوف⁽¹⁾ حيث استقر ببجاية العديد من الزهاد الأندلسيين والبجائيين، وغيرهم من زهاد المغرب الأوسط ، وكان لهم دور كبير في نشر التصوف⁽²⁾، بالإضافة إلى إسهاماتهم العلمية، وانطلاقاً من القرن السادس والسابع الهجريين /12و13 ، برزت حركة الزهد بشكل واضح ، حيث ذكر لنا الغبريني في كتابه عنوان الدراية، عند ترجمته لعلماء بجاية العديد من هؤلاء الزهاد، فمن مجموع ال 109 علماء الذين ترجم لهم ، نجد منهم 19 زاهداً عرفتهم هذه الحاضرة ، الذين كان على رأسهم أبي مدين شعيب الأشبيلي (ت594هـ/1197م)، الذي كان له الكثير من الأتباع والتلاميذ ببجاية، وغيرها من مدن وحواضر المغرب الإسلامي⁽³⁾، من أقواله في الزهد >> لا يصلح سماع هذا العلم (أي التصوف)، إلا لمن جمعت له أربعة : الزهد، والعلم، والتوكل، واليقين >> وقوله >> الزهد فريضة وفضيلة، وقربة، فالفرض في

1 - عرفت الكثير من حواضر المغرب الإسلامي ظاهرة الزهد في وقت مبكر، كتلمسان مثلا، التي استقر بها الزاهد وهب بن منبه، أحد كبار التابعين، والذي يحتمل أن يكون مجيئه مع حملة أبي المهاجر دينار، أو حملة موسى بن نصير (83هـ/695م) على بلاد المغرب. يحيى بن خلدون : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، ط01، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ج01، ص117.

2 - من أبرز زهاد المغرب الأوسط في القرن الثالث الهجري /09م، سيدي هيدور، الذي اتخذ من جبل وهران، خلوة يتعبد فيها، نسب إليه فيما بعد، أبوراس محمد بن أحمد: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار. مخطوط، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1632، ورقة، 67.

3 - الغبريني، عنوان الدراية، ص 58.

الحرام، والفضل قي المتشابه، والقربة في الحلال»⁽¹⁾، واشتهر من زهاد بجاية أيضا أبو محمد عبد الحق الاشبيلي (ت582هـ/1186م) الذي يصفه الغبريني بأنه كان من أشهر زهاد بجاية وعبادها، ومن المتخلين عن الدنيا، ورغم ذلك فقد كانت له العديد من المجالس العلمية، والكثير من الأتباع والتلاميذ⁽²⁾.

ومنذ بداية القرن السابع الهجري/13م، أخذت حركة الزهد تتوسع بحاضرة بجاية، وذلك نتاج النشاط الكبير الذي كان يقوم به هؤلاء، خاصة من الجانب التعليمي، حيث كانت لهؤلاء مجالساً علمية، يقومون بتدريس العديد من العلوم الدينية، واللغوية⁽³⁾، ومن أبرز هؤلاء أبو عبد الله محمد بن القاسم السجلماسي (ت القرن السابع/13م)، وأبو زكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ/1214م) الذي كان من أبرز زهاد بجاية ومدرسيها في القرن السابع الهجري/13م وعلي بن أبي نصر البجائي (ت625هـ/1254م) الذي كان من أشهر علماء الحديث ببجاية⁽⁴⁾.

ونفس الظاهرة مثلها الفقيه الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي التجيبي (ت638هـ/1240م)، حيث جمع بين الفقه والزهد، والتأليف في العلوم الشرعية، يقول عنه الغبريني >> أما زهده فإنه كان زهداً حقيقياً بالظاهر والباطن بالترك للدنيا كلها، وعدم الميل إلى شيء منها، وكان ذلك عن طيب نفس ورضى، فإن الدنيا لم تكن عنده شيئاً، وكان كل ما يرد عليه ينفصل عنه من ساعته، ولا يتمسك منه إلا بحاجة وقته»⁽⁵⁾.

وفي النصف الثاني من القرن السابع الهجري/13م، انتشرت مظاهر الزهد ببجاية إنتشاراً كبيراً، خاصة مع تزايد توافد العلماء والصوفية الأندلسيين، كالفقيه الزاهد أبي الحسن علي النصيري الششتري الأندلسي (ت668هـ/1269)، حيث كان له ببجاية مجلساً لتعليم العلوم الشرعية، والعلوم اللغوية، وعلم التصوف⁽⁶⁾.

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص 64.

2 - المصدر نفسه، ص ص 73، 74.

3 - نفسه، ص ص 85، 122، 132.

4 - نفسه، ص 142.

5 - الغبريني، عنوان الدراية، ص 149.

6 - المصدر نفسه، ص 210؛ من أبرز زهاد بجاية في هذه الفترة أيضا أبو الفضل قاسم بن محمد

القرشي القرطبي (ت690هـ/1291م)، الغبريني: المصدر نفسه ص 161، 165، 170، 180.

وبالرغم من تقرب سلاطين وحكام بجاية من هؤلاء الزهاد، بالمناصب والأموال، إلا أن هؤلاء كانوا يرفضون هذه المناصب، ويؤثرون الخمول والزهد على التقرب من هؤلاء السلاطين، حيث ذكر الغبريني نماذج من هذه الحالات بحاضرة بجاية، كالفقيه الزاهد أبي عبد الله محمد بن علي القصري (ت القرن السابع الهجري/13م)، الذي عرضت عليه العديد من المناصب ببجاية كالقضاء فرفض جميع هذه المناصب، وطلب مجموعة من الكتب ليستعين بها على نشر العلم ببجاية (1).

وسلك الفقيه أبو زكرياء يحيى بن محجوبة السطيفي (ت 677هـ/1278م) نفس المسلك، حين عرض عليه أمير بجاية أبو يحيى زكرياء (633-646هـ/1235-1248م) أن يجعل له مرتباً، فرفض الفقيه أبو زكرياء هذا العرض، وقال له: << إن اسمي في ديوان الوجود المطلق، فلا أجعله في الديوان المقيد، لأن الإطلاق أوسع من التقييد، وهو في ديوان الحق، فلا أجعله في ديوان الخلق >> (2).

02- المصنفات الصوفية:

لعبت المصنفات الصوفية دوراً بليغاً في نشر التصوف ببجاية، حيث دخلت مجموعة كبيرة من المصنفات الصوفية المشرقية إلى المغرب والأندلس عن طريق رحلات الحج، والرحلات العلمية (3)، ومن أبرز هذه المصنفات، وأكثرها تأثيراً في الحياة الصوفية كتاب << الرعاية >> للحارث بن أبي أسد المحاسبي (ت 254هـ/895م)، و<< وقوت القلوب >> لأبي طالب محمد بن علي المكي (ت 3هـ/9م) (4)، و<< الرسالة القشيرية >> لأبي القاسم القشيري (ت 465هـ/1072م) وكتاب << إحياء علوم الدين >> لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ/1111م) (5).

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص 170.

2 - المصدر نفسه، ص 120.

3 - بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر، ص 63.

4 - دخل كتاب قوت القلوب إلى بجاية عن طريق مجموعة من العلماء الأندلسيين الذين جلبوه من المشرق كابي بكر محمد بن نعمة القرشي (ت 518هـ/1125م) الذي أخذها عن عبد الكريم محمد الصق، عن محمد بن شعيب المقرئ عن أبي طالب المكي. الغبريني: عنوان الدراية ص 320.

5 - دخل كتاب إحياء علوم الدين إلى الأندلس والمغرب، مع جماعة من الفقهاء والصوفية الأندلسيين، كابي بكر بن العربي، وأبي محمد بن حرزهم. بونابي: المرجع السابق، ص 63.

لقد تناول الغزالي في كتابه الإحياء طرق الوصول إلى الله، أو إلى الحقيقة⁽¹⁾ عن طريق المجاهدات، بإقامة الفرائض على وجهها الأكمل، والاجتهاد في النوافل ووجوه الخير المختلفة، أي التدرج في المقامات الثلاث الإيمان، الإسلام، والإحسان، فمن المغرب الأقصى دخل إحياء علوم الدين إلى المغرب الأوسط، بواسطة صوفيين هما: أبو محمد عبد السلام التونسي (ت512هـ/1114م)، وأبو الفضل بن النحوي التوزري (ت513هـ/1115م)⁽²⁾.
هذا الأخير الذي وقف في وجه المرابطين في قضية حرق كتاب الإحياء⁽³⁾. حيث أستسخ الأحياء في ثلاثين جزء، فإذا حل شهر رمضان قرأ كل يوم جزء⁽⁴⁾.

كما كانت قلعة بني حماد مستقراً لعدد كبير من الصوفية الذين أثروا تدريس العديد من المصنفات الصوفية الشرقية، حيث يذكر الغبريني أن أبا عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي (ت في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م)، قد أخذ على شيخه أبي محمد صالح الماجري (ت631هـ/1234م) مصنفاته في التصوف⁽⁵⁾ وهي << كتاب بداية الهداية >> و << تلقين المرید >> و << شرح المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی لأبي حامد الغزالي >> و << شرح الرسالة القشيرية >>⁽⁶⁾، حيث كان لأبي القاسم السجلماسي دوراً بارزاً

1 - المقصود بالحقيقة: هي رفع الحجب عن مطالعة الحضرة القدسية، وهي المعبر عنها بالمشاهدة، وعلومها المنسوبة إليها تارة تطلق على ما يبين للمشاهد من الحضرة القدسية من العلوم والمعارف والأسرار، والفيوض، والحكم، وأحوال اليقين إلى غير ذلك. أحمد بسام القسنطيني: غاية الأمان، (مخطوط)، 1935، ورقة 53.

2 - غادر ابن النحوي فاس واستقر بقلعة بني حماد سنة 507هـ/1113م، حيث كان يناصر كتاب إحياء علوم الدين، وكاتب الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1107-1131م) في هذا الأمر ولما ألزم المرابطون الناس بالإيمان بأن كتاب الإحياء ليس بين أيديهم أفتى بعدم لزوم إيمانهم، ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997، ص95.

3 - حارب المرابطون كتاب الإحياء، خاصة في الأندلس، وكان على رأس هؤلاء قاضي قرطبة، أبو عبد الله بن حمدين، حيث خوفوا الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين من مخاطر هذا الكتاب على دولته، فأصدروا فتاوى بحرقه، كما ذهبوا إلى حد تكفير قراءه، حيث بدأت عملية الحرق بقرطبة ثم شملت المغرب. مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ط01، مطبعة التقدم الإسلامي، تونس، 1990، ص76؛ بونابي: التصوف في الجزائر، ص65.

4 - ابن الزيات، التشوف: 96.

5 - الغبريني: عنوان الدراية، ص132.

6 - ابن القنفذ: أنس الفقير، ص63.

في نشر هذه المصنفات ببجاية، وعند استقراره بقلعة بني حماد إلى غاية وفاته⁽¹⁾.

وقد لعبت الرحلة العلمية دوراً بارزاً في عملية انتشار وانتقال المصنفات الصوفية من المشرق إلى الغرب والأندلس، وذلك بواسطة العلماء الذين كانوا يرتحلون لأداء مناسك الحج، ولملاقة العلماء، كما كان بعض هؤلاء العلماء يتوجهون إلى الحواضر الأندلسية للأخذ من علمائها، إذ قصد الفقيه الصوفي أبو محمد عبد الله بن يوسف الجزائري (ت في القرن السابع الهجري 13م) اشبيلية، وأخذ بها عن الفقيه القاضي أبي بكر بن العربي (ت 543هـ/1148م)⁽²⁾. ويشير الغبريني إلى أن أبا عبد الله الجزائري قد انتصب لتدريس التصوف وآراء أبي حامد الغزالي ببجاية، والجزائر، بعد عودته من أشبيلية⁽³⁾، وليس غريباً أن يكون كتاب الإحياء قد دخل مع هؤلاء العلماء.

كما شكلت هجرة العلماء الصوفية الأندلسيين إلى بجاية أواخر القرن السادس وخلال القرن السابع الهجريين / 12 و 13م عاملاً رئيسياً في دخول المصنفات الصوفية وانتشارها، ومن أبرز هؤلاء أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي (ت 594هـ/1198م) الذي حل ببجاية، ومكث فيها خمسة عشر عاماً⁽⁴⁾ حاملاً معه كتاب <<إحياء علوم الدين>> للغزالي، الذي كان يفضل على كتب التذكير الأخرى⁽⁵⁾ كما قام أبو مدين بتبسيط التصوف من خلال تدريس مجموعة من المؤلفات الصوفية المشرقية كالرسالة القشيرية، وكتاب الرعاية للمحاسبي⁽⁶⁾.

أما الصوفية الأندلسيون الآخرون الذين هاجروا إلى بجاية ولم يسعفهم الحظ في إدخال ونشر المصنفات في هذه الحاضرة، فقد قاموا بدور كبير في تدريس التصوف من خلال هذه المصنفات والمؤلفات المنتشرة، فهذا أبو سعيد عثمان

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص 133.

² - الغبريني: المصدر نفسه، ص 215؛ التقى أبو بكر بن العربي بأبي حامد الغزالي في القدس سنة 490هـ-1096م، وأخذ عنه، مؤلفاته، وطريقته في التصوف. بونابي، التصوف في الجزائر، ص 67.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص 215.

⁴ - ابن الزيات: التثوف، ص 319.

⁵ - المقرئ: نفع الطبيب، ج 07، ص 141.

⁶ - الغبريني: عنوان الدراية، ص 58.

الأنصاري البلبني (ت654هـ/1256م) يقوم بدور كبير في نشر التصوف بجاية من خلال تدريسه أمهات المصنفات⁽¹⁾.

كما قام أبو الحسن عبيد الله النفزي الشاطبي (ت642هـ/1224م) بوضع مختصر على كتاب <<حلية الأولياء>> لأبي نعيم، حيث كان يدرسه على طلبة بجاية⁽²⁾، بينما أثر أبو عبد الله محمد القصري (ت في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م) التعليق على الرسالة القشيرية، في مجلس درسه، لأنه كان يراها الأنسب للتدريس، يقول عنه الغبريني << وكان إذا قرأت عليه رسالة القشيري يأتي عليها بما لم يسبق إليه، وربما لو سمعه أبو القاسم القشيري لعلم أنه العالم بمعانيها >>⁽³⁾، ناهيك عن تلقين الصوفي أبي العباس أحمد بن خالد المالقي (ت660هـ/1261م) للطلبة كتاب <<الإرشاد>> لأبي المعالي⁽⁴⁾ وتدریس أبي القاسم أحمد بن عجلان القيسي (ت675هـ/1277م) التصوف للعامة من أهل بجاية⁽⁵⁾.

ولم يكتف صوفية بجاية بإدخال المصنفات الصوفية، وتدریسها للطلبة، بل قام الكثير منهم بالتصنيف في علم التصوف، أو وضع شروح وتعليقات على المصنفات الموجودة، فهذا الصوفي أبو زكرياء يحيى بن محجوبة القرشي السطيفي (ت677هـ/1278م) يقوم بتأليف العديد من المصنفات الصوفية، منها كتاب << شرح أسماء الله الحسنى >> الذي وضعه بطابع صوفي على حد تعبير الغبريني⁽⁶⁾.

وكذلك قام عبد الرحمن بن يوسف البجائي، بتأليف كتاب << قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء الصديقين >>⁽⁷⁾.

كما ساهم صوفية الأندلس في عملية التأليف، فهذا أبو محمد عبد الحق الأشبيلي (ت581هـ/1185م)⁽⁸⁾ يقوم بتأليف العديد من المصنفات بعد استقراره بجاية حوالي سنة (550هـ/1155م) مثل كتاب <<الزهد>>، وكتاب

1 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 245.

2 - المصدر نفسه، ص 177.

3 - نفسه، ص 170.

4 - نفسه، ص 100.

5 - نفسه، ص 116.

6 - نفسه، ص 120.

7 - عادل نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص 36.

8 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 75.

<<التهجد>> وكتاب في << علم التذكير >>، حيث صارت هذه المؤلفات محل اهتمام طلبة بجاية، ومراجع يتغذون منها علمياً وروحياً، ولمستواها العلمي الراقى وصلت إلى حواضر المشرق، فأصبحت من المصنفات المعتمدة⁽¹⁾.
وألف أبو علي بن أحمد الحرالي (ت 638هـ/1240م) عدة مصنفات صوفية بعد دخوله بجاية مثل كتاب <<شمس مطالع القلوب ويدر طوابع الغيوب>>، وكتاب <<صلاح العمل لانتظار الأجل>>⁽²⁾، كما ترك الحرالي بعض الأذكار التي كان يتلوها عقب كل صلاة، فضلاً على مقطوعات من الشعر الصوفي⁽³⁾، حيث كانت هذه المؤلفات محل اهتمام كبير من طلبة بجاية وعلمائها، وهذا ما يؤكد الغبريني عندما أشار إلى جودتها، ومستواها الراقى⁽⁴⁾.

03- التدهور الأخلاقي وظهور الآفات الاجتماعية:

لقد كان للتدهور الأخلاقي، وظهور الآفات الاجتماعية في المجتمع البجائي دوراً هاماً في نشاط الحركة الصوفية، كتنقيض وكرد فعل يسعى إلى إصلاح المجتمع بالدعوة إلى العفة والزهد والسمو بالإنسان من المعاصي والخطايا و التدهور الأخلاقي إلى التوبة و التحلي بالأخلاق الفاضلة، ومحاربة هذه الآفات و القضاء عليها.

وانطلاقاً من القرن السادس الهجري /12 م، ساد بجاية ترف في الحياة الاجتماعية، تجلى في بناء التصور و المنتزهات، و الاشتغال باللهو و الصيد⁽⁵⁾، هذه المظاهر التي ولدت بمرور الوقت ظواهر غريبة عن المجتمع البجائي كاختلاط الرجال مع النساء في الأماكن العامة، وابتياح الخمر علناً في باب البحر⁽⁶⁾، وارتكاب المعاصي المختلفة، كالزنا مع الجوارى و الإماء، وخاصة

1 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 74.

2 - حاجي خليفة: كشف الظنون، ج02، ص1061.

3 - الغبريني: عنوان الدراية، ص ص 145، 157.

4 - نفسه، ص 148؛ تحاول بعض المراجع الأجنبية، التقليل من أهمية مؤلفات الحرالي، كـ EMILE Dermenghem التي تدعي أن مؤلفات الحرالي لم يكن لها اهتمام، بل لم تكن تقرأ أصلاً. Vie des saints musulmans, L'imprimerie Darantier du dyan, 1983,p275. إلا أن الغبريني: دحض هذه الإدعاءات بالتأكيد على أن الحرالي كان له دور كبير في حركة التعليم ببجاية، من خلال مجالس العلم التي كان يقيمها، وأيضاً من خلال المؤلفات التي تركها، المصدر السابق، ص148.

5- بونابي، التصوف في الجزائر، ص98.

6- الغبريني: عنوان الدراية، ص 152.

أن بجاية كان بها أحد أبرز أسواق النخاسة بالمغرب الإسلامي (1)، حيث كانت ملتقى الكثير من الأجناس الأجنبية ومن اليهود، والنصارى، و ما لهذه الشرائح من تأثير على أخلاق المجتمع (2)، حيث أدت كل هذه الظواهر والآفات إلى انتصاب علماء بجاية، وعلى رأسهم الصوفية، للأمر بالمعروف، والنهي على المنكر، و الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، خاصة عندما اشتدت هذه الآفات على أهل بجاية، في ظل عجز وغياب جهاز الحسبة (3)، فحمل أهل التصوف على عاتقهم مسؤولية مكافحة هذه الآفات و الحد من انتشارها وذلك من خلال دروسهم ومواعظهم التي كانوا يقدمونها للعامة من أهل بجاية، وكذلك وصاياهم التي كانوا يبعثون بها إلى الحكام و الأمراء في السلطة، فهذا الشيخ أبو مدين شعيب (ت 494هـ / 1197 م) كان كثيرا ما يوصي العامة من أهل بجاية، من خلال دروسه الموجهة إليهم، بتقوى الله، واجتناب المخالفات الشرعية كقوله من جملة حكمه : «أحذر صحبة المبتدعة اتقاء على دينك، واحذر صحبة النساء اتقاء على قلبك» وقوله : « من اشتغل بالدنيا ابتلي بالذل فيها » (4).

وكان أبو زكريا يحيى الزواوي (ت 611 هـ / 1214 م) يكثر من ذكر النار والأغلال وأساليب التخويف و الترهيب في مجالسه التي كان يخصصها لأهل بجاية، وكان يرى بأن هذه الأسلوب هو الأنجع للدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، و التحذير من تدهور الأخلاق و الآفات الإجتماعية (5).

كما كان الصوفية يشاركون في حل قضايا ومشاكل المجتمع البجائي بأساليبهم وطرقهم الخاصة، فهذا أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي التجيبي (ت 638 هـ / 1240 م)، كان يأتيه أهل بجاية لحل مشاكلهم، كالمراة التي جاءت تشكو له من ولدها الذي كان يكثر من شرب الخمر (6) ، كما كان أسلوب الحرالي يتسم باللين و الموعظة الحسنة في معالجته لقضايا ومشاكل المجتمع، عكس أبي زكريا يحيى الزواوي الذي كان يفضل أسلوب التخويف و الترهيب، حيث يذكر الغبريني أن الحرالي دخل عليه بعض الطلبة، إلى مجلسه العلمي، وبأيديهم بعض الحلبي التي تتخذها النساء للزينة، فلما رآها الحرالي قال :لهم

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص 76.

2- بعيزيق صالح: بجاية في العهد الحفصي، ص 449.

3 - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 152.

4- الشوار مصطفى: ديوان أبي مدين شعيب، ط01، مطبعة الترقى، دمشق، 1938، ص 50.

5- الغبريني: عنوان الدراية، ص 136.

6- المصدر نفسه، ص 152.

«يد يجعل فيها الحلي ، لا يشار بها في الميعاد»⁽¹⁾، فكان هذا الجواب ،سببا في توبة هؤلاء الطلبة ، ورجوعهم عن فعلهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

¹-الغبريني:المصدر السابق،ص151.

ج-التيارات الصوفية بجاية:

عرفت بجاية أواخر القرن السادس، والقرن السابع الهجريين 12/13م نشاطا صوفيا، تمثل في ظهور العديد من هذه التيارات الصوفية، التي كان لها صدى وتأثير كبيرين في المجتمع البجائي، منها ما هو نابع من الحياة اليومية للمجتمع البجائي، حيث اعتمد صوفية هذا التيار على الوعظ والتذكير، والتخويف والترهيب، كما فضل البعض الآخر أسلوب المجاهدات، والخلوة والانقطاع للوصول إلى المقامات العالية، كما ظهر بجاية صوفية آخرون استمدوا آرائهم الصوفية، من أفكار ونظريات صوفية وفلسفية، وهذه التيارات التي عرفتها بجاية تنقسم إلى نوعين: تيار التصوف السني، وتيار التصوف الفلسفي.

01- تيار التصوف السني:

امتاز أصحاب هذا التيار، بالالتزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك بالدعوة إلى الله والتفكير في يوم الآخر، والزهد في الدنيا، حيث اعتمدوا في ذلك على عدة أساليب، كالوعظ والتذكير، ومنهم من تبنى أسلوب التخويف والترهيب في دعوته إلى الله، كما نهج فريق آخر، منهج المجاهدات النفسية وذلك بكثرة الصيام، وإطالة القيام، والتهدج، والتقليل من المأكّل، والتكشف في أمور الدنيا والزهد فيها⁽¹⁾.

وقد تزعم هذا التيار مجموعة من الصوفية الذين عرفتهم حاضرة بجاية، وذكرهم الغبريني في كتابه "العنوان"، منهم أبو محمد عبد الحق الاشبيلي (ت582هـ/1186م)، الذي كان من أهل الزهد والتكشف والعبادة⁽²⁾، حيث كان يقسم ليله ثلثا للقراءة، وثلثا للعبادة، وثلثا للنوم⁽³⁾.

وإن كان الاشبيلي قد ترك العديد من المصنفات، إلا أن هذه الأخيرة كانت تصب في اتجاهه الصوفي الذي يدعو إلى الوعظ والتذكير ككتاب "العاقبة في ذكر الموت"، وكتاب "الصلاة والتهدج"، وكتاب "الزهد"⁽⁴⁾، كما تظهر الآراء

1- بونابي: ، التصوف في الجزائر ، ص101.

2- الغبريني: عنوان الدراية، ص73.

3- الغبريني: المصدر نفسه، ص73.

4- المصدر نفسه، ص74.

الصوفية للاشبيلي جلية من خلال مجموعة الأشعار التي تركها، حيث كانت كلها تدعو إلى الزهد في الدنيا ، كقوله (الوافر):

دع الدنيا لطالبها وجاف
وخذ منها كفافا من حلال
بنفسك عن مزاحمة القوافي
فإنك لا تلام على كفاف⁽¹⁾

وفي التذكير بالموت، يقول عبد الحق الاشبيلي في كتابه العاقبة في ذكر الموت: "اعلموا رحمكم الله أن الناس في ذكر الموت على ضروب، فمنهم المنهمك في لذاته، والمضيع فيها ما لا يرجع إليه من أوقاته، لا يخطر له الموت على بال... وآخر قلبه معلق بالدنيا، وهمه فيها، ونظره مصروف إليها، وهو مع ذلك من طلابها المحرومين، وأبنائها المكودين لم ينل منها حظا، إن ذكر له الموت تصامم عن ذكره..."⁽²⁾.

ومن صوفية بجاية الذين سلكوا مسلك الزهد، كطريق للوصول، أبي عبد الله محمد بن الحسين ميمون التميمي القلعي (ت673هـ/1274م)، الذي اشتهر بالزهد، والتخلي عن الدنيا⁽³⁾.

وظهر هذا الاتجاه جليا ببجاية من خلال أبي مدين شعيب الاشبيلي (ت594هـ/1198م)⁽⁴⁾ وتلاميذه، وما شكلوه من وجود صوفي قوي، حيث أخذ أبو مدين شعيب التصوف عن أبي الحسن السلاوي⁽⁵⁾، وأبي عبد الله الدقاق، الذي يعتبر أول من أخذ عليه أبي مدين التصوف⁽⁶⁾، حيث بدأ أبي مدين

¹- عبد الحق الاشبيلي: ديوان قصائد، ضمن مجموع، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1830، ورقة، 198، 199، ابن الزبير: صلة الصلة، تحقيق ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1938، ص06.

²- طالبي عمار: الحياة العقلية في بجاية، مجلة الأصالة السنة (04)، العدد (19)، مارس، أبريل، 1974، ص 156، 157.

³- الغبريني: عنوان الدراية، ص95.

⁴- ولد أبو مدين شعيب سنة 520هـ/1126م بحصن قطانية في اشبيلية، حيث نشأ يتيما، بدأ رحلته العلمية بعد مغادرته للأندلس، أين استقر بالعديد من الحواضر المغربية، كطنجة، وسبتة، ومراكش، وفاس، هذه الأخيرة التي استقر فيها لعدة سنوات، درس التصوف من مصادر الرئيسية " كالرعاية" للمحاسبي، وإحياء علوم الدين للغزالي، وغيرها من المصنفات الصوفية، ابن القنفذ: انس الفقير، ص13؛ أبو القاسم بلعربية: الشيخ أبو مدين، محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، ملتقيات الفكر الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2005، ص807. Emile Dermenghem: Vies des Saints musulmans P 250.

⁵- ابن الزيات: التشوف، ص322.

⁶- ابن القنفذ: انس الفقير ص27

في ممارسة التصوف عمليا، وذلك بالتوجه إلى تطهير النفس وتربيتها التربوية القاسية، على يد الصوفي أبي يعزى بن يلىنور (ت572هـ/1176م)⁽¹⁾، والصوفي أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم (ت559هـ/1163م) هذا الأخير الذي لازمه مدة ، وأخذ عنه بعض العلوم الشرعية⁽²⁾.

ولم يكتف أبو مدين شعيب، بالأخذ عن الشيوخ المغاربة، بل استغل رحلته للبقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، فاتصل بالشيوخ عبد القادر الجيلاني (ت560هـ/1165م) حيث التقى به بجبل عرفات، فأخذ عنه التصوف، وألبسه الخرقة، وأعطاه بعض الأسرار الصوفية⁽³⁾.

لقد استطاع أبو مدين شعيب، أن يجمع بين أفكار صوفية متعددة، حيث تتلمذ على يد أساتذته المغاربة، الذين أخذ عنهم أن تصفية النفس والأخذ بها إلى مسارها الصحيح لا يتم إلا بالمجاهدات كالصيام، والقيام، والزهد في الدنيا بالتقشف في المأكل والملبس، والتهدد، بالإضافة إلى المؤلفات المشرقية التي أخذها أبي مدين في بداية مسيرته الصوفية كمصنفات المحاسبي، والقشيري والغزالي⁽⁴⁾.

دخل أبو مدين شعيب بجاية في عهد الخليفة الموحد يعقوب المنصور (580هـ/1184م-595هـ-1199م)، متشعبا بهذا التراث الصوفي الذي أخذه من مدارس متعددة مغربية ومشرقية، وأندلسية، حيث استقر ببجاية ناشرا للتصوف السني، القائم على المجاهدات النفسية، لكن بطريقة وأسلوب يختلفان عما تلقاه هو في بداية طريقه، حيث لم يكن راضيا على طريقة المجاهدات القاسية التي تبنتها المدرسة المغربية⁽⁵⁾، فحصر معنى الزهد ومظاهر التقشف، في تطهير القلب من الذنوب، وحب الدنيا، وملئه بحب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، معبرا عن ذلك بقوله: "التعظيم امتلاء القلب بإجلال الرب"

¹ - نعد أبو يعزى إبقاء أبي مدين شعيب بدون طعام لمدة ثلاثة أيام، وهذا عند أول زيارة قام بها أبو مدين لأبي يعزى، حتى أجده الجوع، وكاد يقتله، وبعد ثلاثة أيام استدعاه أبو يعزى، ومسح على عينيه وصدره وقال للحاضرين هذا يكون منه كذا وكذا. ابن القنفذ: أنس الفقير، ص15، ابن الزيات: التشوف ص321.

² - ابن الزيات: المصدر نفسه، ص320.

³ - أبو راس العسكري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ورقة: 66، عبد الحلیم محمود، أبو مدين القوث: حياته ومعراجه إلى اللهبط، المكتبة العصرية، بيروت، دت، ص46.

⁴ - برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج02، ص332.

⁵ - بونابي: ، التصوف في الجزائر ، ص121.

وقوله: "إياك أن تميل إلى غير الله فيسلبك لذة مناجاته"⁽¹⁾، داعيا في نفس الوقت إلى الاعتناء بالقلب، الذي هو محل التطهير، هذا التطهير الذي لا يتم إلا بالذكر وكثرة النوافل ووجوه الخير والبر المختلفة ككثرة الصيام والقيام والصدقات، مع إقامة الفرائض على وجهها الصحيح، حيث يقول: "جعل الله قلوب أهل الدنيا محلا للغفلة والوسواس، وقلوب العارفين محلا للذكر والاستئناس" وقوله: "أيما قلب رآه مؤثرا له حفظه من الطوارق والمحن"⁽²⁾.

لقد استطاع أبو مدين شعيب من خلال إعطائه لمفهوم جديد للتصوف، وللزهد خاصة من خلال لبسه لأفخر الثياب، والتزين برائحة المسك والطيب⁽³⁾، وقصده في ذلك أن الزهد الحقيقي هو إصلاح القلب والجوارح، وتطهير النفس من الرذائل، وتحليتها بالفضائل، وليس الزهد لبس الثياب المرقعة البالية، ومن خلال اختصاره للتصوف في عبارات واضحة مختصرة تعبر عن مدلولها بكل بساطة، وعمق⁽⁴⁾ حيث اشترط على كل مقبل على التصوف، أن تتوفر فيه أربعة شروط بقوله: "لا يصلح سماع هذا العلم إلا لمن حصلت له أربعة: الزهد، والعلم، والتوكل، واليقين"⁽⁵⁾، إلى جانب الالتزام التام بمبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث كان أبو مدين إلى جانب تصوفه، من أشهر المدرسين للعلوم الشرعية، خاصة للفقهاء المالكي⁽⁶⁾، فكان يتشدد في الدعوة إلى إقامة الفرائض، فلا تصوف بدون إقامة الفرائض على وجهها الصحيح وقد عبر عن ذلك بقوله "من أهمل الفرائض فقد ضيع نفسه"⁽⁷⁾.

لقد تركت هذه المبادئ التي بنى عليها أبو مدين شعيب تصوفه أثرا بليغا في بجاية، من خلال تأثرهم بهذه الطريقة من التصوف، حيث جعلت الكثير منهم

1- الغبريني: عنوان الدراية، ص62

2- عبد الحليم محمود: المرجع السابق، ص55.

3- ابن القنفذ: أنس الفقير، ص94.

4- من أبرز هذه المقولات التي كان يرددها الشيخ أبو مدين شعيب، وكان كثيرا ما يوصي بها تلامذته ومريديه: "الحق تعالى مطلع على السرائر والضمائر في كل نفس"، "إياك أن تميل إلى غير الله فيسلبك لذة مناجاته"، "اجعل الصبر زادك، والرضا مطلبك، والحق مقصدك ووجهتك"، "من خدم الصالحين ارتفع بخدمته"، "التعظيم امتلاء القلب بإجلال الرب"، الغبريني، عنوان الدراية، ص62، 63، الشوار: ديوان سيدي بومدين شعيب، ص46.

5- ابن القنفذ: أنس الفقير، ص18.

6- ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشره محمد بن أبي شنب، وقدم له عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص108.

7- الغبريني: عنوان الدراية، ص63.

ببجاية، وغيرها من حواضر المغرب الإسلامي، يتأثرون بهذه النظرية الصوفية البسيطة⁽¹⁾.

ومن أبرز هؤلاء الذين أخذوا أفكار أبي مدين، وواصلوا نشر تصوفه ببجاية أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت628هـ/1230م) الذي كان من أبرز تلاميذ أبي مدين، حيث كان يلازمه في مجالسه العلمية والصوفية⁽²⁾، ومن تلامذته الذين أخذوا عليه التصوف وواصلوا نشر آرائه بعد وفاته، أبو علي حسن بن محمد الغافقي الصواف، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري، ويعقوب بن عمران البويوسفي (ت717هـ/1317م)، مؤسس الزاوية الملارية⁽³⁾.

وعرفت بجاية في القرن السابع الهجري/13م، نوعا آخر من التصوف السني، الذي كان يعتمد على أسلوب الترهيب والتخويف، مستعملين في ذلك نظاما ومنهجاً صارماً على الطلبة والمريدين الراغبين في سلوك طريق التصوف⁽⁴⁾.

تصدر هذا النوع من المجاهدات الصوفية ببجاية، الفقيه الصوفي أبو زكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ/1215م)، الذي يصف الغبريني طريقة تصوفه بأنها "مبنية على ترك الدنيا، والانقطاع إلى الدار الآخرة"⁽⁵⁾، ويضيف الغبريني بأنه لم يكن ببجاية أجلد منه على القيام والصيام⁽⁶⁾، أما دروسه التي كان يقدمها لطلبته ومريديه، فقد كانت تدور أغلبها حول ذكر الأغلال والسعير، وأحوال يوم القيامة⁽⁷⁾، مما جعل الشيخ أبي مدين شعيب (ت594هـ/1198م) ينصحه بعدم تقنين الناس، وإتباع أسلوب الترغيب، وتذكير الناس بنعم الله عز

¹ - بونابي: ، التصوف في الجزائر ، ص122، من أهم مؤلفات أبي مدين شعيب: أنس الوحيد ونزهة المرید في التوحيد، كتاب الجوهرة، خطب ومواعظ، رسائل في التصوف. أبو مدين شعيب: أنس الوحيد ونزهة المرید، تحقيق خالد زهري، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص23؛ حسين فارسي: أبو مدين شعيب حياته وأدبه، طدار الغرب للنشر والتوزيع، 2005، ص95.

² - الغبريني: عنوان الدراية، ص192.

³ - ابن القنفذ: أنس الفقير، ص36، 37، 42.

⁴ - بونابي، التصوف في الجزائر ، ص106.

⁵ - الغبريني: عنوان الدراية، ص136.

⁶ - المصدر نفسه، ص136.

⁷ - نفسه، ص136.

وجل⁽¹⁾، حيث كان يجيب طلبته الداعين إلى أسلوب الترغيب، والتشويق بالجنة وما أعد الله عز وجل لأهلها، "متى خرجنا من النار حتى نذكر الجنة وما فيها"⁽²⁾.

ومن خلال هذا المنحى الصوفي الذي اختاره أبو زكرياء يحيى الزواوي، يتبين أن هذا التشدد في الدعوة إلى الله، والزهد في الدنيا، نتيجة للمنكرات التي أصبحت مستشرية ببجاية، كشراب خمر والزنا وغيرها من الآفات الاجتماعية، التي أثقلت كاهل المجتمع البجائي، ولم يحرك ولاة بجاية ساكنا للحد منها⁽³⁾.

وسلك الصوفي أبو تميم الواعظ الوهراني (ت في القرن السابع هـ/13م) مسلك أبو زكرياء يحيى الزواوي، في تشدده، وتركيزه على التخويف، والترهيب، حيث يذكر الغبريني بأن أبا تميم كان الغالب عليه الخوف، واستعمال أساليب الترهيب والتخويف، والمجاهدات النفسية، كطريق للتصوف⁽⁴⁾.

والترم آخرون من صوفية بجاية طريق الخلوة والانقطاع، كسبيل للتصوف، حيث اعتزلوا الناس في الجبال، والمساجد، والبيوت، حيث مثل هذا الاتجاه مجموعة من صوفية بجاية نذكر منهم أبو الحسن عبيد الله الأزدي (ت691هـ/1292م) الذي كان منقطعاً عن الناس، متفرغاً للعبادة⁽⁵⁾ وأبو يوسف يعقوب بن يوسف الزواوي (ت690هـ/1291م) الذي أثر الانقطاع الكلي ببيته، مؤثراً العبادة على ملاقاته الناس⁽⁶⁾.

كما فضل عدد آخر من الصوفية، ممارسة التصوف عن طريق الإكثار من النوافل، كالمداومة على الأذكار، كأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي (ت القرن السابع/13م) الذي كان يرى أن التوصل إلى الحقائق، لا يكون إلا بالتوحيد "لا إله إلا الله"⁽⁷⁾، والترقي إلى أعلى المقامات الصوفية لا يتحقق إلا بالتوحيد⁽⁸⁾.

1- ابن الزيات: التصوف، ص428.

2- المصدر نفسه، ص429.

3- نفسه، ص429؛ بونابي: التصوف في الجزائر، ص107.

4- الغبريني: عنوان الدراية، ص180.

5- المصدر نفسه، ص121.

6- نفسه، ص226.

7- أبو عبد الله أحمد بن عبد المؤمن، الأنوار في آداب الاجتماع والأذكار (مخطوط)، ورقة32.

8- الغبريني: عنوان الدراية، ص32.

02- تيار التصوف الفلسفي:

ويقوم هذا النوع من التصوف على أساس مجاهدة النفس بالصيام، والقيام، والذكر والمجاهدات النفسية الأخرى، حيث يتبعها كشف حجاب الحس، والإطلاع على عوالم من أمر الله، ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها، حيث يتعرض السالك أو الصوفي حينئذ للمواهب الربانية، والعلوم اللدنية، والفتح الإلهي، وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الأفق الأعلى، أفق الملائكة، فهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم⁽¹⁾، وقد عرفت بجاية في القرن السابع الهجري/13م هذا النوع من التصوف، حيث كان ينزع أصحابه إلى التعبير عما يجدونه من أحوال، وأسرار، بعبارات غامضة، أو فلسفية، تعكس أحوالهم، وآرائهم الصوفية.

ومن أبرز صوفية بجاية الذين تزعموا هذا التيار أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي التجيبي (ت637هـ/1239م)، الذي كان من أبرز الصوفية الذين عرفتهم بجاية، حيث بدأ تصوفه بمدينة مراكش⁽²⁾، فكان متأثرا بتصوف السهروردي (ت580هـ/1183م)، وأبي الحسن عبد الله بن سينا (ت428هـ/1037م)⁽³⁾، حيث كان يرى بأن جميع الموجودات في هذا الكون مردها إلى الله سبحانه وتعالى، وبالتحديد إلى نور الله، والذي يطلق عليها الكثير من الباحثين بالنظرية الإشراقية⁽⁴⁾، ويعبر الحرالي عن هذه الرؤية الإشراقية بقوله:

ولبارينا وجود وقدم	ما لنا من سوى الحال عدم
غير من يعرف ما معنى القلم	نحن كتب الله ما يقرأها
كلما لاحت معانيه انعجم	أحرف الكتب الذي أبدعه
فوجود الكل عند فيض الكرم ⁽⁵⁾	أشرقت أنفسنا من نوره

ويعبر الحرالي عن مقام الغيبة عن النفس، والولوج في عالم الملكوت، حيث الأنوار، والفتوحات، والعلوم اللدنية بقوله (الكامل)

1- ابن خلدون: المقدمة، ص586، 587.

2- الغبريني: عنوان الدراية، ص145؛ محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ط01، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983، ص180.

3- بونابي: التصوف في الجزائر، ص143.

4- المرجع نفسه، ص143.

5- الغبريني: عنوان الدراية، ص156، 157.

فترى النفس عن عالمها باختيار ليس تدنيه الهمم
 ليس يدري من أنا إلا أنا ها هنا الفهم عن العقل أنبهم⁽¹⁾
 وإلى جانب تصوفه، أثر الحرالي عند دخوله بجاية مطلع القرن السابع
 الهجري/13م، التدريس بجامعة الأعظم، فقام بتدريس بعض العلوم الدينية،
 كالفقه والتفسير، وعلوم الحديث⁽²⁾، إلى جانب تدريسه للتصوف، حيث استطاع
 أن يكون مجموعة من التلاميذ والمريدين، كان أبرزهم أبو محمد عبد الحق بن
 عمر الأنصاري البجائي (ت675هـ/1276م) الذي كان ملازماً لشيخه أبي
 الحسن الحرالي، حيث تلقى أغلب علومه على يديه⁽³⁾.
 ويؤكد الغبريني هذا عندما يذكر بأن الأنصاري ألف قصيدة صوفية يعبر
 فيها عن آرائه الصوفية، حيث عرضها على شيخه الحرالي فقام بتلخيصها في
 عدة أبيات تعبر عن حقيقة التصوف من وجهة نظر الحرالي⁽⁴⁾، والمقامات
 والمنازل الصوفية التي يقطعها المرید واحدا تلو الآخر حتى يصل إلى
 مراده⁽⁵⁾.

أما أبا زكرياء يحيى بن محجوبة السطيفي (ت677هـ/1278م) فقد كان
 أحد خواص أبي الحسن الحرالي، كما يذكر ذلك الغبريني⁽⁶⁾، حيث ساهم في
 نشر أفكار شيخه من خلال ما تركه من مؤلفات في هذا الاتجاه، ككتابه "شرح

1- الغبريني: المصدر نفسه، ص157.

2- المصدر نفسه، ص146، 147.

3- نفسه، ص87.

4- القصيدة من بحر (الكامل) ومن أبياتها:

في الماء يظهر كل شيء كائن	وبه يرى مثل الوجود مصورا
وأنا أرى في كل ماء ماءه	وأرى وراء الماء ماء آخر
فارفع به ظلم الحجاب فرقعها	تجنك من غرس المعنى ما أثمر

5- استعمل الأنصاري في قصيدته العديد من مصطلحات أهل التصوف، كالكشف، والحياة
 السرمدية، والمنازل، المقام، القلب، السر، الحجاب، الحال، المقام، المحبة، الفناء، هذا الأخير الذي
 يقصد به عند الصوفية: سقوط الأوصاف المذمومة، والبقاء قيام الأوصاف المحمودة به، ومن
 استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا، ولا اسما، ولا طللا، ويقال
 أنه فنى عن الخلق، وبقي بالحق. القشيري: الرسالة، ص36، للتفصيل حول المصطلحات:

Faouzi Skali: La Voie Soufie, ALBin Michel, paris, 1985, pp63, 172.

6- الغبريني: عنوان الدراية، ص119، 120.

أسماء الله الحسنى" وتقايبده وشروحاته لبعض مصنفات التصوف، وبعض الأشعار التي عبر فيها عن نظرتة لعلم التصوف.

وكان أبو الفضل القرطبي (ت662هـ/1263م)⁽¹⁾ يرى بأن المراتب الصوفية التي أقرها الحرالي لبلوغ المقامات العليا في التصوف لا تكتمل إلا بالموت، لأن الموت واسطة توصل الحبيب بالمحبيب، وأن المعرفة تنقلب في الدنيا إلى مشاهدة⁽²⁾.

واشتهر من صوفية هذا التيار أيضا ببجاية في القرن السابع الهجري/13م، أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم المعروف بابن سبعين(ت669هـ/1270م)، حيث سلك مسلكا صوفيا أكثر فيه من استعمال الإشارات والألغاز والرموز، يقول عنه الغبريني: "له موضوعات كثيرة، هي موجودة بأيدي أصحابه، وله فيها أغاز وإشارات بحروف أباجد، وله تسميات مخصوصات في كتبه، وهي نوع من الرموز"⁽³⁾.

كما ترك ابن سبعين أشعارا، ضمنها المراحل التي يجب على السالك أن يسلكها في طريق التصوف⁽⁴⁾.

أما أبا الحسن علي الششتري (ت668هـ/1269م)⁽⁵⁾، فقد تولى نشر أفكار شيخه ابن سبعين ببجاية، نظرا لكونه من تلاميذه المقربين منه، ولنجاح طريقة تدريسه ببجاية، حيث أعطى دفعا قويا للسبعينية، من خلال الدروس الكثيفة التي كان يقدمها لطلبة بجاية⁽⁶⁾.

¹ - هو أبو الفضل قاسم بن محمد القرطبي، أحد صوفية قرطبة الذين استقروا ببجاية في القرن السابع الهجري/13م، أخذ التصوف على مجموعة من العلماء كأبي محمد صالح الماجري ثم انتقل إلى التدريس بزوايته ببجاية، حيث كان يقيم مع طلبته حلقاته العلمية والصوفية، الغبريني: المصدر السابق، ص 161، 162.

² - المصدر نفسه، ص 162.

³ - المصدر نفسه، ص 209.

⁴ - نفسه، ص 209.

⁵ - هو أبو الحسن علي النميري الششتري من قرية ششتر بالأندلس، بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم، حيث كان مجودا بارعا له، فاهما لمعانيه، أخذ التصوف عن شيخه أبي سبعين، توفي بالشام سنة (668هـ/1269م)، المقرئ، نفع الطيب، ج 02، ص 187.

⁶ - الغبريني: عنوان الدراية، ص 210.

أما اتجاه وحدة الوجود فقد مثله ببجاية الصوفي أبو عبد الله محي الدين بن عربي المرسي الأندلسي (ت638 / 1240م)⁽¹⁾ الذي بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم على يد أبي بكر بن خلف الأشبيلي⁽²⁾ ثم انتقل إلى دراسة العلوم الدينية أين وجد ضالته في الارتشاف من مختلف هذه العلوم على يد مجموعة كبيرة من العلماء كأبي القاسم الشراط القرطبي، وعلي ابن زرقون، وأبو محمد عبد الحق الأشبيلي الأزدي⁽³⁾، وفي سنة 568هـ/1172م انتقل إلى إشبيلة فمكث بها 23 سنة لغاية 597هـ/1194م، حيث بدأ في دراسة التصوف، والبدء في تطهير النفس وتربيتها التربية الصوفية⁽⁴⁾، فقام بوضع أول تأليفه الصوفية، وعمره لم يتجاوز الثلاثين سنة (590هـ/1193م) بعنوان "مشاهد الأسرار" ثم تبعه بمؤلف "تدبير الأولياء"⁽⁵⁾.

وفي سنة (591هـ/1194م) اضطر ابن عربي للتوجه نحو مدينة فاس، بعد وفاة والده، حيث قام بتزويج أخته في هذه المدينة، ليتفرغ لتربية نفسه التربية الصوفية، والاتصال بعلماء هذه الحاضرة.

وفي سنة (597هـ/1200م)، دخل حاضرة بجاية قادما من مدينة فاس، حيث زار في طريقه تلمسان⁽⁶⁾، فمكث ببجاية مدة لا تزيد عن السنة⁽⁷⁾، حيث

¹ - ولد محي الدين بن عربي سنة 560هـ/1164م، المقرئ. نفع الطيب، ج02، ص361.

² - محمد بن جعفر الكتاني: جلاء القلوب (مخطوط)، ج01، ورقة 05، 06.

³ - Claude Addas: Ibn Arabi et le voyage Sans retour, édition du seuil, paris, 1996, pp02, 07.

⁴ - Anqua publishing: Ibn Arabi: The seven Days of the Heart, oxford, 2000.p02.

⁵ - يرى الغبريني أن ابن عربي لم يؤلف أثناء تواجده بالأندلس أو بالمغرب، إلا أن المصادر الأخرى تؤكد أن ابن عربي بدأ التأليف مبكرا، بل قيل أن يخرج من الأندلس، حيث ألف كتابي "مشاهد الأسرار" و"تدبير الأولياء" سنة (590هـ/1193م) وتبعه بكتاب "مواقع النجوم" الذي ألفه بالمرية سنة (595هـ/1198م). المقرئ، نفع الطيب، ج02، ص176.

Anqua publishing: The spiritual life and Thought of Ibn Arabi, oxford. 1999. p.91

⁶ - Ibn Arabi: les soufis d' Andalousie (Ruh al quds fi munaçahat an nafs), traduit de l'arabe et présenté par, r.w.J. Austin. L'imprimerie, Darantiere à quetigny Duyan. 1988, pp.151

⁷ - الغبريني: عنوان الدراية، ص158.

التقى بالعديد من صوفية بجاية، كأبي عبد الله بن العربي (ت القرن السابع الهجري/13م)⁽¹⁾، والصوفي أبي زكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ/1215م) والصوفي الزاهد عبد الحق الاشبيلي (ت628هـ/1230م)⁽²⁾.

كما كانت إقامة ابن عربي ببجاية منعرجا هاما في مساره الصوفي، خاصة بعد الرؤيا التي شاهدها⁽³⁾ حيث أعطته شحنة صوفية جسدها في الإصرار أكثر على الوصول إلى مقامات العارفين، وهذا ما عبر عنه الغبريني بقوله " ثم شرع في السفر، واستقر به القرار، واطمأنت به الدار، وألف التأليف، وكثر التصانيف بالرغم من كون ابن عربي لم يمكث مدة طويلة ببجاية، حيث لم تتبلور آرائه ونظرياته الصوفية إلا بعد الاستقرار بالمشرق"، وهذا ما أشار إليه الغبريني، حين ذكر أن الشيخ محي الدين بن عربي، تفرغ للتأليف بعد أن استقر به المقام⁽⁴⁾، إلا أن أفكاره وآرائه الصوفية استطاعت أن تنتشر ببجاية⁽⁵⁾ حيث استطاعت هذه الآراء أن تجد لها مكانا في هذه الحاضرة، خاصة إذا علمنا أن ابن عربي كان يركز على نشر تصوفه من خلال التركيز على تيار المجاهدات، فكان يرى أن الوصول إلى الحضرة الإلهية، واكتساب الصوفي أو المرید للعلوم اللدنية، لا يتم إلا بتجريد النفس الذي يكون بالمجاهدات النفسية، من خلال كف النفس عن الملذات الدنيوية بجميع أنواعها، مع كف الفكر، عن الخواطر والأوهام التي يمكن أن تشوش على المرید، حيث تصبح حواس الإنسان، وملكاته، وخواطره متجهة لعبادة الله، وهذا ما سيؤهل هذا الفرد لإدراك الحقائق الإلهية والعلوم اللدنية⁽⁶⁾، وهذا ما عبر عنه ابن

¹ - الغبريني: المصدر نفسه، ص158؛ Urvoy (Dominique): la structuration du monde des ulémas a bougie. au VII /XIII siècle, p104.

² - Ibn Arabi: les soufis d' Andalousie. P131.

³ - الرؤيا التي شاهدها ابن عربي ببجاية، تتلخص في أنه نكح نجوم السماء كلها، ثم أعطيت له الحروف، فنكحها، وقد فسر أحد العارفين بالرؤى ببجاية، هذه الرؤيا أن صاحبها، سيكون له شأن. الغبريني: عنوان الدراية، ص158.

⁴ - المصدر نفسه، ص158.

⁵ - يؤكد الغبريني أن مؤلفاته كانت منتشرة ببجاية خلال القرن السابع الهجري /13م، "وألف التأليف وكثر التصانيف، وفيها ما فيها أن قويض الله من يسامح ويسهل، ويتأول الخير، سهل المرام، ويسلك فيه سبيل الأفاضل الكرام، وإن كان ممن ينظر بحسن الظاهر، ولا يسامح في نظر ناظر، فالأمر صعب، والمرتقى وعز" الغبريني، المصدر نفسه، ص158، 159.

⁶ - أنجيل جنثال: تاريخ الفكر الأندلسي، ص382، 383.

عربي بقوله: "إن الله أراد أن يظهر المخلوقات عامة، والإنسان خاصة، ليعرف ويرى نفسه في صورة تتجلى فيها صفاته وأسمائه"⁽¹⁾. ولا يكتف ابن عربي بالخوض في ميدان التصوف وآرائه المتشعبة، بل يفسر القرآن بنظرة صوفية، وفق ما اكتسبه من علوم ومعارف في هذا الميدان، حيث يعبر عن "ميم" قوله سبحانه وتعالى "بسم الله الرحمن الرحيم"، أي "ميم" "الرحيم" أنها لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه صاحب الرحمة، "بالمؤمنين رؤوف رحيم"⁽²⁾ رحمة الإيمان "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"⁽³⁾ رحمة الإيجاد⁽⁴⁾، فبهذا المد الموجود فيه، كان استمداد عالم الأرواح، فمقامه في عالم الأجسام آخر، ومقام آدم أولاً، فقليل "بسم الله الرحمن الرحيم"، فهو الآخر بالروحانية، فأول من تشقق الأرض غدا رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فتبدو روحانيته من أرض جسمه، فيخلع عليه ويقرب⁽⁵⁾.

وبالرغم من هذه الآراء والنظريات الصوفية التي تركها محي الدين بن عربي، والتي انتشرت ببجاية، إلا أن هذا التيار - وحدة الوجود - لم يجد صدى واسع بهذه الحاضرة، بل أنه كان يقتصر على الطلبة والمريدين، وذلك بسبب جهود التيارات الصوفية السنية، في تبسيط التصوف على المريدين، ومحاصرة الأفكار الفلسفية حتى لا تشوش على الراغبين في سلوك التصوف.

كما طرق صوفية التيار الفلسفي علم أسرار الحروف⁽⁶⁾، حيث اشتهر في هذا الميدان العديد من الصوفية، كأبي العباس أحمد بن علي البوني

¹ - ابن عربي: الفتوحات المكية، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، 1972، ج 02، ص 604.

² - سورة التوبة، الآية: 128.

³ - سورة الأنبياء، الآية: 107.

⁴ - Ibn Arabi: Le livre du Mim. Du wâw et du Nûn. Al bouraque, Beyrouth

Liban, 2002, p.84

⁵ - Ibn Arabi: op.cit: p85؛ ترك ابن عربي الكثير من المؤلفات تجاوزت المائتين

أهمها: الفتوحات المكية، رسائل ابن عربي، كتاب الأخلاق، فصوص الحكم. ابن عربي: التدابير الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، تحقيق خليل عمران المنصور، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص 04.

⁶ - علم أسرار الحروف، هو علم لا يوقف على موضوعه، ولا تحاط بالعدد مسائله، إذ هو تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى، والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان، فالتصرف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والأسماء المركبة فيها، وتأثر الأكوان عند ذلك، أمر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواتراً. ابن خلدون: شفاء السائل، تهذيب المسائل، تعليق: الأدب اغناطيوس، الطبيعة الكاثولوكية، بيروت، دت، بيروت، ص 52، 54.

(ت622هـ/1225م)، وإن كنا نستغرب سكوت الغبريني عن هذا الصوفي الذي ترك بصمات واضحة في التصوف، وخاصة في علم أسرار الحروف⁽¹⁾، وذلك من خلال التأليف الكثيرة التي صنفها والتي منها: "موضح الطريق وقسطاس التحقيق من مشكاة أسماء الله الحسنى والتقرب بها إلى المقام الأسنى" و"علم الهدى وأسرار الاهتداء في فهم معنى سلوك أسماء الله الحسنى"⁽²⁾ و"كتاب شمس المعارف الكبرى في الخواص وأسماء الحروف" و"أسرار الحروف والكلمات" و"إظهار الرموز ونداء الكنوز"⁽³⁾ وغيرها من المصنفات التي وضعها في هذا الميدان.

¹- بالرغم من كون البوني من مشاهير القرن 07هـ/13م، إلا أن الغبريني لم يترجم له ولم يذكره في كتابه العنوان، وهذا السبب راجع ربما لكون البوني خرج مبكرا من المغرب الأوسط، حيث هاجر إلى المشرق، واستقر به المقام بالقاهرة، مفضلا منهج ابن عربي لسلوك طريق التصوف. عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3هـ-14هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص240، بونابي، التصوف في الجزائر، ص277.

²- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ج02، ص478.

³- حاجي خليفة: كشف الظنون، ج02، ص1270.

02- اللغة العربية وآدابها:

تعتبر الدراسات اللغوية، وما يتعلق بها من علوم اللغة والآداب ضرورية، حيث تضافرت جهود الفاتحين المسلمين، في نشر مبادئ اللغة العربية، لأنها السبيل الوحيد لفهم النصوص الشرعية، فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية، فجملة الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، ومعرفة هذه الأحكام تتطلب معرفة باللغة العربية، وأساليبها، ومعانيها⁽¹⁾.

وسلك علماء اللغة مسلك علماء الحديث الشريف، حيث كانوا يهتمون إهتماماً بالغاً بذكر الأسانيد مع الإعتناء بالأفصح، فالفصيح، وهكذا، حيث أخذوا بجمع المفردات التي كان العرب يستعملونها، مع جعل القرآن الكريم هو المصدر الأول والأساسي، لهذه الألفاظ والمفردات، لأنه يمثل قمة البلاغة والبيان⁽²⁾.

لقد حظيت علوم اللغة العربية بإهتمام بالغ من قبل علماء بجاية، حيث اهتموا بعلم النحو، بصفته أهم علوم اللغة، إذ به يتبين أصول المقاصد اللغوية وجهله إخلال بقواعد هذه الأصول كما يقول ابن خلدون⁽³⁾، واهتموا أيضاً بالبلاغة والبيان لارتباطها بعلوم القرآن، والحديث، وبالعلوم الدينية عموماً، كما أسلفنا، ولهذا عرفت علوم اللغة والآداب نشاطاً لا يقل عن النشاط الذي عرفتة العلوم الدينية، حيث كانت المجالس تعقد بحاضرة بجاية لدراسة النحو والبلاغة والعروض والبيان، والآداب، ولم يكن علماء بجاية أو الوافدين عليها مقلدين للذين سبقهم من اللغويين والأدباء، بل نظموا الأراجيز، وشرحوا الكتب اللغوية الصعبة، وكملوها بالتذييل عليها، ولم يقفوا عند هذا الحد بل قاموا بالتأليف،

¹- ابن خلدون : المقدمة، ص 711.

²- فيلاحي: تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص452، يرى الكثير من الباحثين أن الإهتمام بالدراسات اللغوية والأدبية قد تأخر في المغرب الإسلامي نوعاً ما، ولذلك لعدة أسباب جوهرية، منها ، طول فترة الفتح لبلاد المغرب، وكذلك انصراف الفاتحين إلى نشر الإسلام والعلوم الدينية واللغة العربية بين البربر أولاً وقبل كل شيء، إلا أن الإهتمام بالآداب وعلوم اللغة قد ازدهر فيما بعد، خاصة بعد استقرار الأوضاع، وظهور المناخ الملائم لتقدم وازدهار هذه الدراسات كتشجيع الأمراء، وتوافد الأدباء والنحاة إلى بلاد المغرب ورحلات المغاربة إلى المشرق، وما أضفته من احتكاك بين الأدباء والشعراء، فكل هذه العوامل ساعدت، وساهمت في انبعاث وتقدم النشاط الأدبي واللغوي، يوسف حوالة، الحياة العلمية في أفريقية، ج02، ص 136.

³ - المقدمة ، ص 312.

وإنشاء القوائد بجميع أنواعها، ويأتي اهتمام علماء بجاية بعلوم اللغة العربية وأدائها بناءً على :

أ- حاجة علماء بجاية إلى تفسير القرآن الكريم، ودراسة العلوم الشرعية، ولا يتأتى هذا إلا بدراسة اللغة العربية وما يتعلق بها من علوم، لأنها لغة القرآن الكريم.

ب- رغبة علماء بجاية الملحة في تعريب المجتمع، والإبتعاد عن الإستعمال اللغوي المزدوج (اللسان البربري والعربي)، الذي شجعه الموحدون عند نشر دعوتهم (1).

وجرياً على الطريقة التي إتبعناها في الفصل السابق من البحث، سنتعرض إلى أبرز العلوم والمصنفات اللغوية والأدبية التي إعتنى بها علماء بجاية، في القرن السابع الهجري (13م) والتي ذكرها الغبريني في كتابه عنوان الدراية .

أ- النحو:

اهتم المسلمون بعلم النحو (2) والكتابة فيه وتقييده بعد ما بدأت ملكة اللسان العربي تفسد، خاصة في إعراب الكلمات والألفاظ، وكانت بداية هذا الأمر في زمن الخليفة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي كلف أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ / 688م) بحفظ قواعد اللغة العربية من التحريف، فوضع بذلك القواعد الأولية لعلم النحو (3)، ثم اجتهد النحاة واللغويون في هذا الميدان، حتى ظهرت فيه مدرستان لكل منهما مميزاتها، وخصوصيتها التي تميزها عن الأخرى، وهما : مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة (4).

¹ - فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج02، ص452؛ بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر، ص 251.

² - يعرف ابن خلدون علم النحو بقوله : "هو علم يبين به أصول المقاصد اللغوية بالدلالة، فيعرف ، الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، إذ الجهل به الإخلال بالتفاهم جملة، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً، حيث صارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو". المقدمة ، ص 712، 713.

³ - المصدر نفسه، ص 713.

⁴ - مدرسة البصرة كان من أهم رجالها، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ / 786م) ، واضع علم العروض، وعمر بن عثمان بن قنبر سيبويه شيخ نحاة البصرة ، وأبو سعيد عبد المنت الأصمعي (ت 216هـ / 831م)، وأما مدرسة الكوفة فقد كان يمثلها أبو جعفر الرؤاسي، وتلميذاه علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت 182هـ / 798م)، ويحيى بن زياد الفراء الكوفي =

لقد لقي علم النحو إهتماماً بالغاً لدى علماء بجاية لارتباطه الوثيق بالعلوم الدينية، حيث كان للمصنفات المشرقية تأثير كبير على علم النحو ببجاية، من خلال دخول هذه المصنفات الحاضرة، أو من خلال الرحلات التي كان يقوم بها العلماء، حيث علا شأن النحو، وكثر علماءه، في هذه الحاضرة تدريجاً وتآليفاً، وهذا ما يؤكد الغبريني من خلال كتابه العنوان، حيث ترجم لعدد من علماء النحو البجائيين، أو من المهاجرين الأندلسيين الذين ساهموا في نشر هذا العلم، نذكر منهم: أبو عبد الله محمد بن الحسن القلعي (ت 673هـ / 1275م) الذي كان يدرس علوم اللغة، وكان له مجلساً يعد من أكبر مجالس التدريس في بجاية غضون القرن السابع الهجري/ 13م، حيث امتاز بكثرة الطلبة، منهم أبو العباس أحمد الغبريني، حيث يصف هذا الأخير مجلسه بقوله "كان في علم العربية بارعاً، مقدماً محكماً لفنونها الثلاثة: النحو، واللغة والأدب، وكان له درس يحضره من الطلبة فضلاًؤهم ونبهاؤهم، وكان رحمه الله قوياً في علم التصريف، ومحباً في التعليل، تقرأ عليه الكتب النحوية، واللغوية والأدبية، ويقوم على جميعها أحسن قيام وهو أفضل من لقيت في علم العربية" (1)، وكانت جميع دروسه مقتبسة من أمهات كتب النحو واللغة مثل كتاب <<سيبويه>>، وكتاب <<الإيضاح>> لأبي علي الفارسي، و"قانون أبي موسى الجزولي"، و"المفصل للزمخشري" (2).

وكان ذو مقدرة كبيرة في علم التصريف، حيث سلك فيه منهج أبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ / 992م)، ولم يكتف القلعي بالتدريس، بل قام بتأليف العديد من المصنفات النحوية وهي <<الموضح في علم النحو>> و <<حقوق العيون في تنقيح القانون>> و <<نشر الخفي في مشكلات أبي علي>> (3).

(ت 207هـ / 813م)، وكانت أهم الفروق بين المدرستين أن البصريين رأوا أن يهملوا الألفاظ والمصطلحات الشاذة في اللغة، أما الكوفيون فقد رأوا أن يحترموا كل ما جاء عند العرب، ويجيزوا استعماله عند الناس، حتى لو كان من الشواذ الذي لا يتماشى مع القواعد العامة. سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 62.

1 - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 94.

2 - تتلمذ سيبويه عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأخذ عنه علم النحو واللغة، وكذا تفاريعها، واستكثر من أدلتها وشواهدها، ووضع فيها كتابه المشهور والمعروف باسمه، كتاب <<سيبويه>>، ولما جاء أبو علي الفارسي، وضع مختصراً للمتعلمين سماه <<الإيضاح>> سلك فيه مسلك سيبويه، ابن خلدون، المقدمة، ص 713.

3 - الغبريني ، المصدر السابق، ص 95.

أما أبا الحجاج يوسف بن يخلف الجزائري (ت أواخر القرن 7هـ/13م) وأبا القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر الجزائري (ت 629هـ/1231م)، فقد كانا من أبرز أساتذة النحو ببجاية في القرن السابع الهجري/13م، حيث كانت لهما مجالس علمية يحضرها أنجب الطلبة لدراسة النحو من أمهات الكتب⁽¹⁾.

واشتهر في علم النحو ببجاية أيضا أبو محمد عبد الله بن يحيى الأغماتي (ت القرن السابع/13م)، حيث كان من أشهر أساتذة بجاية في هذا الفن يصفه لنا الغبريني بقوله "كان في علم العربية بارعا، وله تحصيل لكتاب سيبويه، وكان كثيرا ما ينظر مسائله بعضها ببعض، حيث كان أعلم الناس بكتاب سيبويه، وما رأيت أعرف منه بمقاصد كتاب سيبويه، ولا أشد منه تنظيرا وفهما لمسائله، وأما كراس أبي موسى الجزولي، ومفصل الزمخشري، فكانا عنده من المبادئ"⁽²⁾.

كما برع العلماء الأندلسيون الذين استقروا بحاضرة بجاية، في تدريس النحو واللغة، >> فالنحو عندهم أي الأندلسيون في نهاية من علو الطبقة، وهم كثيرو البحث فيه، وحفظ مذاهبه، كمذاهب الفقه، وكل عالم من أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو، فليس عندهم يستحق التمييز، ولا سالم من الإزدراء << كما يقول المقرئ⁽³⁾، حيث أدخلوا طريقتهم الخاصة في تدريس هذه العلوم⁽⁴⁾.

وكان من أبرزهم أبو القاسم أحمد بن عثمان القيسي (675هـ/1276م)، وأبو الحسن علي بن أحمد الحرالي (ت 638هـ/1240م)، وأبو عبد الله القصري، وأبو إسحاق إبراهيم بن الخطيب⁽⁵⁾، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشاطبي (ت 691هـ/1293م)، الذي كان من أبرز علماء بجاية في علم النحو، حيث كان يذاكر علم النحو، مع طلبة بجاية وعلمائها، ويقوم بتدريس هذا الفن من كتاب >>مشكلات القانون للجزولي<<، وترك الشاطبي مصنفا في النحو عبارة عن شرح لمقدمة أبي موسى الجزولي⁽⁶⁾، ولم يكتف علماء حاضرة بجاية بالتدريس، بل كان لهم مشاركة معتبرة في التأليف، حيث صنف أبو محمد عبد الحق الأشبيلي (ت 582هـ/1186م) كتابا في قواعد اللغة، سماه >>الحاوي<<

¹ - الغبريني:المصدر السابق ، ص 103 ، 225.

² - المصدر نفسه ، ص 197.

³ - نفح الطيب، ج01، ص221.

⁴ - يذكر ابن خلدون أن طريقة أهل الأندلس في تدريس النحو، تختلف عن طرق الكوفيين والبصريين. المقدمة، ص713.

⁵ - الغبريني عنوان الدراية ، ص 116، 148، 170، 201.

⁶ - الغبريني،المصدر نفسه ، ص 126.

في ثمانية عشر مجلدا⁽¹⁾، وترك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشاطبي (ت 691هـ/1291م) شرحاً في النحو على مقدمة أبي موسى الجزولي، وصفه الغبريني بالجودة⁽²⁾، كما ترك أبو الحسن عبيد الله بن فتوح النفزي (ت 642هـ/1244م) كتاباً شرح فيه مبادئ النحو من كتاب المفصل لأبي القاسم الزمخشري (ت 538هـ/1143م)⁽³⁾. أما أبا الحسن علي الحضري الأشبيلي الشهير بابن عصفور (ت 670هـ/1271م) فقد كان أبرز علماء النحو الذين ارتحلوا إلى حاضرة بجاية واستقروا بها فكان "أستاذاً نحوياً محصلاً، جمع رحمه الله بين الحفظ والإتقان وفصاحة اللسان" كما يصفه الغبريني⁽⁴⁾، حيث ترك العديد من المصنفات والشروحات النحوية أهمها: كتاب <<المقرب>> في النحو⁽⁵⁾، الذي شرحه واعتنى به الكثير من النحاة، كأبي حيان النحوي (ت 745هـ/1344م) وسماه <<تقريب التقريب>> كما ترك ابن عصفور كتاباً آخر في النحو سماه "إنارة الديباجة"⁽⁶⁾، وبعض الشروحات على <<الإيضاح>>⁽⁷⁾.

ومن العلماء الأندلسيين الذين ارتحلوا إلى بجاية، وساهموا في نشر علوم اللغة بتأليفهم وتعليمهم نذكر أبا جعفر أحمد بن يوسف الفهري (ت في القرن السابع الهجري /13م)، الذي صنف مجموعة من كتب اللغة استفاد منها طلبة بجاية، منها شرح لكتاب <<الجمل>> لعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت 337هـ/949م)، وشرح آخر لكتاب <<الفصيح>> في اللغة، لأبي أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت 261هـ/874م)⁽⁸⁾، كما ترك الفهري، كتاباً

1- الغبريني: المصدر السابق، ص 74؛ راجح بونار: عبد الحق الأشبيلي البجائي، محدث القرن السادس الهجري، ص 264.

2- المصدر نفسه، ص 126.

3- الغبريني، نفسه، ص 176؛ اقتصر أبو القاسم الزمخشري في كتابه المفصل على المبادئ الأولية لعلم النحو، بهدف تسهيل هذا العلم على المتعلمين. ابن خلدون: المقدمة، ص 713.

4- الغبريني: عنوان الدراية، ص 266.

5- المصدر نفسه، ص 267.

6- محمد الشريف سيدي موسى: الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (13-16م)، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2000-2001م، ص 161.

7- الغبريني: عنوان الدراية، ص 267.

8- المصدر نفسه، ص 300.

سماه << الإعلام بحدود قواعد الكلام >> تكلم فيه على أنواع الكلام الثلاث: الاسم، الفعل، الحرف⁽¹⁾.

الأدب (النثر - الشعر):

يعرف ابن خلدون الأدب بأنه على نوعين بقوله " إعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقفى، ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية، وفي النثر، هو الكلام غير الموزون، وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون، ومذاهب في الكلام "⁽²⁾. ويؤكد ابن خلدون على أن لكل من الشعر والنثر أنواعاً وأغراضاً، فالشعر منه المدح والهجاء، والرثاء، وأما النثر فمناهج السجع الذي يؤتى به قطعاً، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة، ومنه كذلك المرسل الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً، ولا يقطع أجزاء، بل يرسل إرسالاً، من غير التزام بقافية ولا غيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء، وترغيب الجمهور وترهيبهم⁽³⁾، فانطلاقاً من هذه المفاهيم يتضح لنا أن الأدب يعني النثر والشعر، وهما ميدانان واسعان برع فيهما علماء بجاية كما سنرى فيما يلي :

ب- النثر:

يرى الكثير من الباحثين، أن فن النثر قد ظهر على يد مجموعة من الكتاب والأدباء، كابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ / 868م) الذي يجعله ابن خلدون من الركائز الأساسية لهذا الفن، حيث يقول: " أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: << أدب الكاتب >> لابن قتيبة (ت 276هـ / 889م)، وكتاب << الكامل >> للمبرد (ت 286هـ / 899م)، وكتاب << البيان

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص 301؛ اعتنى أكثر النحاة بالكلام وما يتألف منه، فالكلم، واحده كلمة، وهي: إما اسم، وإما فعل، وإما حرف، لأنها إن دلت على معنى في نفسها غير مقترنة بزمان فهي الاسم، وإن اقترنت بزمان فهي الفعل، وإن لم تدل على معنى في نفسها، بل في غيرها فهي الحرف، وفي هذا يقول أبو عبد الله محمد جمال الدين بن مالك (ت 672هـ / 1273م):

كلامنا لفظ مفيد كاستقم
واحد كلمة، والقول عم
واسم وفعل ثم حرف الكلم
وكلمة بها كلام قد يؤم

ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد أسعد النادري، د ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م، ج 01، ص 18.

² - ابن خلدون: المقدمة، ص 736.

³ - المصدر نفسه، ص 736، 737.

والتبيين << للجاحظ (ت255هـ/868م) ، وكتاب << النوادر >> لأبي علي القالي البغدادي (ت356هـ/966م)⁽¹⁾.

وابتداءً من القرن السادس الهجري/ 12م، غلب على النثر فن الرسائل باختلاف أنواعها الديوانية و الإخوانية ، بالإضافة إلى فن الخطابة وذلك لعدة أسباب وعوامل أهمها :

(1)-حاجة الأدباء والعلماء إلى إيصال أفكارهم، وإنتاجهم إلى المجتمع والدولة ليستفاد منها، فوضعوها في قالب أدبي ونثري يعتمد على عنصري الفكرة واللفظ⁽²⁾.

(2)- حاجة الخلفاء الموحدين، وغيرهم من أمراء وخلفاء الدول الأخرى كالدولة الزيانية والدولة الحفصية إلى الاتصال الدائم بينهم وبين الرعية، تطلب اللجوء إلى هذا النوع من الكتابة⁽³⁾.

فمن هذا المنطلق ، ظهر في بجاية في القرن السابع الهجري / 13م، العديد من العلماء والأدباء الذين جمعوا بين أصناف عديدة من الأدب، كأبي الحسن عبيد الله النفزي الشاطبي (ت642هـ/ 1244م)، حيث كان أديباً بارعاً، وصفه الغبريني " بأنه كان من أهل العلم مستبحراً، في علم العربية، واللغة والأدب، له شعر بارع ، وأدب غض يانع " ⁽⁴⁾.

وكان أبو إسحاق إبراهيم ميمون الزواوي (ت 686هـ/ 1287م) أديباً شاعراً، نظمته ونثره مستحسنان⁽⁵⁾.

ففي ميدان الرسائل الإخوانية⁽⁶⁾ والمعروفة عند البعض بالمكاتبات السنوية، لم يكتف علماء بجاية ، بإيراد هذه الرسائل بأسلوب النثر فحسب، بل أقحموا

¹ - ابن خلدون: المصدر السابق، ص 721؛ هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة إحسان عباس وآخرون، د ط ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1964، ص 296.

² - توات محمد الطاهر: أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993، ص 176.

³ - توات : المرجع السابق ، ص 53، 55.

⁴ - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 176.

⁵ - المصدر نفسه ، ص 182.

⁶ - هي رسائل يتبادلها الأدباء، والإخوة ، والأصدقاء، وتعرف بمصطلحات وأسماء منها: الإخوانية ، والأخوية، والاجتماعية، والخاصة، والأدبية، وتعبّر عن أغراض متعددة كالوصف والعتاب، والشكر والمدح ، والتشويق، والتهنئة، والتعزية، والشفاعة، والتحية وغيرها من الأغراض والمواضيع المتعددة عند الأدباء. توات محمد الطاهر: أدب الرسائل، ص 279؛ فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني ، ج2، ص 460.

الشعر في مراسلاتهم ، وقد أشار ابن خلدون إلى هذا الأسلوب الذي ظهر جليا في مراسلات أدباء المغرب الإسلامي بقوله " وقد أستعمل المتأخرون أساليب الشعر، ومنازعه في الفن المنثور من كثرة الأسجاع، والتزام التقفية، وتقديم النسيب بين يدي الأغراض، وصار هذا المنثور إذا تأملته من باب الشعر وفنه" (1)، وكمثال على هذه النماذج النثرية، ندرج بعض المراسلات التي كانت بين علماء بجاية، كالمراسلات التي كانت بين الفقيه الأديب أبي عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المسفر البجائي (ت 744هـ / 1232م)، والفقيه أبي يعقوب يوسف البويوسفي الملاري (630 - 717هـ / 1232 - 1317م) (2)، حيث كتب أبو عبد الله المسفر إلى أبي يعقوب برسالة أخوية يعبر له فيها عن اشتياقه لرؤيته ولقياه، ويثني عليه ويصف فضله، فبدأ الرسالة بأبيات من (الكامل) يقول فيها :

زارت وقد فعل النوى أفعاله صبا رأى في وصلها أماله
يا أهل بابل قد شغلتم باله بكم كما أشعلتم بلباله
فخذوا لكم عنكم بكم حتى يرى منكم سواء هجره ووصاله

" رزقنا الله وإياكم الوفاء بالعهود، وبلوغ المقصود بمنه، وليعلم سيدي أبي يعقوب أن كتابه وصل، وكنت على شوق له ، فجدد عندي ما لم يندرس، وأكد عندي ما لم يلتمس، وكان غرضي أن أطيل الكتاب، لأنه عندي مناجاة معكم، وملاقة بكم، ويا سيدي أبا يعقوب اذكروني ولا تنسوني، فاني أطلبكم وجميع ساداتي الفقراء بالمواساة التي بنيتم عليها طريقكم، ولا تقطعوا عني مكاتبكم، والله تعالى يعيننا وإياكم على الإخلاص في الأعمال، ويبلغنا من فضله وجوده جملة الآمال، والسلام عليكم، وعلى جميع ساداتنا الفقراء، ورحمة الله وبركاته >> (3).

وكتب أبو عبد الله المسفر لصاحبه أبي يعقوب رسالة أخرى، غرضها ومقتضاها الاعتذار والاستغفار عن تقصيره في تأخره عن الرد على رسائله، افتتحها بأبيات من (الكامل):

حملا وان أفرطت في التقصير حمل الأذى من شأن كل كبير
وإن جنيت وجئت منكسرا ومن خلق التصوف جبر كل كسير

1 - ابن خلدون : المقدمة، ص 737.

2 - ابن القنفذ: انس الفقير ، ص 53، 54.

3 - ابن القنفذ: المصدر نفسه ، ص 55، 56.

"إذا أحكمت الطريق بواطن الأحباب، وقامت بما للمحب من وظائف واداب، واندرج في رأي البصيرة رأي العين، وارتفع الفرق بين القرب والبين... ولا أقول إن لي عذرا بل أقول : غفرا غفرا فانا ظلمت نفسي، وندمت اليوم على تقصير أمسي، والندم توبة، وكم أزالحت وحشة الغيبة أوبة، وقد قمت في غيبتكم، مستغفرا بباطني، والطريق أمانة، وانا ارتقب لحق الظاهر مكانة، فأحط الرأس مستغفرا، وأقوم بطريق سادتي الفقراء، والحمد لله تعالى، والله سبحانه يمد نورانية أبصارنا بأنوار فتحه، وينسخ ليل البعد بتأشير نهار القرب وصبحة، ويحفظ أوقاتنا باستحضار اسمه الرقيب، ويعين كلامنا على ما يجب لأخيه في المشهد والمغيب، ويبلغنا من فضله آمالنا، ويحمل همنا مألنا بمنه وفضله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"⁽¹⁾.

وكتب أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر (ت 621هـ/1225م) إلى شيخه أبي مدين شعيب (594هـ/1198م) يثني عليه في كتاب، فرد عليه أبو مدين بقوله: "أما بعد فإنه من اتقى الله سبحانه وقاه، ومن توكل عليه حق التوكل كفاه، ومن استعاذ به نجاه، ومن شكره والاه، ومن اقرضه جازاه، واجعل التقوى عماد قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا خشية له.... ضاق صدري حين أنت المراكب ولم نر لك فيها كتابا، فرأيتك في النوم وأنت تقول لي، أن كنت تريد بسلامك عليّ الدنيا، فلا تسلم عليّ، ولا نسلم عليك، وإن كنت تريد الآخرة فسلامك يبلغني، وإن كنت لم تكاتيني، وسلامي يبلغك وإن لم أكاتبك، فزال عن قلبي ما كنت أجده من القبض، فأله سبحانه لا يقطعك عني يقظة ولا نوما والسلام"⁽²⁾.

فمن خلال هذه المكاتبة، تتبين القيمة الأدبية للرسالة، حيث تطرق أبو مدين إلى عدة أغراض كالعتاب، والنصح، والتشوق، كما جمع بين أسلوب النثر، والنثر المسجع والنثر المرسل، الذي غالبا ما يكون واضحا في مثل هذه الرسائل.

كما كانت هناك مراسلات بين علماء بجاية ونظرانهم من الكتاب والأدباء الأندلسيين، فقد ذكر الغبريني أن الفقيه الصوفي أبا محمد عبد الحق بن ربيع البجائي (ت 675هـ/1277)، والأديب الأندلسي أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي (ت 658هـ/1260م) كانت بينهما مراسلات إخوانية،

¹ - ابن القنفذ: المصدر السابق، ص 58، 60.

² - المصدر نفسه، ص 99.

قال عنها بأنها " قلّ ما يوجد مثلها في الزمان ⁽¹⁾، ويضيف الغبريني واصفا كتابة أبي المطرف " والذي أوجب تقدم الفقيه أبي المطرف في كتابته أن الرجل من أهل العلم، فكتابته علمية أدبية، وكتابته غير مقتصرة على نوع الأدباء، وهذا المعنى هو الذي تميز به عن عداه، وسبق به عن سواه ⁽²⁾.

ومن رسائل أبي المطرف نذكر رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه ببلنسية جاء فيها: "بالله أي نحو تنحو، وسطور تثبت أوتحمو، وذهبت الصلة والعائد، وباب التعجب طال، وحال اليأس لا يخشى الانتقال، ذهبت علامة الرفع، وفقدت سلامة الجمع، واشتعت العجمية من الهدف، ومالت قواعد الملة، وصرنا إلى جمع القلة ⁽³⁾.

إن رسالة أبي المطرف التي بعث بها إلى صديقه، لتعبر تعبيراً صادقا عما يكتنف صاحبها من حزن وألم، لما أصاب بلنسية من إستيلاء النصارى عليها، كما يدعو أبو المطرف صاحبه إلى الصبر والثبات، وبالرغم من أن أبا المطرف أحمد بن عميرة قد أكثر من السجع، في رسالته، إلا أن شدة تأثره قد ظهرت جلية من خلال العبارات التي أختارها.

وعندما أراد المستنصر بالله استدعاء أبي عبد الله محمد بن الأبار (ت 658هـ / 1259م) لحاضرة تونس، أمر أبا المطرف أن يكتب له، فكتب له رسالة تتضمن البشارة والتهنئة بمنصب الكتابة، أفتتحها ببيتين من (الطويل) :

على قدر حبي قد أتتك بشارتي
هنيئاً هنيئاً قد رفلت من المنى
وحسبك ما أجملته من إشارتي
بأفخر ملبوس وأجمل شارة ⁽⁴⁾.

"أنعمت الخلافة العزيزة العلية المنصورة أيد الله أوامرها، وأخذ مفاخرها بقدمكم على حضرتها السعيدة المباركة التي هي مركز راية الحق، ومجمع وفود الخلق، أمرت عبدها أعلى الله جدها، وأمضى خدها أن نخاطبكم بذلك فاعزموا بحول الله على الحركة، وبادروا إليها على الخير والبركة، فقد تعين لكم الزاد الكريم واستقبلكم من خير النظر ما يبرأ السقيم، ويسعد الظاعن والمقيم، والله يوزعنا معشر عبيد المقام الكريم شكر لولا فضله لم نكن أهلها، ويحمل عنا حقوقها، فإننا لا نستطيع حملها، وهو تعالى يديم عزتكم، ويحفظ بركتكم بمنه،

¹ - الغبريني: عنوان الدراية، ص 253.

² - المصدر نفسه، ص 252؛ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: خليل منصور، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج 02، ص 294.

³ - المراكشي: عباس إبراهيم: الإعلام فيمن حل مراكش وأغامت من الأعلام، ج 02، ص 150.

⁴ - الغبريني: عنوان الدراية، ص 251.

والسلام الكريم يخصكم به مجل قدركم، وموجب بركم أخوكم الحافظ نعيديكم،
المقيم على ودكم، ابن العميرة، ورحمة الله وبركاته" (1).

وعندما استقر الفقيه أبو عثمان سعيد بن عبد الغني القرشي (ت 680هـ/
1281م) بميورقة، أبي إلا أن يبقي على علاقاته بعلماء بجاية الذين تعرف
عليهم، واحتك بهم، وذلك من خلال مراسلاته لهم (2).

أما في ميدان الرسائل الرسمية، أو ما تسمى بالديوانية أو الإنشائية (3)، فقد
برع فيها بعض علماء بجاية، ومارسوا كتابتها، خاصة من النخبة الأندلسية التي
استقرت ببجاية، وبرغم المستوى الراقي الذي بلغه أدباء وعلماء بجاية، إلا أن
أغلب هؤلاء كانوا يفضلون الابتعاد عن الحكام والسلاطين، تعففاً وزهداً،
وابتعاداً عن أجواء العيش مع الأمراء وأصحاب السلطة، ومن أشهر الكتاب
الذين تولوا الكتابة السلطانية، أبو المطرف أحمد بن عميرة (ت 658هـ/
1260م)، الذي تولى الكتابة الديوانية بالعديد من الحواضر الأندلسية، وإن كانت
جل المصادر التاريخية تسكت عن ذكر أمثلة من الرسائل التي كان يكتبها أبو
عميرة، إلا أن هذه المصادر تتفق في أن هذا الأخير قد تولى الكتابة السلطانية
في عدد من الحواضر، حيث كتب للأمير زيان بن مردنيش ملك بلنسية (4).

وبعد استقرار ابن عميرة ببجاية سنة (645هـ/ 1247م) (5)، وتفرغه
للتدريس، استدعاه الخليفة المستنصر بالله، وولاه قضاء قابس، ثم جعله ضمن
كتابه بديوان الإنشاء، وهذا ما يؤكد الغبريني بقوله: "ولقد بلغني أنه كتب عن
المستنصر" (6).

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص 251، 252.

2 - المصدر نفسه، ص 254.

3 - يعرف الفلقشندي الكتابة الديوانية بقوله: << فأما كتابة الإنشاء، فالمراد بها كل ما رجع من
صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام، وترتيب المعاني من المكاتبات، والولايات والمسامحات
والإطلاقات، وما في معنى ذلك ككتابة الحكم وغيرها >> صبح الأعشى في صناعة
الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ج 01، ص 54.

4 - ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج 02، ص 295.

5 - أصله من قبيلة شقر، تقلد خطه القضاء والكتابة في عدة حواضر أندلسية، ثم تولى القضاء في
سلا ومكناس، وفاس، وتوفي آخر سنة (685هـ/ 1260م)، ابن صاحب الصلاة: عبد الملك محمد
الباجي، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد
الوهاب التازي، ط 01، دار الأندلس للنشر، بيروت، 1964، ص 38؛ برنشفيك: تاريخ أفريقية في
العهد الحفصي، ج 02، ص 420، 421.

6 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 251.

واشتهر أيضا في ميدان الكتابة السلطانية أبو عبد الله محمد بن الأبار (ت 658هـ / 1259م)⁽¹⁾، حيث كان من أشهر كتاب العلامة⁽²⁾ في الديوان ويؤكد الغبريني أن ابن الأبار فرح باستدعاء الخليفة المستنصر بالله له، ليكون من جملة كتابه، ولما مثل بين يديه أنشد من (الكامل):

بشراي باشرت الهدى والنورا في قصدي المستنصر المنصورا
وإذا أمير المؤمنين لقيته لم ألق إلا نصرة وسرورا

" كيف لا و الإسمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والكنية المباركة أبو عبد الله، والعلامة العلية الحمد لله، ومن كان لله كان الله له"⁽³⁾.

وبرع أيضا في ميدان الكتابة السلطانية، الأديب أبو علي الحسن بن موسى (ت آخر القرن السابع الهجري/13م)، يقول عنه الغبريني: " كان صاحب العلامة المستنصرية، وكان له عند المستنصر حظ، وتوجه عنه في الرسالة لبعض ملوك المغرب"⁽⁴⁾.

وإن كان الغبريني ، يؤكد لنا أن أبا علي بن موسى قد كان من كتاب المستنصر، إلا أنه لم يورد لنا نماذج، أو أمثلة من نثره، أو بعض التفاصيل الإضافية عن حياة هذا الكاتب.

أما أبا محمد عبد المنعم الغساني (ت 670هـ / 1271م) فكان فارساً من فرسان هذا الميدان، وهذا ما يؤكد الغبريني بقوله " كان ينشئ البياعات،

¹ - ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل ، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت، د ط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1964، ص 28.

² - العلامة المستنصرية هي عبارة عن شارة تكتب في صدر المراسلات والمكاتبات، وتعني التوقيع، وتضاف إلى المكاتبات السلطانية ، وترفع إلى السلطات ليضع ختمه، وكان لها كاتباً خاصاً يكتبها بخط مغربي جميل، وتعرف عند السلاطين العثمانيين بـ << الطغراء >>.

³ - الغبريني :عنوان الدراية، ص 260؛ "يرى ابن خلدون أن استعمال الشعر في الرسائل الديوانية والإنشائية، هو مفسدة لها، حيث لا يليق استعماله في مثل هذه الرسائل التي تكون محتواها غالباً متعلقاً بمصلحة الأمة، عكس الرسائل الإخوانية ، التي يستحسن تصديرها بأبيات من الشعر وأما إجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو،الذي هو على أساليب الشعر فمذموم، إذ أساليب الشعر تباح فيها اللوذعة، وخط الجذ بالهزل، والإطناب في الأوصاف، وضرب الأمثال. وكثرة التشبيهات والاستعارات، وجلال الملك والسلطان، وخطاب الجمهور عن الملوك بانترغيب والترهيب ينافي ذلك" المقدمة، ص 737.

⁴ - الغبريني: المصدر نفسه، ص 256.

والخطب والكتب السلطاني إنشاءً وجواباً⁽¹⁾ وتآلق أيضاً في هذا الميدان أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي (ت القرن السابع الهجري/13م)، حيث كان عليه المعتمد في المكاتبات والمخاطبات السلطانية إنشاءً وجواباً كما يقول الغبريني⁽²⁾.

أما في مجال الكتابة الشرعية، فقد ظهر تآلق علماء بجاية واضحا جليا في كتابة الوثائق الخاصة بالبيوع، والميراث، وسائر المعاملات اليومية، حيث كان الناس يعودون إليهم لتسجيل عقود البيوع، والميراث، وكتب هذه العقود يجب أن يكون على دراية واسعة بالعلوم الشرعية خاصة علم الفرائض، وأن يكون على معرفة تامة بقواعد اللغة العربية، فضلا على حسن الخط⁽³⁾، ومن ابرز علماء بجاية الذين تألقوا في هذا النوع من الكتابة أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي (ت 675هـ/ 1276م)، الذي انفرد بالتفوق والريادة في هذه الكتابة، حيث اعترف بتفوقه أبو المطرف أحمد بن عميرة (ت 658هـ/ 1260م) بقوله " أما الكتابة الأدبية، فنحن فيها وإياه على نسق، وأما الشرعية فقد انفرد بها عن الناس"⁽⁴⁾، ومن نماذج كتاباته، وثيقة ابتياع سفينة قال فيها " اشترى فلان من فلان السفينة الفلانية بجميع ما يحتاج إليه، جارية وراسية"⁽⁵⁾.

ومما زاد من تألقه في كتابة الوثائق، إتقانه لفن الخط العربي بجميع أنواعه، حيث كان يكتب بالخط المشرقي والمغربي على فنون من ريحاني وتحساني، وديواني، وإذا بدأ كتابة الوثيقة بخط معين، يلتزم به إلى أن ينتهي من كتابتها⁽⁶⁾، كما برع أيضا في هذا الميدان أبو محمد عبد الحق الأشبيلي (ت 582هـ/ 1186م)⁽⁷⁾ وأبو الحسن علي بن عمران الملياني (ت 670هـ/ 1271م)⁽⁸⁾.

1- الغبريني:المصدر السابق، ص 241.

2- المصدر نفسه، ص 86.

3- المصدر نفسه، ص 87.

4- المصدر نفسه، ص 86.

5- المصدر نفسه:ص 86.

6- المصدر نفسه، ص 86.

7- المصدر نفسه، ص 73.

8- الغبريني : عنوان الدراية، ص 199.

ج- الشعر:

ازدهر الشعر بحاضرة بجاية في القرن السابع الهجري/13م، وتطورت أغراضه، وذلك بفضل نمو الحركة العلمية والفكرية والأدبية، حيث لم يعد الشعر مقتصرًا على الشعراء والأدباء فحسب، بل تعدى ذلك إلى الفقهاء والكتاب والصوفية، فتعددت أغراضه وازدهرت، فظهر شعر الزهد، والمدائح النبوية، والتوسلات، وشعر التصوف، والمدح والثناء، والوصف⁽¹⁾، وهذه عينة من الشعراء البجائيين، وأمثلة من إسهاماتهم في هذه الأغراض الشعرية.

01- المدائح النبوية :

إهتم شعراء بجاية اهتماماً بالغاً بمدح سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم، حيث نظموا تلك الأحاسيس في قصائد تجسد التشوق لزيارته، والإشادة بمعجزاته وصفاته الكمالية، حيث يعد الأديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن الحسن التميمي (ت 673هـ / 1275م)، رائداً من رواد هذا النوع من الشعر، حيث يقول في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والشوق إلى زيارته: (الطويل)

وإني لأدعو الله دعوة مذنب	عسى أنظر البيت العتيق وألثم
فيا طول شوقي للنبي وصحبه	ويا شد ما يلقي الفؤاد ويكتم
إليك رسول الله أرفع حاجتي	فأنت شفيع الخلق والخلق هيم
فقد سارت الركبان واغتموا المنى	وإلى من دون الخلائق محرم ⁽²⁾
وفي الرجاء في رحمة الله، والطمع في غفران الذنوب، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: (الطويل)	وكثر ذنبي كيف لا أتوهم
توهمت من طول الحساب وهوله	فإنك يا مولاي تعفو وترحم
فيا سامع الشكوى أقلني عثرتي	عسى عطفة من فضله تنتسم
ويا سامعين استوهبو لي دعوة	فمن يقبل الشكوى ومن يترحم
وهبني عصيت الله جهلاً وصبوة	

¹ - يعرف ابن خلدون الشعر بقوله: "هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة، وتسمى كل قطعة من القطعات بيتاً، ويسمى الحرف الأخير الذي تنفق به رويًا وقافية، وتسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة، وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه، حتى أنه كلام وحده، مستقل عما قبله، وما بعده، فالشعر إذا هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف" المقدمة، ص 739، 743.

² - الغبريني: عنوان الدراية، ص 96.

وقد أثقلت ظهري ذنوب عظيمة
وأختم نظمي بالصلاة مـردداً
ويصور أبو محمد عبد المنعم الغساني (ت 670هـ / 1271م) مدحه للنبي
محمد صلى الله عليه وسلم، واشتياقه لزيارة قبره في قصيدة يقول فيها: (الطويل)
فمن ذا له فضل كفضل محمد
فيا ربّه بلغ عبيدك قبره
وصل عليه كلما لاح كوكب
وفي نفس المعنى يقول أبوبكر محمد بن أحمد بن سيد الناس الأشبيلي
(ت 659هـ / 1260م) (3) : (الطويل)
أيا سائراً نحو الحجاز وقصده
ومنه إلى قبر النبي محمد
وكن عفو الله أعلى وأعتنم
على خير خلق الله ثم أسلم(1)
علي أمة أو من له مثل نعمته
ليحظى بتقبيل لظاهر تربته
وأجلى عمود الصبح ظلماً لليلته(2)
إلى الكعبة البيت الحرام بلاغ
يكون له بالروضتين مراغ(4)

أما أبا محمد عبد الله بن علوان (ت آخر القرن السابع الهجري / 13م) فقد
نظم قصيدة في التشوق للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، يبشر وفد الحجيج
الذين يستعدون لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويهنئهم بالفوز، والأجر
العظيم يقول فيها (البيسط):

يا زائرين القبر قبر محمد
أوضعتم لنجاتكم فوضعتم
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذي
أدوا السلام سلمتم وبرد
بشرى لكم بالسبق في الزوار
ما أدكم من فادح الأوزار
حملتم شوقاً إلى المختار
أرجو الإجازة من ورود النار(5)

1- الغبريني: المصدر السابق، ص 97.

2- المصدر نفسه، ص 125.

3- هو محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن سيد الناس الأشبيلي، ولد سنة (600هـ / 1203م)
برع في العديد من العلوم، كعلم الحديث، والفقه، واللغة والأدب، هاجر إلى بجاية، وتولى الصلاة
والخطبة بجامعها الأعظم، توفي سنة (659هـ / 1260م)، التبتكتي نيل الابتهاج، ص 381؛
الميلي: مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد ميلي، د ط،
المؤسسة الوطنية للكتاب، د ت، ج 02، ص 865.

4- الغبريني: عنوان الدراية، ص ص 248، 249.

5- المصدر نفسه، ص ص 262، 263.

وفي أواخر القرن السابع الهجري/13م، اشتهرت قصيدة البردة والمسماة بالدرة اليتيمة" للإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري(ت 696هـ/1296م)⁽¹⁾، نظمها في 187 بيت، وضمنها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخصاله⁽²⁾، وشمائله، يقول في بعض أبياتها (البيسط):

محمد سيد الكونين والثقلين	والفريقين من عرب ومن عجم
نبينا الأمر الناهي فلا أحد	أبرّ في قول لا منه ولا نعم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته	لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون به	مستمسكون بحبل غير منقصم
فاق النبيين في خلق وفي خلق	ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس	غرفامن البحراو رشفامن الاديم ⁽³⁾
	الاديم ⁽³⁾

وبالرغم من سكوت الغبريني عن ذكر هذه القصيدة، أو ذكر ناظمها الإمام البوصيري لأسباب تتعلق بشرط الكتاب (الترجمة لعلماء المائة السابعة ببجاية) ، إلا أن هذه القصيدة قد انتشرت انتشارا واسعا آخر القرن السابع الهجري/ 13م وأواخر القرن الثامن الهجري/14م في المغرب الإسلامي، حيث عدت من

¹ - هو محمد بن سعيد بن حماد بن صنهاج بن ملال الصنهاجي ، أصله من بني حبنون من قبيلة صنهاجة من قلعة بني حماد، ولد في بهشيم سنة (608هـ/1211م)، درس العديد من العلوم كالعلوم الدينية والنحو والصرف ، والتاريخ والسيرة النبوية، والتصوف، حيث كان متصوفا على طريقة أبي الحسن الشاذلي ، مارس البوصيري العديد من الأعمال كالكتابة، والتعليم، توفي بالقاهرة في (696هـ/1296م) الحنبلي: شذرات الذهب ، ج05، ص 432؛ الكتبي: فوات الوفيات بتحقيق إحسان، دار صادر، بيروت، ج03، ص 362.

² - كان سبب إنشاء البوصيري لهذه القصيدة ، أنه أصيب بمرض الفالج ، حيث شل نصفه، فانشأ هذه القصيدة ، وتوسل بها إلى الله سبحانه وتعالى ثم نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم، فمسح على وجهه، وألقى عليه بردة ، فانتبه، ووجد في نفسه نهضة ، فقام وخرج من البيت، وشفي بإذن الله، ببركة هذه القصيدة، وبينما هو خارج المنزل، التقى بأحد الصوفية ، فقال له << أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، >> وبعد أن أنشد أولها : قال هذا الصوفي << والله لقد سمعتها البارحة ، وهي تتشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرايته يتمايل وأعجبته، وألقى على من أنشدها بردة ،>> فأعطاه البوصيري القصيدة.ابن المطماطية القسنطيني:الإفادة لرائم السعادة،(مخطوط)،ورقة 15؛أبو عبد الله شرف الدين البوصيري ، ديوان البوصيري، شرحه أحمد حسين بسج، ط 01 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص07.

³ -البوصيري : الدرّة اليتيمة المعروفة بقصيدة البردة، ط01، مكتبة المنار، تونس، 1946، ص 08، 09.

أبرز وأهم القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، واستمر العمل بها في المواسم والأعياد الدينية، كمناسبة المولد النبوي الشريف، بالإضافة إلى قصيدته المسماة " متن الهمزية في مدح خير البرية"⁽¹⁾.

02- شعر التوسلات والابتهالات :

ارتبط شعر التوسل والابتهال، والاستغاثة في بجاية بظروف خاصة، تمثلت في ظواهر الظلم والتعدي من جانب الولاة والأمراء حيث كان هؤلاء الشعراء يلجؤون إلى الله سبحانه وتعالى بالضراعة، والتوسل والدعاء ليخلصهم من الأزمات والنكبات التي ألمت بهم.

ويعد أبو الفضل يوسف بن محمد بن النحوي التوزري (ت 513هـ/1119م)⁽²⁾ رائد هذا الشعر، حيث فتح المجال واسعاً للعديد من الشعراء الذين جاءوا بعده، لأن ينسجوا قصائد على منوال قصائده في التوسل والابتهال، ومن أشعاره في التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالشكوى بعد نفاذ الصبر قوله : (البيسط)

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا وقلت يا سيدي يا منتهى أملي
وقلت يا سيدي يا منتهى أملي أشكوا إليك أموراً أنت تعلمها
أشكوا إليك أموراً أنت تعلمها وقد مددت يدي بالضر مشتكياً
وقد مددت يدي بالضر مشتكياً كما قام ابو الفضل بن النحوي بنظم قصيدته الجيمية، أو المسماة بالمنفرجة،

¹ -البوصيري ، الهمزية في مدح خير البرية ، ط01، مكتبة المنار، تونس ، 1946، ص ص 01، 02.

² - هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف، المعروف بابن النحوي التوزري ، ولد بتوزر جنوب القطر التونسي عام (433هـ/1041م) ، وبها نشأ، أخذ العلم عن عدد من فقهاء المدينة، درس العديد من العلوم كالعلوم الدينية واللغوية، وأصول الدين، توجه إلى مكة لأداء فريضة الحج، وملاقة العلماء، أستوطن قلعة بني حماد لما اغتصب والي توزر أرضه، كان مولعاً بكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، حيث نسخه في ثلاثين جزءاً، يقرأ كل يوم من رمضان جزء منه ، توفي سنة(513هـ/1119م) ودفن خارج القلعة.أبو الفضل يوسف بن النحوي ، المنفرجة، تحقيق: أحمد بن محمد أبو رزاق، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 05،07؛الغبريني ، عنوان الدراية، ص 272.

³ - العبدري : رحلة العبدري،تحقق محمد الفاسي،ط01،الرباط، 1968،ص52.

انعكست فيها رؤيته، بأن الأزمات مهما طالّت، فإن مصيرها الفرج، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إن بعد العسر يسراً﴾، داعياً إلى الإستعانة بالقرآن الكريم، والإكثار من الدعاء، مع الاجتهاد في العبادة، وفي هذا المعنى يقول: (المتدارك):

إشتدي أزمة تنفرج قد أذن ليلىك بالبلج
وظلام الليل له سرج حتى يغشاه أبو السرج
وسحاب الخير لها مطر فإذا جاء الإبان تجيء⁽¹⁾

لقد نالت قصيدة المنفرجة اهتماماً بالغاً، خلال القرن السابع الهجري/13م، خاصة عند اشتداد النوائب والأزمات وهذا ما يؤكد الغبريني، حيث يذكر أن الفقيه الشاعر أبا محمد عبد الله بن نعيم القرطبي (ت 636هـ / 1239م)، قام بتخميس القصيدة الجيمية (المنفرجة) لما أدخله الموحدون السجن في قسنطينة، فأطلق سراحه⁽²⁾، حيث يقول (المتدارك):

لا بد لضيق من فرج والصبر مطية كل شج وبدعوة أحمد فابتهج
أشتدي أزمة تنفرج قد أذن ليلىك بالبلج
يا نفس رويدك لا حرج وثقي بالله عسى فرج وكذا ما ضاق له فرج
وظلام الليل له سرج حتى يغشاه أبو السرج⁽³⁾

ويؤكد الغبريني أن هذه القصيدة، زاد الإهتمام بها لأنها على حد تعبيره " ما زالت هذه القصيدة، معلومة الإفادة، ظاهرة الزيادة"⁽⁴⁾. ولما استولى النصارى على بلاد الأندلس، وخاصة بلنسية، أرسل حاكمها زيان بن مردنيش، وفداً بقيادة الشاعر ابن الأبار (ت 658هـ / 1259م) سنة 636هـ / 1238م، إلى الأمير الحفصي أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد (626-647هـ / 1228-1249م)، وقد قام ابن الأبار باستصراخ الأمير الحفصي والاستجداء به في المسارعة على إرسال المساعدة لنجدة المسلمين بالأندلس⁽⁵⁾ بقوله (البسيط):

أدرك بخيلك خيل الله أنـدلساً إن السبيل إلى منجاتها درساً

1 - ابن النحوي: المنفرجة، ص 10.

2 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 272.

3 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 272.

4 - المصدر نفسه، ص 278.

5 - نفسه، ص 257.

وهب لها من عزيز النصر ما التمس
فلم يزل منك عز النصر ملتمساً⁽¹⁾

يا للمساجد عادت للعدا بيعا
وصل حبلا أيها المولى الرحيم فما
هذي رسائلها تدعوك من كذب
وللنداء غداً أثنائها جرساً
ألقي المراسي لها حبلا ولا مرساً
وأنت فضل مرجو لمن يؤسأ⁽²⁾

03- شعر الزهد:

تناول شعراء وأدباء بجاية موضوع الزهد بأغراضه المختلفة بين الدعوة إلى ترك الدنيا، والأعراض عنها ، طلباً لراحة الآخرة ، والتذكير بالموت الذي هو مصير كل حي ، والدعوة إلى العمل الصالح، حيث برز في القرن السادس الهجري /12م ، أبو محمد عبد الحق الأشبيلي (ت582هـ/1186م)، الذي يقول في القناعة والزهد في الدنيا والاحتراس من مفاجأة الموت قبل التوبة ، وإعداد الزاد ليوم الرحيل (البيسط)

يا أمن الساحة لا يذعر
والمراء منصوب له حتفه
ورائد الموت له طلعة
وروعة الموت لها سكرة
وبين أطباق الثرى منزل
يترك ذو الفخر فخره
بين يديك الفرع الأكبر
لو أنه من عمه يبصر
يبصرها الأكمه والمبصر
ومثلها من روعة تسكر
ينزله الأعظم الأحقر
وصاحب الكبر به يصغر⁽³⁾

وبالرغم من أن أبا محمد عبد الحق الأشبيلي، قد برع في هذا النوع من الشعر، إلا أنه كان مقلداً لمن سبقوه من شعراء الزهد ، فأشعاره كما يقول رابح بونار: " قبساً من روح المعري في لزومياته ، وتقليداً لأسلوب أبي العتاهية"⁽⁴⁾.

1 - المقري : نفع الطيب، ج04، ص 479.

2 - المصدر نفسه ، ج04، ص 479.

3 - ابن الزبير: صلة الصلة، ص 07.

4 - عبد الحق الأشبيلي ، محدث القرن السادس الهجري، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد(19) مارس/ أبريل ، 1974، ص 270.

أما في القرن السابع الهجري/13م ، فقد تلقى شعر الزهد دفعة قوية على يد عدد من الشعراء من بينهم : أبو عبد الله محمد بن الحسن التميمي القلعي (ت 673هـ/1275م)، الذي اشتهر بشعر الزهد ، حيث يقول في هذا الميدان :
(البيسط)

أنظر لمن باد تنظر آية عجباً
أين الألى جنبوا خيلاً مسومة
لم تغنهم خيلهم يوماً وإن كثرت
بادوا فعادوا حديثاً إن ذا عجب
وفي التذكير بالموت، والدعوة إلى الاستعداد له يقول : (البيسط):

وغيره لأولي الأبواب والعبير
وشيدوا إرمأ خوفاً من القدر
ولم تفد إرم للحادث النكر
ما أوضح الرشد لولا سيء النظر⁽¹⁾
وكل حي وإن طالت سلامته
هو الحمام فلا تبعد زيارته
يا ويح من غره دهر قسر به
وفي ذم الدنيا، والتحذير من الاغترار يزخرها الزائل يضيف (البيسط):

يغتاله الموت بين الورد والصدر
ولا تقل ليتني منه على حذر
لم يخلص الصفو إلا شيب بالكر⁽²⁾
أنفاس الناس في الدنيا وقد علموا
ولتفتكر في ملوك العرب من يمن
أفناهم الدهر أولاهم وآخرهم
لم يبق منهم سوى الأسماء والسير⁽³⁾

ومن شعراء الأندلس الوافدين على بجاية نجد أبا عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي (ت699هـ/1301م)⁽⁴⁾ والذي اشتهر بشعره الحسن على حد قول الغبريني، فضلاً على دوره الكبير في تعليم طالبة بجاية، وتلقينهم دواوين الشعر، كشعر أبي العلاء المعري، وحبیب بن أوس، والمعري⁽⁵⁾، من شعره الزهدي قوله : (البيسط)

جعلت كتاب ربي لي بضاعة
وأعددت القناعة رأس مالي
فكيف أخاف فقراً أو إضاعة
وهل شيء أعز من القناعة⁽⁶⁾

1 - الغبريني: عنوان الدراية ، ص ص 97، 98.

2 - المصدر نفسه، ص 97.

3 - نفسه ، ص 98.

4 - العبدري، رحلة العبدري ، ص 24.

5 - الغبريني : عنوان الدراية، ص 107.

6 - المصدر نفسه ، ص 104.

فمن خلال هذه النماذج من شعر الزهد، يتبين لنا أن نزعة الزهد قد سيطرت على تفكير العديد من شعراء وأدباء بجاية، وإذا كانت هذه القصائد الزهدية قد كانت امتداداً لشعر الزهد لمرحلة ما قبل القرن السادس الهجري /12م، من حيث أغراضه، بالرغم من كونه يحمل في طياته تجديداً من حيث المعاني والألفاظ، لأن هؤلاء الشعراء يحملون عاطفة صادقة، مفعمة بالتقوى والورع والخوف من تقلبات الدنيا ومحنها، وبالتالي فإن الطابع الزهدي لشعرهم، هو الشعر الوجداني، الناتج عن ممارسة الزهد والتصوف (1).

04- الشعر الصوفي:

وفي هذا النوع من الشعر نجد بأن صوفية بجاية، يستعرضون أحوالهم، ويذكرون آرائهم للكثير من القضايا الدينية، وحتى الدنيوية التي تتجلى لهم، كما يركزون في غالب أشعارهم على المقامات والأحوال التي يسلكها الصوفية، وعلى تجاربهم، واتجاهاتهم الصوفية، ويمكن أن نميز بين نوعين من الشعر الصوفي، شعر المدرسة الصوفية السنية، وشعر المدرسة الصوفية الفلسفية.

أ- شعر التصوف السني:

وفيه عبّر صوفية بجاية على ذكر مجاهداتهم، وأورادهم، وأذكارهم، بأسلوب بعيد عن الإفراط في الرموز والإشارات، والإيحاءات الفلسفية الغامضة (2).

ومن أبرز رواد هذا النوع أبو مدين شعيب (ت 594هـ/1198م) الذي يبين أن غاية الصوفي هي الوصول إلى المعرفة الحقة بالله عز وجل، فيقول (الكامل)

الله قل وذر الوجود وما حوى	إن كنت مرتاداً بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حَقَّقْتَهُ	عَدَمٌ على التفصيل والإجمال
فالعارفون فنوا ولم يشهدوا	شيئاً سوى المتكبر المتعال (3)

1 - رابح بونار : المغرب العربي، تاريخه وثقافته، ص 231.

2 - بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر، ص 262.

3 - الشوار : العربي بن مصطفى، ديوان سيدي أبي مدين شعيب، ط01، مطبعة الترقى، دمشق، 1938، ص 57؛ اشتهر أبو مدين شعيب بكثير من القصائد التي عبر فيها عن آرائه وبين فيها الكثير من أمور التصوف، ومن أشهر هذه القصائد قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

ما لذة العيش إلا لصحبة الفقراء هم السلاطين والسادات والأمراء

للتفصيل: أبو عبد الله الزبيدي: الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزواية، (مخطوط)، ورقة: 05.

ويدعو أبو مدين إلى الإنخراط في طريق التصوف، لأنه السبيل الوحيد للراقي بالنفس إلى المقامات الرفيعة، ومن الوصول إلى قمة العيش وبهجته، التي لا تتحقق إلا بالوصول إلى مقام الإحسان، حيث تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فيقول: (الكامل)

فشرابنا من لطفه وغناؤنا
فتألفوا وتطيبوا واستغنموا
والله أرحم بالفقير إذا أتى
ثم الصلاة على الشفيح المصطفى
نعم الحبيب الواحد القهار
قبل الممات فدهركم غدار
من والديه فإنه غفار
ما غردت بلغاتها الأطييار⁽¹⁾
ويحاول أبو مدين شعيب تقليد شعراء التصوف، الفلسفي، حيث ينزع إلى

الإستعانة بالألفاظ الغزلية والخمريات فيقول: (الطويل)
فإننا إذا طبنا وطابت نفوسنا
فلا تلم السكران في حال سكره
لكن أبا مدين يوضح، بأن الخمر الذي يقصده ليس الخمر المادي المسكر، وإنما تلك الأذكار والمجاهدات والتسابيح، التي تثير الصوفي، وتجعله في حالة وجدانية، تغيبه عن وعيه⁽³⁾ فيقول: (الكامل)

لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا
مزمارنا التسبيح والأذكار⁽⁴⁾
ويرى الشيخ محي الدين بن عربي (ت638هـ/1240م)، أن الإنسان إذا توفر له الإيمان الصحيح، وشمل هذا الإيمان الفكر والعاطفة وأسبل طمأنينته على المؤمن، وتمتع بسكينة الرؤية، فإن هذه صفات من يطلب الاستقرار، ويتمتع في الوجود⁽⁵⁾، حيث يقول: (الطويل)

إذا جهلت أرواحنا علم ذاتها
وإن علمت فالحس فيها محقق
فذلك موت والجسوم قبور
وكان لها من أجل ذاك نشور

1 - عبد الحميد حميدو : السعادة الأبدية، ط01، المطبعة الجديدة، فاس 1935، ص 75.

2 - الشوار: ديوان سيدي بومدين، ص 60؛ عبد الحميد حميدو : السعادة الأبدية، ص 74.

3 - يطلق الصوفية مصطلح السكر على الغيبة عندما تتعرض للصوفي أو المرید، حيث تكون هذه الغيبة بوارد قوي، والسكر لا يكون إلا بالمكاشفة بنعوت الجمال، لأنه طرب الروح وهيام القلب، ولا يكون ذلك إلا لأصحاب الوجد والمشاهدة، الرازي: أبو عبد الله شمس الدين، حدائق الحقائق، ط01، دار الكتب العلمية، 2002، ص 200.

4 - عبد الحميد حميدو : السعادة الأبدية، ص 75.

5 - جعفر الكتاني: الحب الإلهي عند محي الدين بن عربي الحاتمي، مجلة الإشارة، السنة 02، العدد 15، فيفري، 2001، الرباط، المملكة المغربية، ص 09.

فما العلم إلا بين نور وظلمة وكل كلام دون ذلك زور⁽¹⁾

ب- شعر التصوف الفلسفي:

اعتمد شعر التصوف الفلسفي على الرمزية، والإشارات والإيحاءات في أشعارهم، للتعبير عن اتجاهاتهم الشعرية في التصوف، في قالب من الأشعار يميل إلى الغموض، غلبت عليها عاطفة الحب الإلهي، فضلاً على توظيفهم الألفاظ والمصطلحات الصوفية الصعبة التي تحمل في طياتها معاني الغزل والخمريات والحب، للدلالة على مقاصدهم، ومن شعراء هذا النوع ببجاية نذكر: أبا زكرياء يحيى بن محجوبة السطيفي (ت677هـ/1278م): (الطويل)

جلت لك ليلي من مثني نقابها	طريقاً وأبدت لمعة من جمالها
فكيف ترى ليلي إذا هي أسفرت	ضحاءً وأبدت وارفاً من دلالتها
وكيف بها إن لم يغب عنها شخصها	ولم تخل وقتاً من منال وصالها ⁽²⁾
	وصالها ⁽²⁾

وفي هذا المعنى أيضاً يقول أبو محمد عبد الحق بن الربيع البجائي (ت675هـ/1276م)، الذي نظم قصيدة طويلة في خمسمائة بيت، يتناول فيها مجاهداته التي أوصلته إلى بعض المقامات الصوفية، حيث يقول (الكامل):

سفرت على وجه الجميل فأسفرا	وبدا هلال الحسن منها مقمرا
ودنت فكاشفت القلوب بسررها	وسقت شراب الأيس منها كوثرها
ورأيتها في كل شيء أبصرت	عيناى حتى عُدتُ كلي مبصرا ⁽³⁾

ويبين ابن الربيع البجائي، أن الهدف من هذه المجاهدات الصوفية، هو لإزالة الحجب عن النفس البشرية حتى تتطهر، وترتقي إلى المقامات العالية، فيقول: (الكامل)

فارفع به ظلم الحجاب فرفعها	تجنيك من غرس المنى ما أثمرها
فهناك يفتح بابه ولطالما	قد كان دونك مبهماً متعذراً
لو كان سر الله يكشف لم يكن	سراً ولكن لم يكن ليذكراً ⁽⁴⁾

¹ - محي الدين بن عربي: ديوان المعارف (مخطوط)، ج2، ورقة 100.

² - الغبريني: عنوان الدراية، ص 119.

³ - المصدر نفسه، ص 87.

⁴ - نفسه، ص 88.

ويظهر تألق شعر التصوف الفلسفي أكثر على يد محي الدين بن عربي (ت638هـ/1240م) الذي يرى بأن همة الصوفي وغايته هو المحبة الإلهية، وهذا نابغ في رأيه، من أن خلق العالم نتج عن إرادة المحبة الإلهية، ففي نظره " لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها، وإن شئت قلت أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كله" (1). حيث يقول في هذا الاتجاه: (الوافر)

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وأواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أتى توجهت
ركائبه فالحب ديني وإيماني⁽²⁾

ولا يتركنا ابن عربي في حيرة من هذه الأبيات الصوفية الفلسفية، بل يبين أنه يعني بها ما ثم دين أعلى من دين قام على المحبة والشوق⁽³⁾، وأن المراد بذلك، ما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ اتبعوني يحببكم الله ﴾⁽⁴⁾.

ويصرح ابن عربي بأنه يدين بالإسلام الذي هو دين الحب، لا بغيره، وأن الإسلام هو الدين الجامع لكل صور العبادات، فابن عربي يقول " أنا مؤمن بما هو اليهودي والنصراني به مؤمن ، مما هو حق في دينه وكتابه، من حيث إيماني بكتابي"⁽⁵⁾.

ويذكر لنا الغبريني في كتابه " العنوان" شاعراً آخر من شعراء التصوف الفلسفي، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن الخطيب (ت القرن السادس الهجري/ 13م) الذي كان غارقاً في التفكير، أو التأمل، فالتفكر قائد الإنسان إلى الخير، ودليله إلى المعرفة بالله ، ومحبته، حيث عبر عن آرائه الصوفية بعبارات وإشارات ورموز فلسفية، وألفاظ صوفية، تحمل في طياتها معان كثيرة ، كمصطلحات المعارف ، التفكير، القلب، الصفاء، العوالم، المعالي، الجمال، وهذا نموذج من شعره يقول فيه: (الكامل)

¹- ابن عربي : فصوص الحكم ، تحقيق وتعليق: أبو العلاء عفيفي، ط2، دار الجيل، بيروت ، 1980، ص ص 48، 49.

²- ابن عربي : نخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق تحقيق محمد علم الدين الشقيري، ط01 ، دار عين للدراسات والنشر، 1995، ص 246.

³- الكحلوي: الحقيقة الدينية من منظور الفلسفة الصوفية، الحلاج وابن عربي نموذجاً ط01، دار الطليعة، بيروت، 2005، ص 122.

⁴ - سورة آل عمران: الآية 31.

⁵ - ابن عربي: الفتوحات المكية، ج01، ص 715.

روض المعارف حضرة العرفاء
ونعيم أهل الحق درك حقائق
إن المظاهر كلها ظهرت به
وكسا عوالم أنسها من جودة
وجنى التفكير جنة العقلاء
لاحت بأفق القلب حال صفاء
وبه الملاء أضحوا من الظرفاء
بهرت محاسنهن بدر سماء⁽¹⁾

وقد تأسف الغبريني لوفاة ابن الخطيب، قبل بلوغ الأربعين في قوله: " ولو
بقي لظهر عليه من العلوم الكثير " ⁽²⁾

05- المدح :

من شعراء بجاية الذين اشتهروا في شعر المدح الأديب أبو الخطاب عمر
بن علي الكلبى (ت633هـ/1235م) الذي بعث إلى السلطان الأيوبي الملك الكامل
(ت635هـ/1237م) بقصيدة يمدحه فيها ، حيث عده ابن الخطاب، من أشهر
حكام المسلمين ،ومن الذين يستحقون المدح لاجتهاده في محاربة الصليبيين،
وتظهر جودة ابن الخطاب ومهارته في هذا النوع من الشعر (المدح) في حسن
اختياره للألفاظ والكلمات، المعبرة عن الإعجاب والتقدير الذي يكنه كل مسلم
نحو ملك لم يكن يهمله إلا محاربة الصليبيين والدفاع عن حمى الإسلام، وهذه
أبيات مختارات من هذه القصيدة (الكامل):

مالي أسائل برق بارق عنكم
فمحاكم قلبي وأنتم بالحشا
وأنا المقيم على الوفاء بعهدكم
والعدل بالملك الهمام محمد
عن الملوك الكامل الشرف الذي
من بعد ما بعدت ديارى عنكم
لا بالعقيق ولا برامة أنتم
يا ما لكين وفيتم أو خنتم
بادي المنار لكل من يتظلم
لعلياته السبع الكواكب تخدم⁽³⁾

كما بعث بقصيدة أخرى لنفس السلطان، الملك الكامل الأيوبي، يمدحه بها
أيضاً يقول في بعض أبياتها (الطويل)

يدافع عني الضيم قائم سيفه
هو الكامل الأوصاف والملك الذي
بأسيافه في الأرض هدت كئناس
إذا عز من للضم عني يدافع
تشير إليه بالكمال الأصابع
وشيد للإسلام فيها جوامع⁽¹⁾

¹ - الغبريني: عنوان الدراية، ص ص 201، 202.

² - المصدر نفسه، ص 201.

³ - الغبريني : عنوان الدراية، ص ص 231، 234.

06- الوصف:

اشتهرت بجاية في القرن السابع الهجري /13م شعراء تناولوا شعر الوصف كغرض من الأغراض الشعرية ، حيث تعرض هؤلاء إلى وصف مدينة بجاية وطبيعتها وعمرانها وقصورها (2)،ومن هؤلاء نجد الشاعر أبو علي حسن بن الفكون القسنطيني (ت أوائل القرن السابع الهجري/13م) الذي أمتاز شعره بالرقّة والحسن، خاصة في وصف الطبيعة وذكر جمالها(3) ومن شعره هذه المقطوعة التي يصف فيها بجاية الناصرية حيث يقول: (البيسط)

دع العراق وبغداد وشامهما
بر وبحر وموج للعيون به
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع
فحيثما نظرت راقّت وكل نوا
إن تنظر البر فالأزهار يانعة
يا طالبا وصفها إن كنت ذا نصف
فالناصرية ما إن مثلها بلد
مسارح بان عنها الهم والنكد
حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد
حي الدار للفكر للأبصار تتقد
أو تنظر البحر فالأمواج تطرد
قل جنة الخلد فيها الأهل والولد(4)

وينقل ابن الفكون من وصف مدينة بجاية إلى وصف قصر الربيع ، وهو أحد قصور بجاية، حيث يقول في حقه (الطويل):

عشونا إلى نار الربيع وإنما
ركبنا بواديه جياذ وزوارق
ولما نزلت ساحة القصر راعنا
فما شئت من ظل وريف وجدول
فيا حسن ذاك القصر لأزال أهلا
عشونا إلى نار الندى والمحلق
نزلنا إليها عن ضوامر سبق
بكل جمال مبهج الطرف مرتق
وروض متى تلمم به الريح يعبق
ويا طيب ريا نشره المتشقق(5)

1 - المصدر نفسه ، ص ص 234 ، 238.

2- فيلالي عبد العزيز، محمد الهادي لعروق: مدينة قسنطينة: دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، ط01، دار البعث، قسنطينة، 1984، ص73؛ برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، ج02، ص 426.

3 -مولاي بلحميسي : بجاية في حدائق الكتب ، مجلة الأصالة، العدد (19)، السنة (4) ، مارس/أفريل، 1974، ص105.

4 - الغبريني: عنوان الدراية، ص ص 280 ، 281.

5 - المصدر نفسه، ص ص 281 ، 282.

وصفوة القول فإن أدباء وشعراء بجاية ، وعلمائها ، قد ساهموا مساهمة بالغة في الإنتاج الأدبي المغربي، بأشعارهم، ونثرهم، وبتأليفهم اللغوية المتنوعة، التي تعتبر الثمرة التي تكونت نتيجة تضافر الجهود التي أسهمت في انبعاث وتقديم النشاط اللغوي والأدبي.

ويبقى أن نشير في الأخير إلى أن حاضرة بجاية في القرن السابع الهجري /13م، لم تعرف فن القصة والمقالة، والمقامة، وفي الشعر لم تعرف الموشحات والأزجال⁽¹⁾، باستثناء موشحات أبي مدين شعيب (ت594هـ/1198م)⁽²⁾، كما نشير إلى أن شعراء بجاية قد طرّقوا كل الأغراض الشعرية تقريبا، وهذا ما أضفى تنوعاً على الإنتاج الأدبي بنوعيه النثري والشعري، أما الملاحظة الأخيرة التي تبنت لنا ونحن نستقرئ أهم ملامح الحركة اللغوية والأدبية، بحاضرة بجاية أن الحركة الأدبية واللغوية، تميزت باستقلالها عن مثيلتها بالشرق، فبالرغم من الاعتماد على العديد من المصنفات اللغوية المشرقية، في التعليم والتدريس، إلا أن علماء بجاية قد أضافوا إليها الكثير، شرحاً وتحليلاً، كما يظهر عدم التأثر بالأدب المشرقي في معالجة أغلب الشعراء والأدباء البجائيين، لمواضيع محلية، أو قضايا دينية عامة.

1 - تجيز الموشحة أو الزجل للشاعر أن يستخدم بحورا غير بحور العروضيتين، ويخالف بين القوافي في القصيدة الواحدة، ووجه الاختلاف بينهما أن الموشحة تصاغ بلغة فصيحة بينما يصاغ الزجل، بلغة دارجة ملحونة، كما أن الموشحة تنتهي عادة ببيتين يعرفان << بالخرجة >> يصوغهما الوشاح في لغة دارجة. سحر السيد عبد العزيز سالم: بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ج01، ص75؛ مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي، ط07، دار العلم للملايين، 1992، ص375.

2 - من أشعاره في الموشحات قوله :

وهواك لي نصيب	كل واحد له نصيب يأتي
حاضر لا تغيب	يا حياتي وأنت في ذاتي
من قديم الشراب	أنت أسكرتني على سكري
فهمت الخطاب	ثم خاطبتني كما تدري
عند رفع الحجاب	ثم شاهدت وجهك البدي
وأنت كنت الرقيب	ثم صيرتني رقيب ذاتي
حاضر لا تغيب	يا حياتي وأنت في ذاتي

الشوار: ديوان سيدي بومدين شعيب، ص71، 86.

03- العلوم الإجتماعية والعقبة:

أ- التاريخ:

يعد علم التاريخ من أهم العلوم وأبرزها، لارتباطه الوثيق والمتصل بعلوم كثيرة، ومواضيع متنوعة، كالتراجم، والطبقات، والمناقب، والأنساب والمغازي⁽¹⁾، ويشيد ابن خلدون بعلم التاريخ وبقيمته وفائدته، إذ يقول: "إعلم أن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم، وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدنيا والدين"⁽²⁾.

لقد حظي التاريخ باهتمام البجائيين في القرن السابع الهجري/13م، فقاموا بتسجيل الأحداث التاريخية، وتدوين الوقائع الماضية، فكان أبو محمد عبد الله القلعي (ت699هـ/1270م) بارعاً في حفظ الروايات التاريخية⁽³⁾، ونحا نحوه أبو عبد الله بن الحسن بن علي بن ميمون (ت673هـ/1275م) الذي كان له إمام كبير بعلم التاريخ، حيث كان له درس يحضره، عدد كبير من الطلبة⁽⁴⁾. وظهر ببجاية في أواخر القرن السادس الهجري/12م وأوائل القرن السابع الهجري/13م، مؤرخ شهير هو أبو عبد الله بن حماد الصنهاجي (ت548-628هـ/1154-1231م) الذي ولد ونشأ ببرج حمزة، قرب البويرة⁽⁵⁾ درس بقلعة بني حماد ثم انتقل إلى بجاية لإتمام تعليمه، فاخذ عن الشيخ أبي مدين شعيب (ت594هـ/1197م)، ومن جملة ما روى عنه، كتاب "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"⁽⁶⁾.

1 - عبد العزيز فيلاي : تلمسان في العهد الزياني ، ج2، ص 466.

2 - المقدمة، ص 15 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق، ص63.

3 - الغبريني : عنوان الدراية، ص 93.

4 - المصدر نفسه ، ص 94.

5 - محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ، ج01، ص 185؛ ابن القنفذ: الوفيات ، ص 311.

6- الغبريني: عنوان الدراية ، ص 192؛ الجبلاي عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام، ط4، دار الثقافة، بيروت، 1980، ج02، ص 38.

تولى ابن حماد الصنهاجي قضاء العديد من الحواضر كان آخرها قضاء مدينة سلا بالمغرب الأقصى سنة (613هـ / 1216م)⁽¹⁾.

لقد أظهر ابن حماد الصنهاجي، ميلا كبيرا لعلم التاريخ، حيث كانت له رغبة جامحة في تسجيل الأحداث التاريخية، وتدوين الوقائع، فقام بتلخيص كتاب "تاريخ الطبري"⁽²⁾، ثم ألف ابن حماد مصدرا هاما سماه "النبد المحتاجة في أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية"⁽³⁾.

كما وضع " فهرست " ، تناول فيه سيرة شيوخه، والكتب التي رواها عنهم⁽⁴⁾ ولم تكتمل شهرة ابن حماد ، إلا بعد تأليفه لكتاب " أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم" ، حيث تناول فيه ملوك بني عبيد (الفاطميون) بدءً بعبيد الله المهدي (297-322هـ / 909-934م) ، و محمد القائم بأمر الله (332-334هـ / 943-945م) وختم كتابه بترجمة لعبد الله العاضد لدين الله (556-567هـ / 1160-1171م)⁽⁵⁾ وبعد أن بدأ كتابه بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يبدأ ابن حماد بالتعريف بمؤلفه، حيث يقول : " فهذه جملة من أخبار بني عبيد الله ، قيدتها في هذا التأليف ، فبعضه التقطته من مفرقات التأليف، وبعضها عرفني به من وثقت منه بالتعريف "⁽⁶⁾.

واستمر ابن حماد في اهتمامه بعلم التاريخ ، وفي تسجيل الأحداث التاريخية ، إلى أن توفي سنة (628هـ / 1228م)⁽⁷⁾.

ومن العلماء الأندلسيين الذين وفدوا على بجاية في القرن السابع الهجري/13م، والذي كان له اهتمام كبير بالتاريخ ، ابن الأبار (ت658هـ/1259م)⁽⁸⁾ ، حيث ترك العديد من المصنفات التاريخية مثل " معدن

¹ - عمار هلال : العلماء الجزائريون فيما بين القرنين 8و4هـ / 10و14م، مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، العدد(8) ، 1993 ، 1994 ، ص 18.

² - عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر، ص 197.

³ - ابن القنفذ : الفارسية، ص 29 ؛ نويهض: المرجع نفسه ، ص 197.

⁴ - ابن القنفذ : أنس الفقير ، ص 92 .

⁵ - ابن حماد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984 ، ص 17.

⁶ - ابن حماد الصنهاجي ، المصدر نفسه، ص 17.

⁷ - الغبريني: عنوان الدراية ، ص 193؛ ابن القنفذ: الوفيات ، ص 311.

⁸ - هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن المعروف بابن الأبار ، ولد سنة (595هـ / 1198م) ببينسية ، نشأ ابن الأبار في وسط علمي، حيث كان والده من أهل العلم ، وجهه والده لطلب العلم، فدرس العلوم الشرعية من حديث ، وفقه ، وعلوم قرآن ، والعلوم =

اللجين في مراثي الحسين" ، وكتاب "درر السمط في خبر السبط" ، وهذان المصنفان ، ألفهما ابن الأبار تعاطفاً ومحبة لآل البيت، وفي هذا المصنف أي " معدن اللجين" يقول الغبريني : >> ولولم يكن له من التأليف إلا هذا التأليف ، لكفاه في ارتفاع درجته، وعلو منصبه ، وسمو رتبته<<⁽¹⁾، أما في ميدان التراجم فقد ألف ابن الأبار كتاب >> معجم أصحاب أبي داود الهاشمي<< و >> معجم أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي<<، رتب فيه ابن الأبار الأسماء على حروف المعجم ، حيث ترجم ل: 315 من شيوخ الأندلس في جميع الفنون ، وبعض الشيوخ الوافدين على الأندلس⁽²⁾.

واشتهر ابن الأبار بكتابه " التكملة لكتاب الصلة". حيث ألف هذا الكتاب على فترات، وأتمه سنة (646هـ/1248م) ، والكتاب في تراجم علماء الأندلس، مرتب على حروف المعجم⁽³⁾، حيث أكمل ابن الأبار في كتابه التكملة ، ما بدأه أبو الوليد عبد الله بن يوسف الأزدي ، المعروف بابن الفرضي (ت403هـ/1012م) في كتابه " تاريخ العلماء ورواة العلم بالأندلس"، حيث أعطانا ابن الأبار من خلال هذا الكتاب صورة واضحة للحياة العلمية والفكرية بالأندلس ، خلال القرن السادس والسابع الهجريين / 12 و13م، كما صنف ابن الأبار كتاباً آخرًا سماه " الحلة السیراء" الذي يعتبر أحسن كتب ابن الأبار، وأعظمها فائدة، وهو عبارة عن تراجم لعلماء (القرن الأول إلى غاية القرن السابع الهجري / 07-13م) ، مع قطع شعرية لكثير من الأمراء، والوزراء، والكتاب ، والعلماء⁽⁴⁾.

- اللغوية والأدبية ، ولم يكتب ابن الأبار ، بالأخذ عن رجال بلنسية ، بل خرج في طلب العلم، حيث جال في حواضر الأندلس ، وفي العديد من الحواضر المغربية ، تولى العديد من المناصب والخطط ، كالكتابة ، في العديد من الحواضر كيلنسية ، وتونس ، وترك الكثير من التأليف، في أكثر من علم ، حيث عدّها البعض ، بنحو خمسة وأربعين تأليفاً، توفي مقتولاً ، قتله المستنصر بعد أن أحرق كتبه ، وذلك صبيحة يوم الثلاثاء 21 محرم (658هـ/ 1260م)، محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ، ج01، ص ص 195، 196؛ الغبريني : عنوان الدراية ص257.

1 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 260.

2 - محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية ، ج01، ص 196 .

3 - محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ط02، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1994، ج01، ص 25 .

4 - ابن الأبار : الحلة السیراء، تحقيق : حسين مؤنس، ط01، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963، ج01، ص 13 .

أما الغبريني فيعتبر مؤرخ بجاية في القرن السابع الهجري / 13م من خلال كتابه (موضوع الدراسة) " عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية "، حيث ترجم لـ : 109 من الأعلام البجائيين، أو الذين استوطنوا هذه الحاضرة، تناول فيه تراجم هؤلاء العلماء، وإسهاماتهم في الحياة العلمية والثقافية⁽¹⁾.

ومن الذين اشتهروا بتدريس التاريخ بحاضرة بجاية ، نجد الفقيه ، محمد بن محمد المعروف بابن محرز(655هـ / 1257م) ،الذي يصفه الغبريني بالحافظ المتقن والتاريخي الضابط⁽²⁾.

ب- علم المنطق:

المنطق كما يعرفه عبد الرحمن بن خلدون هو " القوانين التي يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات ، والحجج المفيدة للتصديقات ، وذلك لأن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس هذبه ورتب مسائله وفصوله العالم اليوناني أرسطو في كتابه " النص " الذي يشتمل على ثمانية كتب"⁽³⁾.

ورغم قدم هذا العلم وأهميته البالغة، إلا أن بجاية كغيرها من الحواضر لم ينتشر فيها هذا العلم ، إلا قليلاً،حيث كان المنطق من العلوم المذمومة التي حاربها الفقهاء، وحظروا تعليمه، وجعلوه من العلوم الضارة التي يجب أن تحارب⁽⁴⁾ وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون >> أعلم أن هذا الفن قد اشتد النكير

1 - الغبريني : عنوان الدراية، ص 54 وما بعدها.

2 - المصدر نفسه، ص 241.

3 - ابن خلدون: المقدمة ، ص 613؛ هذه الكتب هي >> المقولات>> و>> العبارة>> و >> القياس>> و>> البرهان>> و >> الجدل>> و >> السفسطة>> و>> الخطابة>> و >> الشعر >>،وقد ترجمت هذه الكتب إلى اللغة العربية، فتداولها فلاسفة الإسلام واهتموا بها ، فشرحوها، ولخصوها، كما فعل الفارابي وابن سينا، ، وابن رشد. ابن خلدون : المصدر نفسه ، ص ص 316،318.

4-عبد المجيد النجار : المهدي بن تومرت حياته وأثاره ، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1983، ص 470.

على انتحاله من متقدمي السلف، والمتكلمين، وبالغوا في الطعن عليه، والتحذير منه، وحظروا تعلمه، وتعليمه»⁽¹⁾.

ويعتبر الغزالي (ت 505هـ / 1111م) أول من أستغل المنطق في خدمة الفقه، حينما ضرب أمثلة على مسائل المنطق من مسائل الفقه، وذلك تبسيطاً له وتسهيلاً لألفاظه ومصطلحاته⁽²⁾.

وقد حاول المهدي بن تومرت (ت 524هـ / 1129م)، نشر الكثير من مسائل المنطق، وذلك باعتماده على مؤلفات ومناهج الغزالي، ففتح بذلك مناخاً للحوار والمناظرة⁽³⁾.

لقد عرفت حاضرة بجاية علم المنطق في القرن السابع الهجري / 13م، وذلك بفضل الانتشار الواسع لمؤلفات الغزالي، وخاصة كتابه "المستصفي" الذي قال الغزالي في مقدمته، << بأن من لا يعرف المنطق لا يوثق بعلمه >>⁽⁴⁾ إضافة إلى انتشار طريقة أبي نصر الفارابي، وفخر الدين الرازي، وابن سينا في تدريس المنطق⁽⁵⁾.

ومن العلماء الذين كان لهم إلمام واهتمام بعلم المنطق بحاضرة بجاية في القرن السابع الهجري / 13م، أبو محمد عبد الحق بن ربيع البجائي (ت 675هـ / 1276م)، وأبو محمد عبد الله بن يحيى الأغماتي (ت آخر القرن السابع الهجري / 13م) وأبو إسحاق إبراهيم بن الخطيب⁽⁶⁾، أما أبا العباس أحمد بن خالد (ت 660هـ / 1261م) فقد كان من أبرز أساتذة المنطق ببجاية يقول عنه الغبريني: << قرأت عليه جملة من الإرشاد، وجملة من المستصفي، وقرأت عليه في بدء أمري بعض معيار العلم في المنطق، وقرأ عليه بعض أصحابنا الإشارات والتببيهاة لابن سينا من فاتحتها إلى خاتمتها >>⁽⁷⁾.

1 - ابن خلدون: المقدمة، ص 316.

2 - عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص 471.

3 - المرجع نفسه، ص 471.

4 - الغزالي: أبو حامد، المستصفي من علم الأصول، ط01، دار الكتاب العربي، 1904م، ج01، ص02.

5 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 309.

6 - الغبريني: المصدر نفسه، ص 86، 184، 197، 201.

7 - الغبريني: نفسه، ص 100.

وكان أبو الحجاج يوسف بن سعيد الجزائري ، يقرأ عليه الطلبة، كتاب << إصلاح المنطق >>، حيث كان له مجلساً، يحضره الكثير من طلبة العلم⁽¹⁾. واشتهر أيضاً أبو الحسن علي ابن إبراهيم الحرالي (ت 638هـ / 1240م)، حيث كان << أعلم الناس بالمنطق ببجاية >>⁽²⁾ على حد قول الغبريني ، ألف كتاباً في هذا العلم سماه "المعقولات الأولى"⁽³⁾.

أما أبا محمد عبد الوهاب بن يوسف (ت 680هـ / 1281م) فقد بلغ شأناً كبيراً في تدريس المنطق ببجاية، وفي شرح كتبه، يصفه الغبريني بقوله: << كان له تحصيل ، ومعرفة ، وبراعة في علم المنطق ، وخصوصاً على طريقة المتأخرين ، ولم يكن في وقته أعلم منه بكتاب <<كشف الأسرار >> الذي وضعه الخونجي ، في علم المنطق، وهو أعلم به من واضعه، مع أخلاق حسان، ونزاهة وعفافة، وعدم الالتفات إلى ما عند الناس >>⁽⁴⁾.

1 - الغبريني: المصدر السابق، ص 103.

2 - المصدر نفسه، ص 146.

3 - نفسه، ص 146.

4 - نفسه، ص 204.

04-العلوم الطبية والعديدية:

أ-علم الطب و الصيدلة:

عرف المسلمون علم الطب من خلال إطلاعهم على كتب القدماء⁽¹⁾ التي ألقت في هذا المجال ، ككتب أبقراط و جالينوس و قد أدى التسامح الذي طبع المسلمين مع غيرهم من الديانات الأخرى ، إلى فتح الباب واسعا للأطباء النصارى وغير المسلمين لأن يزاولوا مهمة الطب ،ويداؤوا مرضى المسلمين و غير المسلمين⁽²⁾.

ولم يكتف الأطباء المسلمون بما وجدوه من كتب الفرس ، أو الاغريق ، حيث لم يلبثوا أن أضافوا إلى هذه المؤلفات الكثير، و صححوا ما ورد فيها من أخطاء ، حيث الحقوا دراسة الطب بالبيمارستانات⁽³⁾،حتى يتمكن الأطباء و المتعلمون لمهمة الطب من تشخيص الحالات المرضية و متابعتها ، والوقوف على تطور المرض، و أعراضه ، وإجراء الفحوص اللازمة⁽⁴⁾.

¹ - يعرف ابن خلدون علم الطب بأنه >> صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض و يصح ، فيحاول صاحبها على حفظ الصحة ، وبراء المرض بالأدوية و الأغذية بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن ، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها ، وما لكل مرض من الأدوية ، مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها ، و على المرض بالعلامات المؤدية بنضجه و قبوله الدواء>>. المقدمة ، ص 619.

² - اعتمد المسلمون أيضا على بعض المؤلفات في الطب والتي كان أغلبها مترجم ، حيث ترجم <<سيرجويه>> اليهودي الفارسي <<كناش أهرون>> إلى العربية ، و أهرون طبيب نصراني عاش قبل الإسلام،و ألف حنين بن إسحاق رسالة في الطب سماها <<مسائل في الطب>> ،كما ألف <<مقالات في العين>>، سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، ص 119.

Gustave le Bon : La Civilisation des arabes , éditions la fontaine au Roy.
paris.1996,p370.

³ - البيمارستان(بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بیمار) معنى مريض أو عليل ،أو مصاب ، (ستان) بمعنى مكان ، أو دار فهي إذا دار المريض ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان، أحمد عيسى بك ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ط 02 ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981، ص 04 .

⁴ - سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص 121.

وارتبط الطب ارتباطاً وثيقاً بالصيدلية التي كانت تهتم بالأدوية ، و العقاقير⁽¹⁾، ومعرفة أنواعها و أجناسها ، حيث كان لزاماً على الطبيب أن يكون عارفاً بتراكيب الأدوية و إعداد العقاقير⁽²⁾.

لقد عرفت حاضرة بجاية في القرن السابع الهجري /13م ، الطب و الصيدلة ، حيث يذكر الغبريني أن الأبحاث العلمية في مجال الطب و الصيدلة ، كانت جارية على القوانين النظرية ، و الاستدلالات الجلية⁽³⁾ .

ومن العلماء البجائيين أوالوا فدين عليها ، و الذين اشتغلوا بمهنة الطب أبو العباس أحمد بن خالد المالقي (ت 660 هـ / 1261 م) ،الذي كان له اهتمام كبير بعلم الطب ، حيث كان له مجلس للتدريس بمنزله ببجاية⁽⁴⁾، و أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشاطبي (ت 691 هـ/1291م) ، و أبو عبد الله بن يحيى بن عبد السلام (ت القرن السابع الهجري /13 م) الذي كان له علم بالطب⁽⁵⁾.

واشتهر بحاضرة بجاية الطبيب أبو القاسم محمد بن اندراس(ت 674هـ/1275م)حيث اشتغل بمهنة الطب رفقة تلميذه الغبريني ،الذي كان يساعده في ذلك ، حيث يقول عنه " تبسط للطب طبيباً باحثاً جيداً ، وكانت له حدة ذهن ، وجودة ،تبسط لإقراء الطب ، و كان يحضر لذلك نبهاء الطلبة ، و تجري فيها من الأبحاث ما يعجز الكتب عنه"⁽⁶⁾.

¹ - من العلماء المسلمين في ميدان الصيدلية ، أبو منصور موفق بن علي الهروي (القرن الرابع الهجري / 10 م)الذي ألف كتاب << الأبنية عند حقائق الأدوية>> ، حيث وصف فيه نحو 600 دواء ، و اشتهر بمصر الصيدلاني ماسويه المارديني (ت 406هـ / 1015 م) ،الذي كان حجة في معرفة الادوية و الصيدلة ، و ترجمت مؤلفاته في هذا العلم الى اللاتينية.سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص 126، مورييس لومبار:الإسلام في مجده الأول ، ط 01 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 287.

² -أحمد عبد الرزاق أحمد : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، دط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1990 ، ص 32.

³ - الغبريني : عنوان الدراية ص 102 .

⁴ - Lucien Leclerc: Histoire De La Médecine Arabe, Tom:01,Imprimerie De Fedala,Mohammedia,Marok,1980,p252.

⁵ - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 100 ، 126 ، 294 .

⁶ - الغبريني : المصدر نفسه ، ص 102؛ برنشفيك :تاريخ افريقية في العهد الحفصي ، ج 02 ، ص 389 .

لقد تولى ابن اندراس ببجاية طب الولادة ، وكان إذا سئل عن المسألة الطبية ، لا يتسرع بالإجابة عنها ، بل يترث و يتحقق، وعند ذلك يجيب ، و هذا هو حال حذاق الأطباء كما يقول الغبريني (1).

لقد بلغ ابن اندراس درجة عالية ، و شأننا عظيما في الطب ، ما جعل السلطان الحفصي المستنصر بالله ، يدعو له لينتقل إلى تونس ، ليكون أحد أطبائه ، و يواصل التدريس بالمؤسسات العلمية بتونس(2).

وقام ابن اندراس بوضع أرجوزة في أسماء الأدوية الطبية(3) ، حيث كلف الغبريني بمساعدته في هذا الأمر(4) والسؤال الذي يطرح نفسه ، في هذا المقام، لماذا استعان ابن اندراس بالغبريني ، في إعداده لهذا الرجز؟.

الظاهر أن تكليف ابن اندراس للغبريني بنظم بعض الأدوية يتعلق بحاجة الطبيب إلى معرفة الأعشاب و الحشائش الطبية التي كانت تتواجد ببجاية ، و لا سبيل لمعرفة إلا بالاستعانة بأحد أبناء البيئة البجائية ، إضافة إلى وجود العديد من النباتات الطبية المهمة جدا ببجاية في ميدان الطب ، و الصيدلة ، و التي ذكرها الجغرافيون ، كالإدريسي الذي يذكر أن بجاية تحتوي على أنفوس وأجود الأعشاب الطبية مثل : شجر الحضض ، السقولوفندوريون(Scolopendre)، و البرباريس(Berberis)(5)، والقنطاريون الكبير(Le Grand centaure)(6)، و الزراوند(Arestolochia)(7)، والقسطوس (Le costus)، والأفسنتين(La bsinth)(8).

1 - الغبريني عنوان الدراية ، ص 102.

2 - Brunchvic :La berbérie orientale sous les Hafside ,Tome : 02 ; p 370.

3 - Lucien Leclerc: Histoire De La Médecine Arabe, Tom:01,p252.

4- الغبريني : عنوان الدراية ، ص 102.

5- نبات أعصانه هشة سريعة الانكسار، أزهاره صفراء، خصائصه فاتح للشهية، هاضم، ومنشط. حسان قبيسي: معجم الأعشاب والنباتات الطبية، ط03، دار الكتب العلمية ببيروت، 1998، ص97.

6 - تكمن فائدته في جذوره ، وفي الحراشف الهزيلة التي تؤكل، وكذلك في أزهاره وأوراقه التي لها خصائص طبية، خافضة للحمى ومنتشطة. حسان قبيسي: المرجع نفسه، ص:276.

7- نبات معمر يعشق الحرارة والتربة الكلسية، خصائصه شاف للجروح، المرجع نفسه، ص:174.

8- الإدريسي : أبو عبد الله الشريف : القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق ، إسماعيل العربي ، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 ، ص 161.

ب - الرياضيات:

أولى علماء العرب والمسلمين للعلوم الرياضية عناية خاصة لأن هذا العلم يعتبر بحق عصب الحضارة ، وحجر الأساس للبناء التعليمي، و تطلق الرياضيات على مجموعة من العلوم التي تتعلق بالأعداد ، كالحساب ، والجبر و الفرائض ، والعلوم الهندسية ، ويعرفها ابن خلدون بقوله "هو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف ، إما على التوالي ، أو بالتضعيف ، و من فروعها علم الحساب ، و هو يهتم بحساب الأعداد ، بالضم و التفريق و الجمع و القسمة ، و من فروعها أيضا الجبر و المقابلة ، التي تهتم باستخدام العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض ، إذا كانت بينها نسبة تقنضي ذلك ، الى غير ذلك من فروعها" (1).

ولم يكتف علماء الرياضيات، بما وجدوه في كتب الهنود ، خاصة في علم الحساب ، حيث قاموا بتطوير الأرقام الهندية (2) و عدلوها ، حتى أصبحت تتخذ في النهاية الأشكال المعروفة حاليا : 9.8.7.6.5.4.3.2.1 ، و هي التي شاع انتشارها فيما بعد في كامل العالم الإسلامي (3).

ومن أشهر علماء المسلمين في مجال الحساب: محمد بن موسى الخوارزمي (164 - 235 هـ / 780 - 850 م) (4) الذي ألف كتاب <<حساب الجبر و المقابلة>> حيث شرح فيه نظام الحساب، و التحليل العددي (False positions)، و قد ترجم هذا الكتاب الى اللغة اللاتينية في القرن السادس الهجري / 12 م (5).

لقد كانت حاضرة بجاية سباقة في احتضان العلوم الرياضية ، و أهمها الحساب ، خاصة في القرن السادس الهجري / 12 م ، حيث كانت بجاية مقصدا

1- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 605 ، 609 .

2- كان للهنود دور كبير في تطوير علم الحساب ، حيث كونوا أرقاما، و التي تعرف اليوم بالأرقام الهندية : ١.٢.٣.٤.٥.٦.٧.٨.٩. كما كانت لهم أرقاما أخرى ، تعرف بالأرقام الغبارية ، حيث كان للهنود غبار لطيف ، يبسطونه على لوح من الخشب ، و يرسمون عليه الأرقام التي يحتاجون إليها في عملياتهم الحسابية . أحمد عبد الرزاق أحمد : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص 34 .

3- المرجع نفسه ، ص 51 .

4- Seyyed Hossein Nasr: Sciences et Savoir en Islam, paris, 1979, p106.

5- علي بن عبد الله الدفاع : روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم ، ط 01 ، مؤسسة الرسالة ، 1998 ، ص 77.

للطلاب ، و قد ذكر الغبريني بعد أن ترجم لأبرز أعلام القرن السادس الهجري / 12 م ، أن بجاية "بقي بها خلو كثير من أهل المائة السادسة ممن لهم جلال و كمال ، و لكن شرط الكتاب منع ذكرهم ، و قد مضى منه قول الشيخ أبي علي المسيلي : أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا ، وإذا كان من المفتين تسعون فكم يكون من المحدثين و من النحاة و الأدباء و غيرهم" (1).

لقد كانت بجاية أثناء هذا العصر الذي تكلم عنه المسيلي مقصدا لطلاب العلم الأوروبيين ، ففيها تعلم العالم الرياضي الشهير الايطالي <ليوناردو فبوناتشيو> ، الذي و لد بمدينة بيزا الايطالية ، حوالي سنة (571 هـ / 1175م) (2) ، و الذي كان أبوه فبوناتشيو رئيسا للمركز التجاري البيزي ، حيث وفد ليوناردو و هو شاب على حاضرة بجاية ، فأوكله والده لأحد أساتذة الرياضيات ، لتعليمه الحساب ، و الرياضيات ، و قد ساعده في ذلك تأقلمه مع الوسط البجائي خاصة فئة التجار و الحرفيين ، حيث تعلم و أخذ عنهم طرق العد السريع ، باستخدام الأرقام الهندية الغبارية ، التي لم تكن معروفة لدى الاوروبيين آنذاك (3).

وتعلم ليوناردو ، كذلك استعمال رقم الصفر في الحساب ، كما انتقل إلى عدد من الحواضر الأخرى كصقلية و مصر و الشام ، لاكتساب خبرات و معارف أخرى في علم الحساب والرياضيات (4) ، ثم انتقل ليوناردو إلى التأليف فوضع <كتاب العد> سنة : (599 هـ / 1202 م) ، ثم ألف كتاب <الهندسة التطبيقية> سنة : (617 هـ / 1220 م) (5).

لقد كان ليوناردو من ابرز العلماء الذين نقلوا علم الرياضيات الى أوروبا ، حيث نقل الأرقام الغبارية ، و الصفر، و نقل الطريقة العشرية في الحساب و الجبر و الهندسة الى أوروبا (6).

1- الغبريني : عنوان الدراية ، ص 85.

2- أحمد حماني : عباقرة من رجالنا تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية ، مجلة الأصالة ، العدد 19 السنة (4) ، مارس ، أبريل ، 1974 ، ص 249 .

3- عبد الوهاب منصور : أعلام المغرب العربي ، ج 03 ، ص 262 .

4- المرجع نفسه ، ج 03 ، ص 262 .

5- يحيى بوعزيز : تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999 ، ج 01 ، ص 165.

6 -مولود قاسم ، بجاية لقتت أوروبا الرياضيات بلغة العروبة ، مجلة الثقافة ، العدد (89) ، 1985 ، ص 39.

وعرفت بجاية في القرن السابع الهجري/13م عالما آخرًا من علماء الحساب ، هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القلعي(ت 660هـ/ 1261م) ،الذي كان بارعا في الحساب يصفه الغبريني بقوله : "كان له علم بالحساب سبق فيه الأوائل ، و كان له مجلسا للإقراء ، حيث كان يقصد من البلاد لقراءة هذا العلم عليه"⁽¹⁾.

وصفوة القول أن إسهامات علماء بجاية في ميدان العلوم العقلية و العددية كانت ضعيفة مقارنة بدورهم في العلوم النقلية ، كما أن اهتمام الغبريني كان منصبا على الترجمة لعلماء العلوم الشرعية و اللغوية أكثر، وهذا ما يبدو جليا من خلال كتابه عنوان الدراية.

¹ - الغبريني : عنوان الدراية ، ص 227.

الفاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وكان للرحلة العلمية دورها البارز في تكوين الفقهاء والعلماء والأدباء، وتوسيع معارفهم وعلومهم، من خلال احتكاكهم بأجود الشيوخ والأساتذة، من مختلف الحواضر ومن خلال إقامة العلاقات والروابط، التي أدت إلى التواصل بين الأوطان والأجيال.

ويعد التعليم عاملاً مهماً وأساسياً في دفع الحركة العلمية والفكرية، وتوسيع رقعتها، وانتشارها في المجتمع البجائي، فقد لعبت المدارس والمعاهد والكتاتيب، والزوايا دوراً فعالاً في تطوير التعليم، فكانت هذه المعاهد والمدارس المكان الذي يجمع الطلبة بأجود الأساتذة والشيوخ والمعلمين، كما عرفت بجاية أنواعاً مختلفة من أنواع التعليم، كالتعليم الشعبي الذي كان موجهاً إلى العامة بهدف إيصالهم إلى الحد الأدنى من فهم المعارف الدينية التي تتيح لهم معرفة أحكام الدين.

كما عرفت بجاية التعليم الاحترافي الذي كان موجهاً إلى النشأ، والذي يهدف إلى تكوينهم تكويناً علمياً أكاديمياً، فكان هذا النوع مقسماً إلى فترات أو مراحل، المرحلة الأولى، وهي المرحلة الابتدائية الموجهة للأطفال، والتي كانوا يمارسونها في الكتاتيب، والمرحلة الثانية التي تلي مرحلة الدراسة بالكتاب، ويكون هذا النوع من التعليم بالمساجد والمدارس.

أما المرحلة الثالثة من التعليم التي عرفت بجاية فهي مرحلة التخصص، والتي كانت تتسم بالتعمق والتخصص في دراسة العلوم، والتي يمكن أن نقارنها اليوم بمرحلة التعليم العالي.

واهتم الشيوخ والمعلمون بجاية بطرق ومناهج التعليم، كالتدرج في تلقين العلوم، واختيار المواضيع والمقررات المراد تدريسها، كما كانت جميع طرق التدريس معتمدة في مدارس بجاية كالتلقين وطرق الحفظ والتقيد، والمناقشة والمحاورة، والإلقاء والشرح.

وعرفت بجاية أيضاً في القرن السابع الهجري/13م، تعليم المرأة، حيث ظهرت الكثير من النساء العالمات كعائشة البجائية، واللاتي كان لهن دوراً بارزاً في النهوض بالحركة العلمية والفكرية.

كما كان طلبة بجاية يتوجون في آخر مرحلة الدراسة، بشهادات يمنحها لهم أساتذتهم وشيوخهم، حيث كانت هذه الشهادات تعرف بالإجازة العلمية، فكانت تدل على المستوى العلمي الرفيع الذي وصل إليه الطلبة بعد سنوات من الاجتهاد والمثابرة.

وفيما يخص إسهامات هؤلاء العلماء وجهودهم في العلوم الدينية، من تفسير القرآن الكريم، وعلوم الحديث، والفقه، والأصول، فقد ساهموا فيها مساهمة فعالة من خلال تدريس هذه العلوم، والتأليف فيها، فازدهرت العلوم الفقهية، بجميع مذاهبها خاصة الفقه المالكي الذي أولى له علماء بجاية الاهتمام البالغ، وذلك بشرح مؤلفاته وإيضاحها وتدريسها، والتعليق عليها.

وانصب الاهتمام أيضاً على علوم القرآن والتفسير، حيث شكل القرآن الكريم، ودراسة علومه، وحفظه، وتفسيره، اهتماماً بالغاً لعلماء بجاية، وطلبتها، كونه كلام الله المنزل، ودستور الأمة، حيث كان الاعتناء به كبيراً وذلك من خلال التدريس والتصنيف في علومه، كعلم القراءات والتفسير.

وازدهرت أيضاً علوم الحديث بصفته المصدر الثاني من مصادر التشريع، وذلك بدراسة الأسانيد، ومعرفة الرواد وأسماهم، وأحوالهم وطبقاتهم، حيث أبدع علماء بجاية في القرن السابع الهجري/13م في هذا العلم، وذلك بتدريسه، والتصنيف فيه.

أما التصوف، فقد كان منتشراً ببجاية، بمختلف أنواعه واتجاهاته، وتياراته، حيث عرفت بجاية حركة الزهد، والتصوف مبكراً، نتيجة الكثير من العوامل السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي كان لها الأثر البالغ في ظهور الحركة الصوفية وتطورها، ودافعاً قوياً لازدهار التصوف، حيث اتجهت الحركة الصوفية في مدرستين، المدرسة الصوفية السنية التي أمتاز أصحابها بالالتزام بالقرآن والسنة النبوية، والابتعاد عن الخوض في القضايا الفلسفية، وذلك بالدعوة إلى الله، والتفكير في اليوم الآخر، والزهد عن الدنيا، فكان تصوفهم قريباً ومفهوماً لدى العامة، وجميع طبقات المجتمع البجائي .

أما المدرسة الثانية فهي المدرسة الفلسفية، والتي أمتاز أصحابها إلى جانب التزامهم بالكتاب والسنة، امتازوا أيضاً بمجاهدة النفس بالصيام، والقيام، والمجاهدات النفسية، حيث كان أصحاب هذا المذهب يعبرون عما يجدونه من أحوال، وأسرار بعبارات غامضة، أو فلسفية، تعكس أحوالهم وآرائهم في التصوف.

كما ساهم هؤلاء الصوفية في كلا المدرستين، في النهوض بالحركة العلمية والثقافية ببجاية وذلك بالمساهمة في التدريس، وكذلك التأليف، والمشاركة أيضاً في حل قضايا ومشاكل المجتمع البجائي وذلك من خلال دروس الوعظ والإرشاد التي كان الصوفية يقيمونها في مساجد بجاية .

وبرع علماء بجاية أيضا في علوم اللغة العربية و آدابها ،حيث توسعوا في دراسة اللغة العربية ،وعلم البيان ،وساهموا في الإنتاج الأدبي من خلال إبداعهم في ميدان النثر بأشكاله المختلفة كالرسائل الإخوانية،والرسائل الرسمية أو الديوانية ومساهماتهم أيضا في الارتقاء بفن الشعر بجميع أنواعه مثل القصائد النبوية ،وشعر التوسلات و الابتهالات ،وقصائد المدح ، والوصف ،و الشعر الصوفي بنوعيه السني و الفلسفي.

وفيما يتعلق بجهودهم في العلوم الاجتماعية والعقلية و العددية كالتاريخ ، وعلم المنطق ،و الطب و الصيدلة و الرياضيات فكان لعلماء بجاية نصيبا معتبرا في دراستها ،والتأليف فيها ،فأثروا بذلك الساحة العلمية و الفكرية و الثقافية ،و دفعوا بهذا العلوم نحو الارتقاء و الازدهار بالرغم من أن الاهتمام الأكبر كان منصبا على العلوم الدينية و اللغوية .

ملحق رقم: (01) قائمة السلاطين الحفصيين وتواريخ حكمهم

الرقم	اسم السلطان	سنوات الحكم	المدة التقريبية
01	أبو زكرياء بن يحيى الأول	647-626هـ / 1249-1229م	21 سنة
02	أبو عبد الله المستنصر	675-647هـ / 1277-1249م	28 سنة
03	أبو زكرياء يحيى الواصل	678-675هـ / 1279-1277م	03 سنوات
04	أبو إسحاق إبراهيم الأول	681-678هـ / 1283-1279م	03 سنوات
05	الدعي أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة	683-681هـ / 1284-1283م	سنتان
06	أبو حفص عمر	694-683هـ / 1295-1284م	11 سنة
07	أبو عبد الله أبو عبيدة	709-694هـ / 1309-1295م	15 سنة
08	أبو يحيى أبو بكر الشهيد	709هـ / 1305م	شهران
09	أبو البقاء خالد الأول	711-709هـ / 1317-1311م	سنتان
10	أبو يحيى زكرياء بن اللحياني	717-711هـ / 1317-1311م	16 سنة
11	أبو عبد الله أبو ضربة	718-717هـ / 1318-1317م	سنة واحدة
12	أبو يحيى أبو بكر	747-718هـ / 1346-1318م	29 سنة
13	أبو العباس أحمد الأول	747هـ / 1346م	04 أشهر
14	أبو حفص عمر الثاني	748-747هـ / 1347-1346م	سنة واحدة
15	أبو الحسن المريني	750-748هـ / 1350-1347م	سنتان
16	أبو العباس أحمد الفضل	751-750هـ / 1350-1350م	سنة واحدة
17	أبو إسحاق إبراهيم الثاني	770-750هـ / 1369-1350م	20 سنة
18	أبو البقاء خالد الثاني	772-770هـ / 1370-1369م	سنتان
19	أبو العباس أحمد الثاني	796-772هـ / 1394-1370م	24 سنة
20	أبو فارس عبد العزيز	837-796هـ / 1434-1394م	41 سنة
21	أبو عبد الله محمد المنتصر	839-837هـ / 1488-1434م	سنتان
22	أبو عمرو عثمان	895-839هـ / 1498-1488م	55 سنة
23	أبو زكرياء يحيى الثالث	895-894هـ / 1489-1488م	سنة واحدة
24	عبد المؤمن	895هـ / 1489م	شهران
25	أبو يحيى زكرياء الثاني	899-895هـ / 1494-1489م	04 سنوات
26	أبو عبد الله محمد الخامس	932-899هـ / 1526-1494م	33 سنة
27	الحسن	950-932هـ / 1543-1526م	18 سنة
28	أحمد الثالث بن الحسن	976-950هـ / 1569-1543م	26 سنة
29	محمد السادس بن الحسن	982-980هـ / 1574-1572م	سنتان

الملاذق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم: (02) جدول يمثل ولاية بجاية الحفصيين في القرن السابع
الهجري/13م

الرقم	اسم الوالي	سنوات الحكم	المدة التقريبية
01	أبو عبد الله محمد اللحياني	627-633هـ/1230-1236م	06 سنوات
02	أبو يحيى زكرياء ابن الأمير أبي زكرياء يحيى	633-646هـ/1236-1249م	13 سنة
03	أبو هلال عياد بن سعيد الهنناتي	660-673هـ/1275-1279م	13 سنة
04	محمد ابن أبي هلال	673-678هـ/1275-1279م	05 سنوات
05	عبد الحق بن تافاركين	سنة 678هـ/1279م	أقل من سنة واحدة
06	أبو فارس بن السلطان أبي إسحاق بن أبي زكرياء	679-682هـ/1280-1283م	03 سنوات

ملحق رقم: (03) مشاركة العلماء الذين ترجم لهم الغبريني في الخطط
الدينية⁽¹⁾

عدد أصحاب الخطط الدينية حسب الفئات، ونسبتهم من مجموع العلماء المستوطنين ببجاية		عددهم حسب الخطط ونسبتهم حسب الفئات. من مجموع المتولين للخطة							
العلماء الذين ترجم لهم الغبريني في كتابه العنوان	عدد الذين استوطنوا ببجاية	العلماء الذين تولوا خططا دينية		القضاء		العدالة		الإمامة	
		العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
منتسبون إلى بجاية وضواحيها	26	11	20%	07	23.33%	02	11.76%	02	25%
مغاربة	36	24	43.63%	14	46.66%	08	47.05%	02	25%
أندلسيون	39	18	32.72%	08	26.66%	06	35.29%	04	50%
مشاركة أو لا نعرف أصلهم	08	04	3.63%	01	3.33%	01	5.88%	00	00%
المجموع	109	55	100%	30	100%	17	100%	08	100%

¹ - الغبريني: عنوان الدراية، ص 52 وما بعدها؛ صالح بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، ص 426.

ملحق (04): توزيع تراجم عنوان الدراية على مختلف العلوم حسب أصولهم

مجموع العلوم التي ذكرها الفريسي في عنوان الدراية												الطماء الذين ترجم لهم الفريسي حسب أصولهم (109 شخصية علمية)			
العلوم العددية	الطب والصيالة		المنطق		التاريخ		اللغة العربية وأدبها		التصوف		العلوم الدينية				
	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة		العدد		
%100	01	%25	01	%50	03	%60	03	%45.45	10	%47.36	09	%57.69	30	علماء بجاية والمغرب الأوسط	
%00	00	%50	03	%33.33	02	%40	02	%45.45	10	%42.10	08	%28.84	15		العلماء الأندلسيون
%00	00	%00	00	%16.66	01	%00	00	%04.54	01	%10.52	02	%05.76	03		العلماء المغاربة
%00	00	%00	00	%00	00	%00	00	%04.54	01	%00	00	%07.69	04	العلماء المشاركة	
%0.01	01	%03.66	04	%05.50	06	%04.58	05	%20.18	22	%17.43	19	%47.70	52	المجموع	

النسبة المئوية العامة: 100% المجموع العام: 109 شخصية علمية

صفيحة

ملحق 05: ملخص عام لكتاب عنوان الدراية

الرقم	اسم العلامة	أبرز العلوم التي اشتهر بها	تاريخ الوفاة	أهم المصنفات	الصفحة في عنوان الدراية
01	أبو مدين شعيب.	التصوف.	594هـ/1197م.	- استكمال القصد في شرح أرجوزة ابن رشد. - التنكرة في أصول علوم الطب. - النبراس في الرد على منكر القياس. - الفكر فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات.	55
02	أبو علي المسيلي.	الفقه ، التصوف.	القرن 06هـ/12م.	- الأحكام الكبرى في الحديث. - الأحكام الصغرى في الحديث. - كتاب التهجد . - اختصار الرشاطي . - الحاروي في اللغة. - العاقبة في ذكر الموت. - تلقين الوليد في الحديث.	66
03	أبو محمد عبد الحق الاشبيلي.	علوم الحديث.	582هـ/1186م.		73

76	- ديوان قصائد.	القرن 06هـ/12م.	اللغة العربية وآدابها.	أبو الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الحسني.	04
80	/	القرن 07هـ/13م.	التصوف .	أبو عبد الله العربي.	05
83	/	598هـ/1201م.	الفقه	أبو الفضل بن محمد القيسي.	06
85	/	675هـ/1276م.	الفقه،	أبو محمد عبد الحق الأنصاري.	07
91	/	686هـ/1287م.	الحديث.	أبو محمد بن عمر بن مخلوف.	08
93	/	669هـ/1270م.	الفقه.	أبو محمد عبد الله بن عبادة القلعي.	09
94	-الموضح في علم النحو. - حقوق العيون في تفقيح القانون - نشر الخفي في مشكلات أبي علي.	673هـ/1274م.	اللغة العربية و علومها.	أبو عبد الله محمد بن ميون القلعي.	10

100	/	1261م / 660هـ	الفقه .	أبو العباس أحمد بن خالد المالقي .	11
101	- رجز خاص بعلم الطب .	1275م / 674هـ	الطب	أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي .	12
103	- ديوان شعر .	13م / 7م / 607هـ	اللغة العربية وآدابها .	أبو الحجاج يوسف بن يخلف الجزائري .	13
104	- ديوان شعر .	1299م / 699هـ	اللغة العربية وآدابها .	أبو عبد الله محمد الكناشي الشاطبي .	14
108	- ألف كتاب في مرسوم الخط . - كتاب حول أحكام الترتيل على رواية ورش .	1275م / 674هـ	القراءات .	أبو العباس أحمد بن خضر الصديقي الشاطبي .	15
112	/	1283م / 682هـ	أصول الفقه .	أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري .	16

114	/	1291/هـ 691م.	الفقه .	أبو القاسم بن زيتون .	17
	/	1276/هـ م.	الفقه .	أبو القاسم أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي .	18
119	ديوان شعر .	1278/هـ 677م.	التصوف .	أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن محجوبة السطيفي .	19
121	/	1291/هـ 691م.	التصوف .	أبو الحسن عبد الله بن يحيى الأزدي .	20
122	/	1281/هـ 680م.	أصول الفقه .	أبو محمد عبد المجيد الطرابلسي .	21
123	/	1271/هـ 670م.	الفقه .	أبو محمد عبد المنعم الغساني الجزائري .	22
126	- شرح الجزولية .	1291/هـ 691م.	اللغة العربية .	أبو عبد الله محمد الشاطبي .	23
129	- مجموعة قصائد .	1293/هـ 693م.	التصوف .	أبو العباس أحمد الغفاز الأنصاري البلسي .	24

132	/	القرن 07هـ/13م.	التصوف .	أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم التلمساني.	25
133	/	القرن 07هـ/13م.	التصوف.	أبو الحسن بن محمد الزرواوي.	26
135	/	611هـ/1214م.	التصوف.	أبو زكرياء يحيى الزرواوي.	27
140	/	القرن 07هـ/13م.	الفقہ.	أبو عبد الله محمد بن عبد الله القلعي.	28
141	/	القرن 07هـ/13م.	التصوف.	أبو محمد عطية الله الزرواوي.	29
142	/	652هـ/1254م.	علوم الحديث.	علي بن أبي نصر البجائي.	30
145	- شمس مطالع القلوب ووبر طوابع الغيوب. - صلاح العمل لانتظار الأجل. - ديوان أشعار.	638هـ/1240م.	التصوف.	أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي.	31

158	<ul style="list-style-type: none"> - الفترحات المكية. - فصوص الحكم. - مواقع النجوم. - مطالع أهلة أسرار العلوم. - كتاب الوصايا. - عنقاء المغرب في صفة ختم الأولياء وشمس المغرب. 	1240م/638هـ	التصوف.	محي الدين بن عربي.	32
161	/	1263م/662هـ	التصوف.	أبو الفصل قاسم بن محمد القرطبي.	33
165	/	القرن 13هـ/13م.	التصوف.	أبو زكرياء المرجاني.	34
166	/	القرن 13هـ/13م.	التصوف.	تقي الدين الموصللي.	35
168	/	القرن 13هـ/13م.	أصول الدين.	أبو العباس الجدي الشريف.	36
169	/	القرن 13هـ/13م.	التصوف.	أبو النجم هلال بن يونس الغبريني.	37

170	/	القرن 13هـ/13م.		الفقّه.	أبو عبد الله محمد بن علي القصري.	38
171	/	1246هـ/13م.		الفقّه.	أبو العباس أحمد بن عثمان الملياني.	39
173	/	القرن 13هـ/13م.		الفقّه.	أبو عبد الله بن شعيب	40
176	/	1244هـ/13م.		الفقّه.	أبو الحسن عبد الله بن محمد النفري.	41
177	/	القرن 13هـ/13م.		أصول الدين.	أبو عبد الله الشريف	42
178	/	القرن 13هـ/13م.		الفقّه.	أبو الحسن علي بن الزيات.	43
179	/	القرن 13هـ/13م.		التصوف.	أبو تمام الراعظ الوهراني.	44
180	/	1291هـ/13م.		التصوف.	أبو علي عبد المحسن الوجيهاني.	45
181	/	1258هـ/13م.		الفقّه.	أبو الحسن علي بن أحمد الأشبيلي.	46

182	/		1287هـ/686م.	اللغة العربية وآدابها.	أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون الزواوي.	47
183	/		1188هـ/584م.	الفقه.	أبو تميم ميمون بن خلفون البردوي.	48
184	/		1215هـ/612م.	الفقه.	أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري.	49
187	/		13هـ/7م.	الفقه.	أبو العباس محسن بن أبي بكر بن شعبان.	50
188	/		13هـ/7م.	الفقه.	أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك القلعي.	51
189	/		13هـ/7م.	علوم الحديث.	أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي.	52
190	/		13هـ/7م.	أصول الدين.	أبو عبد الله بن أمة الله.	53
191		ديوان شعر.	13هـ/7م.	اللغة العربية وآدابها.	أبو جعفر بن أمية.	54
192		ملوك بني عبيد وسيرتهم.	1242هـ/640م.	التاريخ.	أبو عبد الله الصنهاجي	55

193	- شرح مقصورة ابن دريد.	628هـ/1230م.	علوم الحديث.	أبو محمد عبد الحق الأزدي.	56
194	/	القرن 13هـ/13م.	الفقه.	أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن الطير.	57
195	/	القرن 13هـ/13م.	الفقه.	أبو زيد عبد الرحمن الصقلي.	58
196	ديوان شعر.	القرن 13هـ/13م.	اللغة العربية وأدبها.	أبو محمد عبد الله بن يحيى الأغماتي.	59
198	/	القرن 13هـ/13م.	أصول الدين.	أبو عثمان سعيد بن عبد الله المعروف بالجميل.	60
198	/	القرن 13هـ/13م.	الفقه.	أبو علي عمر بن مالك المرساوي.	61

199	/	1271م / 670هـ	التصوف.	أبو الحسن علي بن عمران بن موسى الملياني.	62
200	/	1230م / 731هـ	الفقه.	أبو علي منصور بن أحمد المشدالي.	63
201	ديوان شعر.	13م / 07هـ القرن	التصوف.	أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن الخطيب.	64
204	/	1281م / 680هـ	أصول الدين.	أبو محمد عبد الوهاب بن عبد القادر.	65
205	ديوان شعر.	13م / 07هـ القرن	اللغة العربية وآدابها.	أبو زيد عبد الرحمن بن أبي دلال.	66
209	/	1212م / 609هـ	التصوف.	أبو محمد عبد الحق بن سبعين.	67
210	ديوان شعر.	1269م / 668هـ	التصوف.	أبو الحسن علي النميري الششتري.	68
213	/	13م / 07هـ القرن	الفقه.	أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الخطيب.	69

214	/	1320هـ/720م.	القرن.	أبو محمد عبد الله بن أبي أحمد التميمي.	70
215	/	1242هـ/640م.	القرن.	أبو محمد عبد الله بن حجاج الجزائري.	71
216	/	13هـ/7م.	القرن.	أبو محمد عبد الكريم الحسني.	72
217	/	13هـ/7م.	القرن.	أبو عبد الله محمد بن أحمد الأريسي.	73
218	/	13هـ/7م.	القرن.	أبو علي عمر بن عزون السلمي.	74
218	/	13هـ/7م.	القرن.	أبو الحسن علي بن عبد الله البورني.	75
219	/	13هـ/7م.	القرن.	أبو عبد الله محمد بن الحسين الجبائي.	76
220	/	13هـ/7م.	القرن.	أبو زكرياء المهدي.	77
222	/	13هـ/7م.	القرن.	أبو إسحاق بن العرافة.	78
222	/	13هـ/7م.	القرن.	أبو سعيد الدكالي.	79
223	/	13هـ/7م.	القرن.	أبو زيد عبد الرحيم اليزباني.	80

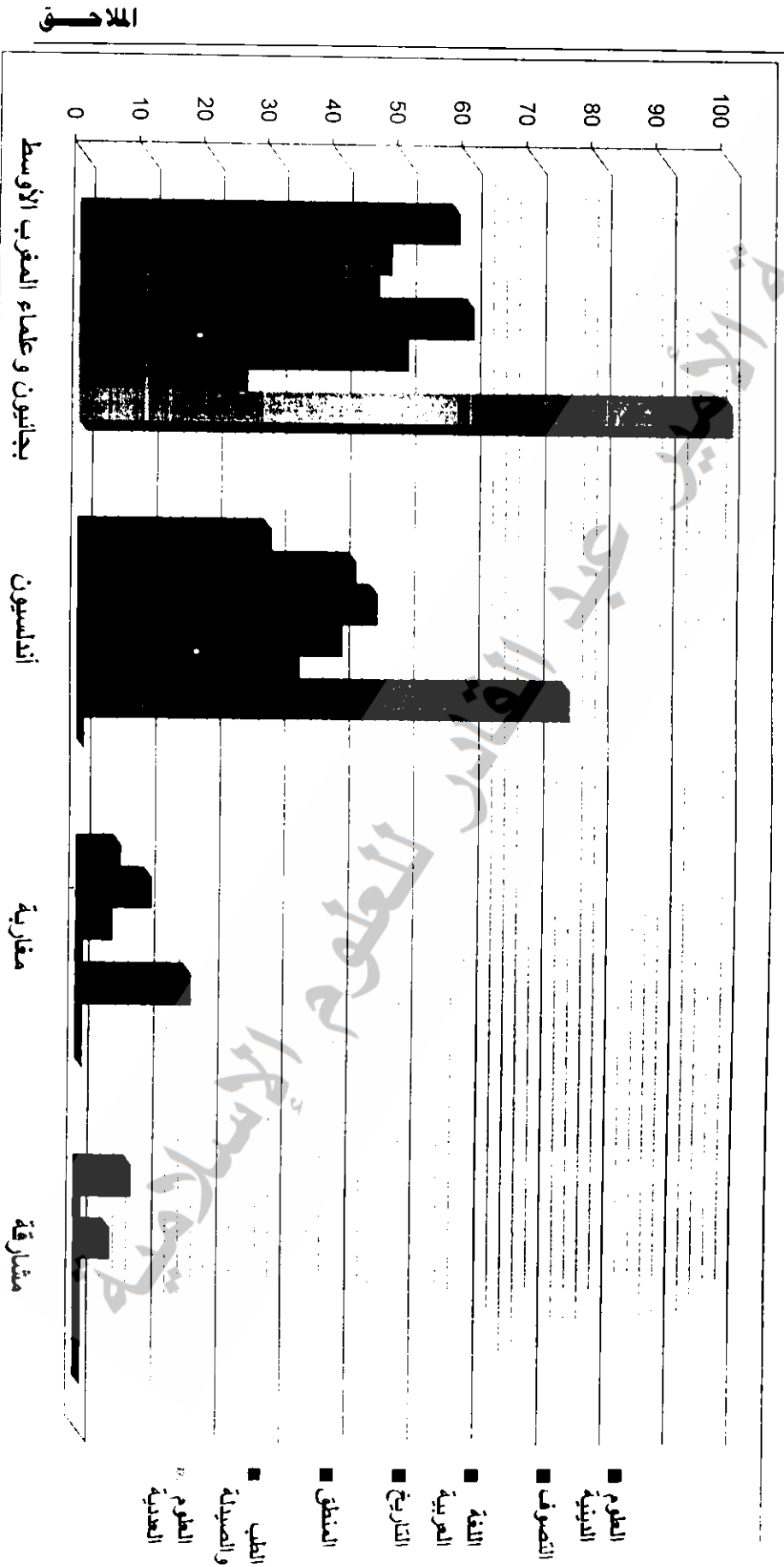
224	/	القرن 7هـ/13م.	القرن	الفقه.	أبو زكرياء يحيى القفطي.	81
225	/	القرن 7هـ/13م.	القرن	الفقه.	أبو سليمان داود الوجهاني.	82
225	/	629هـ/1231م.		الفقه.	أبو القاسم عبد الرحمن الجزائري.	83
226	/	690هـ/1291م.		الفقه.	أبو يوسف الزرواري المنجلاتي.	84
227	/	660هـ/1261م.		علم الفرائض.	أبو عبد الله محمد القاضي.	85
228	/	660هـ/1261م.		الفقه.	أبو علي عمر بن أحمد العمري البجائي.	86
228	- تصنيف في علوم الحديث. - ديوان شعر.	633هـ/1235م.		علوم الحديث.	أبو الخطاب عمر بن الحسن.	87
239	- ديوان شعر.	7هـ/13م.	القرن	اللغة العربية وآدابها.	أبو الربيع سليمان الاندلسي.	88
241	/	7هـ/13م.	القرن	الفقه.	أبو عبد الله الوعليسي.	89

241	/	1257م / 655هـ	الفتنة.	أبو بكر محمد الزهرري البانسني.	90
245	/	1256م / 654هـ	الفتنة.	أبو عثمان سعيد الانصاري البانسني.	91
246	/	1260م / 659هـ	الفتنة.	أبو بكر محمد بن أحمد الاشيبلي.	92
250	- مجموعة رسائل وأشعار.	1259م / 658هـ	اللغة العربية وآدابها.	أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي	93
254	/	1281م / 680هـ	اللغة العربية وآدابها.	أبو عثمان سعيد بن عبد الغني القرشي.	94
255	/	13م / 07هـ	اللغة العربية وآدابها.	أبو علي الحسن بن معمر.	95
257	- اللجين في مرثي الحسين. - ديوان شعر. - مجموعة من الرسائل السلطانية والإخوانية.	1259م / 658هـ	اللغة العربية وآدابها.	أبو عبد الله محمد بن الأبار.	96
262	- ديوان شعر.	13م / 07هـ	الفتنة.	أبو محمد عبد الله بن علوان	97

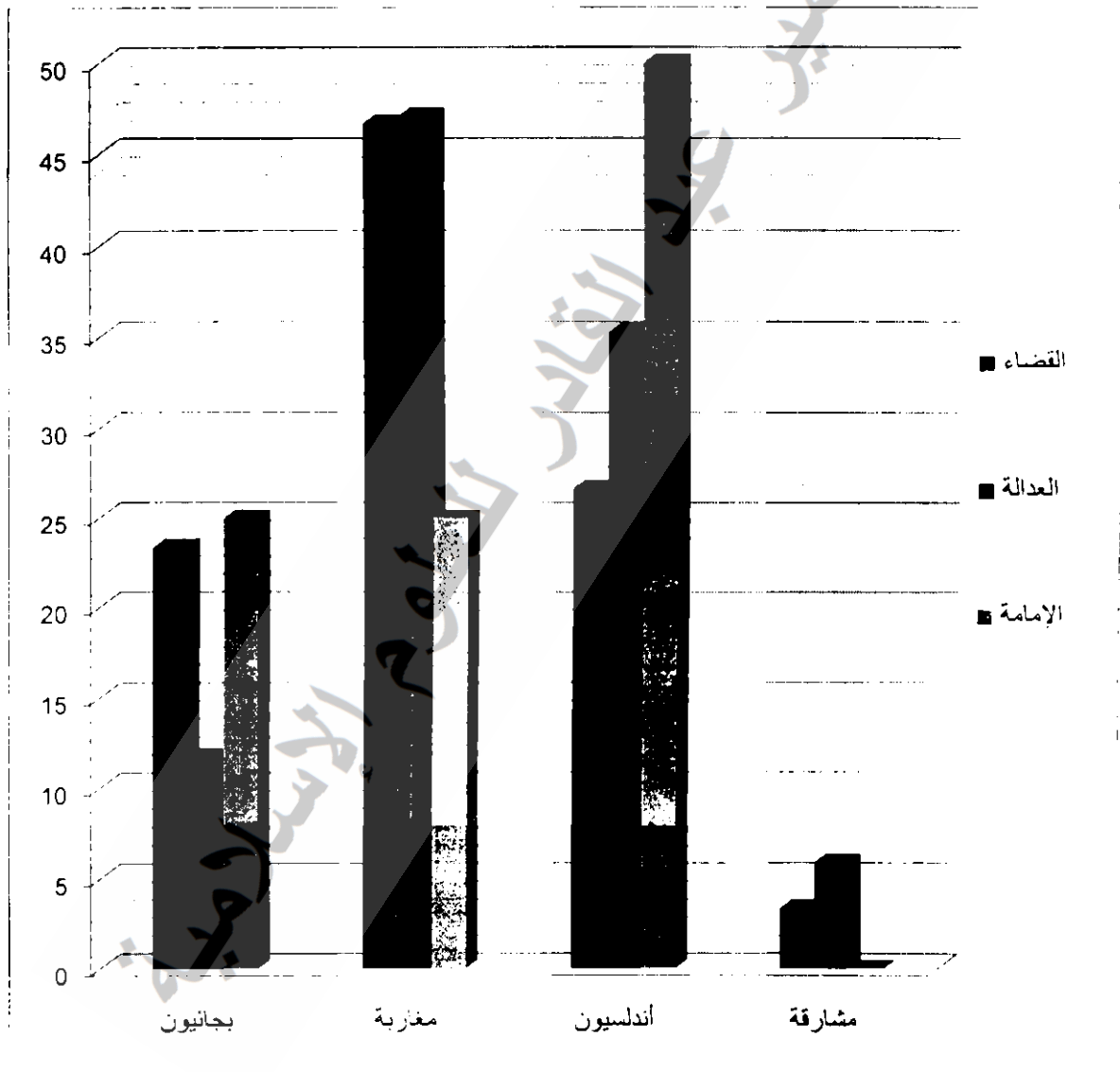
241	/	1257م / 655هـ	22	الفقه	أبو بكر محمد الزهرري البلسي.	90
245	/	1256م / 654هـ	الفقه	أبو عثمان سعيد الأنصاري البلسي.	91	
246	/	1260م / 659هـ	الفقه	أبو بكر محمد بن أحمد الأشبيلي.	92	
250	- مجموعة رسائل وأشعار.	1259م / 658هـ	اللغة العربية وآدابها.	أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي	93	
254	/	1281م / 680هـ	اللغة العربية وآدابها.	أبو عثمان سعيد بن عبد الغني القرشي.	94	
255	/	13م / 7هـ	اللغة العربية وآدابها.	أبو علي الحسن بن معمر.	95	
257	- اللجين في مرثي الحسين. - ديوان شعر. - مجموعة من الرسائل السلطانية والإخوانية.	1259م / 658هـ	اللغة العربية وآدابها.	أبو عبد الله محمد بن الأبار.	96	
262	- ديوان شعر.	13م / 7هـ	الفقه	أبو محمد عبد الله بن علوان	97	

265	/	القرن 13هـ/13م.	علوم القراءان والقراءات.	أبو العباس أحمد بن محمد المعافري.	98
266	- المقرب في اللغة - شرح الجمل. - شرح لكتاب الإيضاح. - تفسير جزء من كتاب الله عز و جل. (شرح لغوي).	1271هـ/13م.	اللغة العربية وآدابها.	أبو الحسن علي بن عصفور الحضرمي.	99
268	/	القرن 13هـ/13م.	اللغة العربية وآدابها.	أبو محمد عبد الحق الغبريني.	100
269	/	القرن 13هـ/13م.	اللغة العربية وآدابها.	أبو الحكم مروان بن يحيى البجائي.	101
270	/	1262هـ/13م.	اللغة. وآدابها.	أبو محمد عبد الله الأزدي.	102
271	- تخميس قصيدة المنفرجة.	1238هـ/13م.	اللغة العربية وآدابها.	أبو محمد عبد الله بن نعيم القرطبي.	103
280	- ديوان شعر.	القرن 13هـ/13م.	اللغة العربية وآدابها.	أبو علي حسن بن الفكرون القسطنطيني.	104

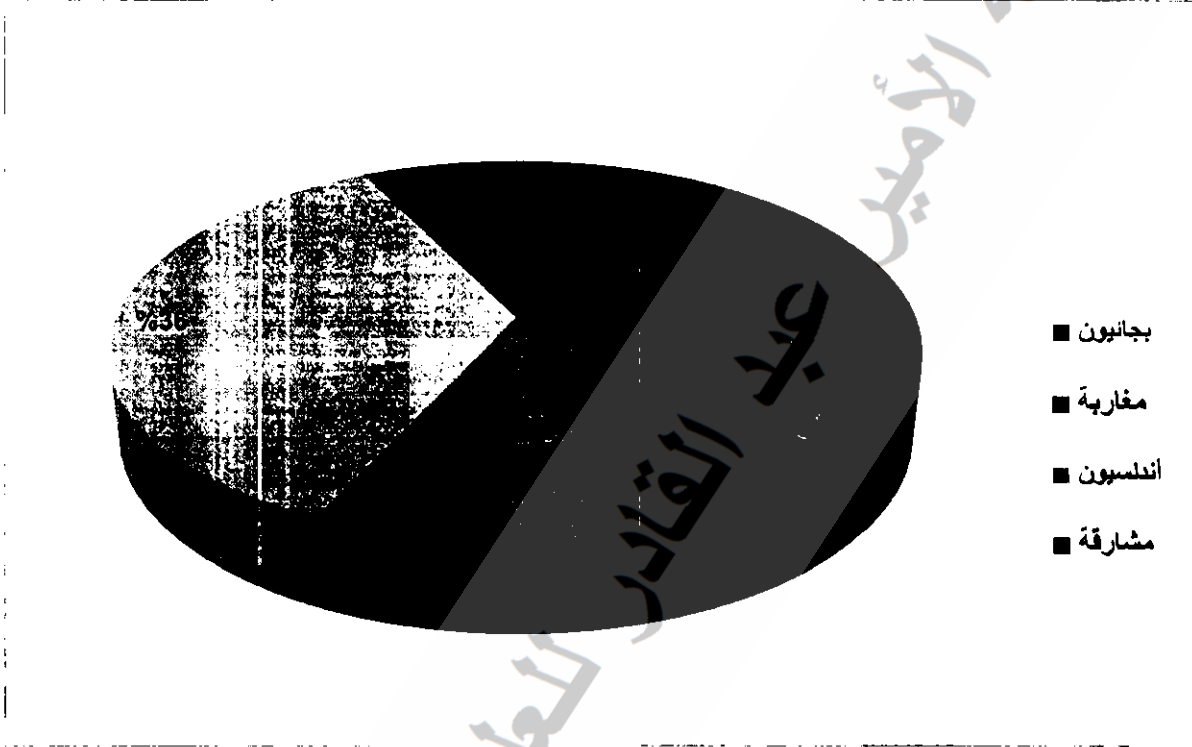
ملحق (06): العلماء الذين ترجم لهم الغبريني ونسب تمثيلهم في مختلف العلوم: حسب أصولهم



ملحق (07): مشاركة العلماء الذين ترجم لهم الغبريني في الخطط الدينية



ملحق (08): توزيع العلماء الذين ترجم لهم الغبريني حسب أصولهم



ملحق (09): توزيع العلماء الذين ترجم لهم الغبريني على

مختلف العلوم



ملحق رقم (10):

نموذج للإجازة العلمية

رغب الشيخ أبو زكرياء يحيى بن علي بن حسن بن حبوس الهمداني في أن يجيزه الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الفاضل أبو محمد عبد الحق بن سليمان اليعفري التلمساني (ت625هـ/1227م) وينعم عليه بإجازة، ما اشتمل عليه برنامج روايته عن أشياخه، وما سند عنه من قراءته ومسموعاته وإجازته ومناولاته، وتأليفه في فنون العلم، وماله من نثر ونظم، منعمًا ومتفضلًا عليه بالإسعاف بمطلوبه، والإجابة إليه.

فأجابه: «أجزت لكم أكرمكم الله جميع ما سألتموه، وأبحت لكم من ذلك ما طلبتموه إجازة عامة على شروطها المعمول بها عند القائلين، إذ انتم أهل لذلك، نفعكم الله ونفع بكم، فلتستعمل نفسك ولتتوخ هديك في العمل بمقتضى ما علمك الله من ذلك أبلغكم الله أملكم وختم بصالح عملنا وعملكم، قاله وكتبه حامداً الله، ومصلياً على نبيه محمد وعلى آله بتاريخ جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة (615هـ/1218م) محمد بن عبد الحق بن سليمان»⁽¹⁾.

¹ - الغبريني: عنوان الدراية، ص ص 220، 221.

ملحق رقم (11)

زهد علماء بجاية في الخطط و المناصب

« ومنهم الشيخ الفقيه الجليل الفاضل العالم العارف الزاهد الولي أبو عبد الله محمد بن علي القصري أحد خواص شيخنا أبي الحسن الحرالي، عرض عليه أن يشهد وأن ينتصب لمنصب العدول فامتنع من ذلك، وعرض عليه القضاء فامتنع منه، ثم طلب به فتخلص منه بحسنى، وقال لإمام الوقت إنني أحتاج أن أغني من بيت المال، وأمكن من خزانة علمية للمطالعة لأستعين بها على ما يعرض لي، ويطلق لي الحكم بما أراه وأرتضيه، فعسر على طالبه مطلبه فتركه...»⁽¹⁾.

¹ - المصدر السابق، ص 170.

ملحق رقم (12)

رأي الفبريني في كتاب «التفكر فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات لأبي علي حسن بن محمد المسيلي»

«...هو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب الإحياء، وبه سمي أبا حامد الصغير، وكلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد وأسلم، ودل كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول والمنقول، وعلم الظاهر والباطن، ومن تأمل كلامه أدرك ذلك بالعلم اليقين، ولم يفتقر فيه إلى تبيين، وهو كثير الوجود بين أيدي الناس، وكثرة وجود الكتاب دليل على اعتناء الناس به وإيثارهم له .

ولقد رأيت على نسخة من نسخه ما نصه : اعلم وفقك الله أن هذا الكتاب حسن في معناه مخترع في الترتيب ومبناه ، قل فيه ما ينتقد ، وكثر ما يعتقد ، وعليه يعتمد ، سلك مؤلفه فيه مسالك المهتدين ، وترك مهالك الضالين المعتدين ، فهو فيه على صراط مستقيم ، ومقصد قويم ، طرز به معاني الكتاب العزيز، فجاء كالذهب الإبريز، وسلم من غلو الغالين، وتحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين، نفعه الله به أمين وصلى الله على محمد، وعلى جميع الملائكة والنبیین وسلم والحمد لله رب العالمين»⁽¹⁾.

¹ - المصدر السابق، ص 67.

ملحق رقم (13)

حزب أبي الحسن علي بن أحمد الحرالي

« فمن جملة أذكاره حزبه الذي كان يلزمه بعد صلاة الصبح كان - رضي الله عنه - يجلس في مصلاه بعد الصلاة الصبح متربعا ويقول : استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا الله هو الحي القيوم وأتوب إليه، إنه هو التواب الرحيم مائة مرة لا إله إلا الله الحق المبين مائة مرة، لا إله إلا الله وحده ولا شريك له ، والله أكبر وسبحان الله و بحمده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، أستغفر الله الأول الآخر الظاهر الباطن له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات ، سبحان من البحر سبيله ، سبحان من الجنة رحمته ، سبحان من في النار عقابه ، سبحان من سبقت رحمته غضبه ، سبحان لا منجي ولا ملجأ إلا إليه عشر مرات ، يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك مائة مرة، يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك عشرة مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون ومن قوله تعالى : «هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم » إلى آخر السورة ثلاث مرات، ثم الأسماء الحسنی التي تضمنها الحديث : هو الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى آخرها، وهو اسمه تعالى الصبور ويختمها بقوله : هو الله الذي لا إله إلا هو، والحمد لله رب العالمين . ويذكر بعد حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي هو مضمونه أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - سأله عن سببه أو سنته فقال : المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني ، الحب الأساسي، الشوق مركبي ، ذكر الله أنسي ، الثقة كنزي ، الحزن رفيقي ، العلم قوتي ، الأرق شفيعي ، الطاعة حسبي ، الجهاد خلقي ، قرّة عيني في الصلاة. وفي رواية. وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل شوقي إلى ربي ، ثم يقرأ سورة يس والدخان والواقعة قراءة بطيئة بتأمل وتفهم . هذا منتهى حزبه - رضي الله عنه. - «(1).

1- المصدر السابق، ص 153، 154.

ملحق رقم (14)

طريقة صوفية بجاية في مكافحة الآفات الاجتماعية

«... ومن كرامته انه كان يوما يسير في باب البحر وبعض من خواص أصحابه معه، وإذا بشخص يتميل سكرًا، فألقى يده في الشيخ، وقال له : يا سيدي ادفع لي ما أتم به هذه السكرة فانتهره الناس ، فقال لهم : عليكم دعوه . فتركوه فاخذ سرواله ودفعه إليه لأنه لم يكن عنده فانفصل الرجل والسروال في يده فنقد هذا بعض من رآه ، وسلم بعض من هو من أهل الباطن ، وسار الفقيه مع أصحابه إلى المسجد . فبعد ساعة وإذا بالرجل قد وصل تائبًا منيبًا ، وهذا بظاهره متعرض ، وباطنه لأهله مسلم ، وما هي إلا قضية حضرية ، ومن كراماته... وما حدثني به الفقيه أبو محمد عبد الحق - رحمه الله - قال : كانت امرأة، لها ولد يشرب الخمر ويجني على نفسه فكانت تشكو للشيخ ، فكان يقول لها قولي له : يشرب بالكؤوس الكبار لماذا يشرب بالكؤوس الصغار ، فكانت تجد من ذلك في نفسها ، وتقول اسأله ليدعو لي ، ليخفف أمره فيأمره بالإكثار ، فسألناه عن ذلك فقال : قد جرى القدر بمقادير يشربها من الخمر ، ولا بد من نفوذ ما جرى به القدر ، فإذا شربها بالكؤوس الصغار طالت المدة ، وإذا شربها بالكؤوس الكبار قصرت مدتها ، قلت وحقيقة هذه المسألة : أن الشيخ - رحمه الله - كشف عن أمره وعن حقيقة خبره ، ولم يمض من المدة إلا مقدار يسير ، ثم إن الشاب قد تاب وحسن حاله ببركة الشيخ - رحمه الله - «⁽¹⁾» .

¹ المصدر السابق، ص 152 .

ملحق رقم (15)

بعض آراء أبي الفضل القرطبي الصوفية

« ذكر أبو عبد الله السلاوي ، وكان من أصحاب الشيخ أبي الحسن الحرالي ، قال : مرض سيدي أبو الفضل القرطبي فزرتة ، فلما جلست إليه جعلت أبكي ، فقال لي : لما تبكي ؟ فقلت : يا سيدي أبكي خوفا من فقدك وفراقك فقال لي ، لا تخف فإني لا أموت في هذه المدة ، بل أفيق وأرجع إلى الصحة ثم أموت ، وإنما هي نقلة من محل إلى محل والموت للعارفين مشاهدة واضحة للحق ، وسبب للقاء ، وشيء يوصل الحبيب إلى المحبوب وأن المعرفة تنقلب في الآخرة مشاهدة ، فمن زرع نواة أنبتت تمرا ، ومن زرع نبتة أنبت شوكا .

وقال الشيخ أبو زكرياء بن محجوبة السطيفي : قال لي الفقيه أبو الحسن بن أبي نصر فتح البجائي ، لقد طالعت كثيرا من مقامات الأكابر ، وتعرفت أحوالهم ، فرأيت الشيخ أبا الفضل نفع الله به جامعا لذلك كله وزيادة عليه ، ولكنه لم يكن للناس بصيرة يعرفونه بها ، ولا بواطن فتعقل عنه فأخفى الله أحواله وكراماته على أهل الوقت غيرة منه عليه - رضي الله عنه - ونفع به»⁽¹⁾.

¹ - المصدر السابق، ص 162، 164.

ملحق رقم (16)

استهجان علماء بجاية لتيار الشعوذة والمشعوذين

يقول الغبريني: « ومنهم شيخنا الفقيه الولي الصالح العابد الزاهد الموفق المنقطع المتخلي أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى الأزدي (ت 691هـ/) من أهل رندة رحل إلى العدو وتخير استيظانه ببجاية فاستوطنها ، كان على سنن الفقهاء وعلى طريق المتعبدين الصلحاء، متنزها عن مقالة المتلبسين وشعوذة المشعوذين غير مسامح في شيء مما يخالف ظاهر الشريعة.

ولقد مضى بمسجده أبو الحسن الفقير المعروف بالطيار مع صحب له ودخلوا عليه في وقت يحيى فيه المسجد فجلسوا من غير تحية فأمرهم بالتحية فقال لهم الطيار (ولذكر الله أكبر) ، وامتنع من الركوع ، ووقع بينه وبينهم في هذا الكلام ، ولما ظهر منهم التوقف مع هذا المقال وعدم النزوع عن هذا الحال ، وقع العمل على نفيهم إلى المغرب وإخراجهم من البلد والنفي في حق هؤلاء وأمثالهم قليل ، وإنما الواجب أن يعاملوا بأسوأ التمثيل وهؤلاء جملة أغبياء لا علم ولا عمل ولا تصوف، ولا فهم وهو مع ذلك يجهلون الناس ويعتقدون أن مبناهم على أساس»⁽¹⁾.

¹ - المصدر السابق، ص 121.

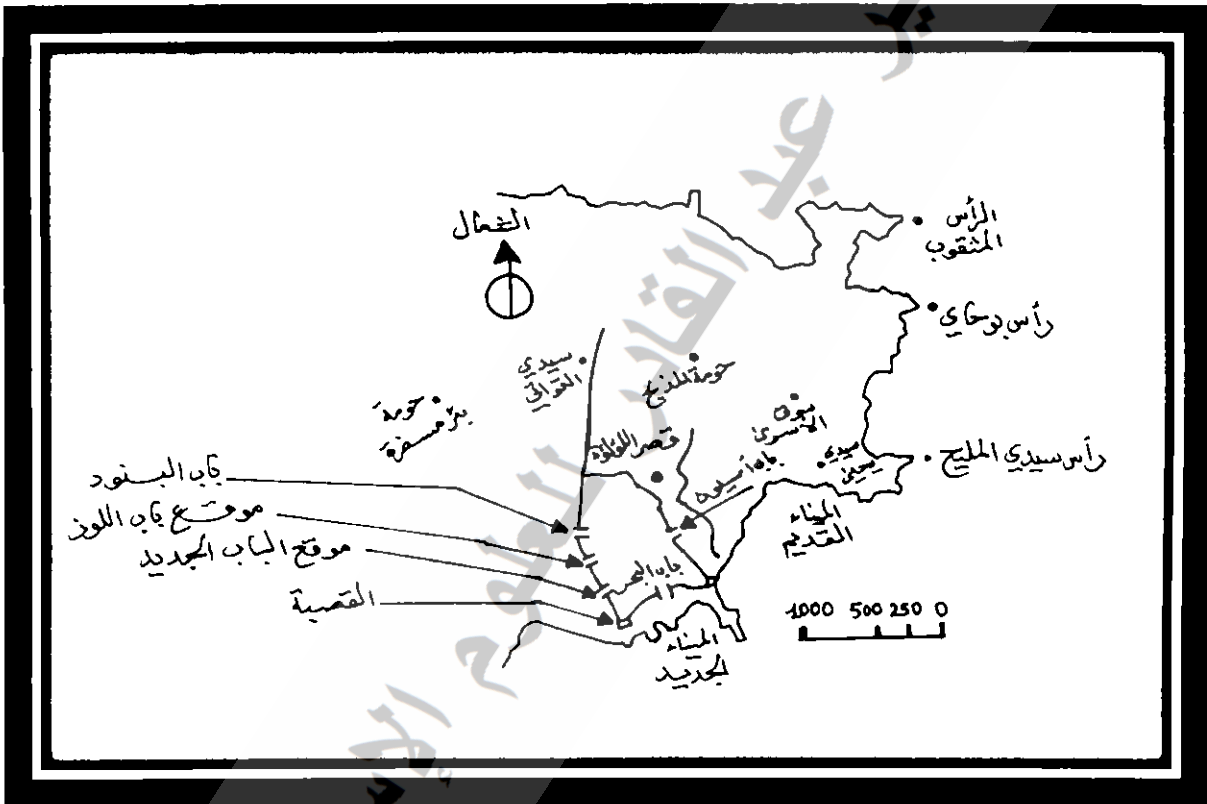


المغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري/13م⁽¹⁾

1- شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، ص174.

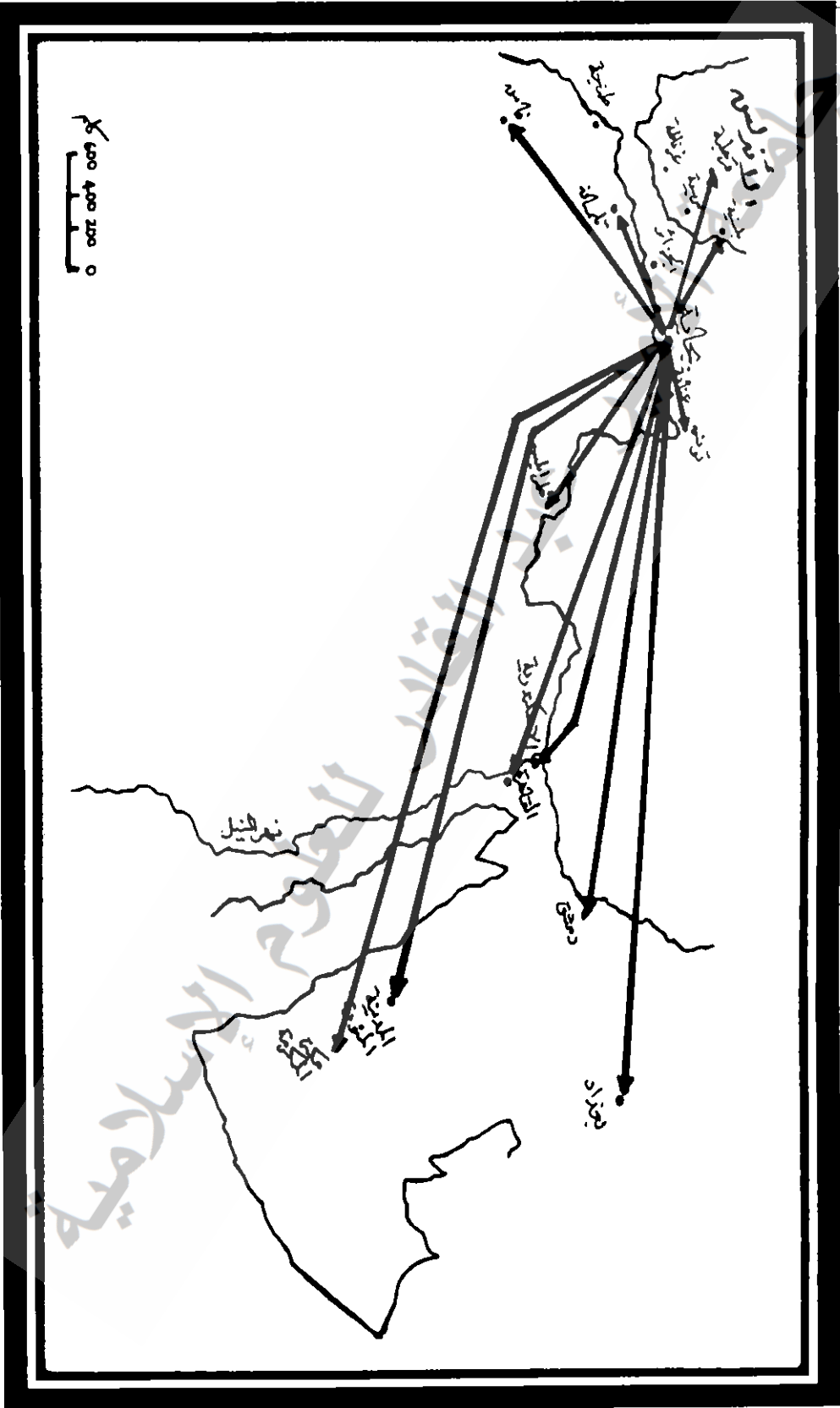
الفرائط

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

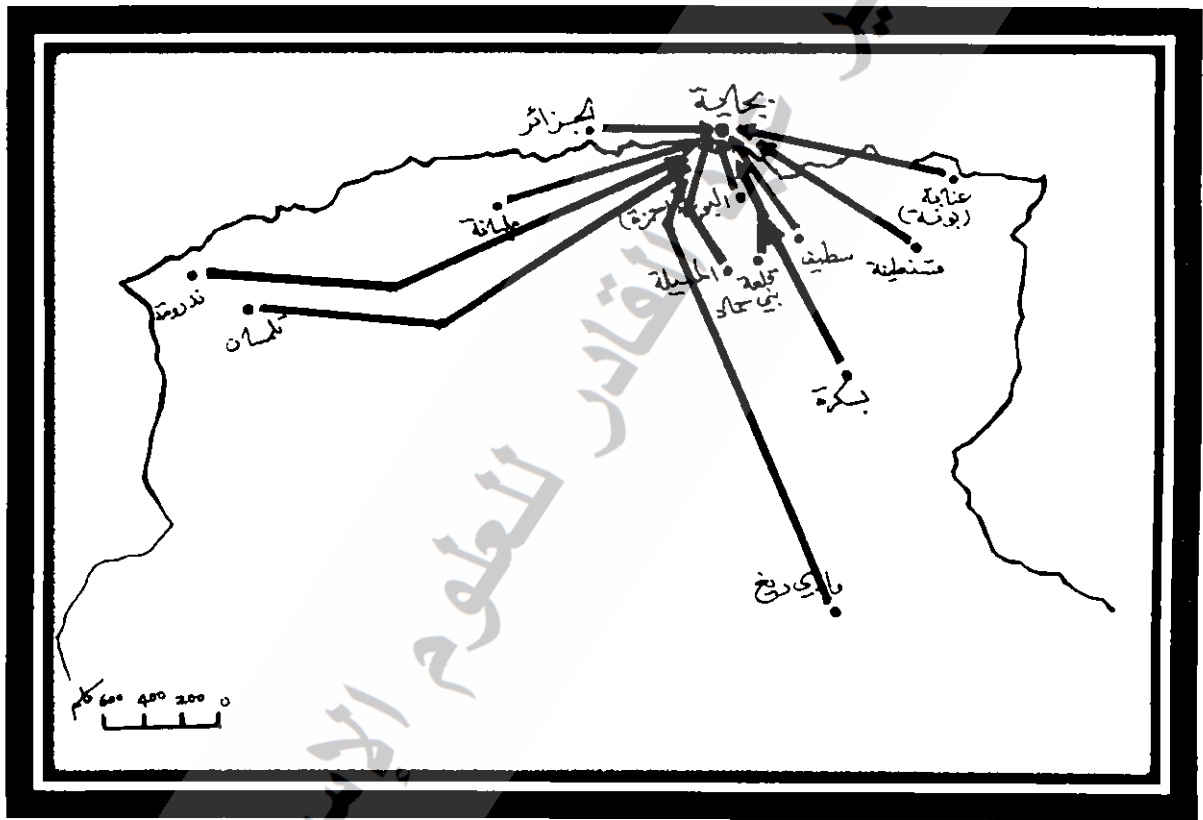


مدينة بجاية في القرن السابع الهجري/13م

¹- صالح بعيزيق: ص114.



الرحلة العلمية من بداية باتجاه مختلف حواضر العالم الإسلامي



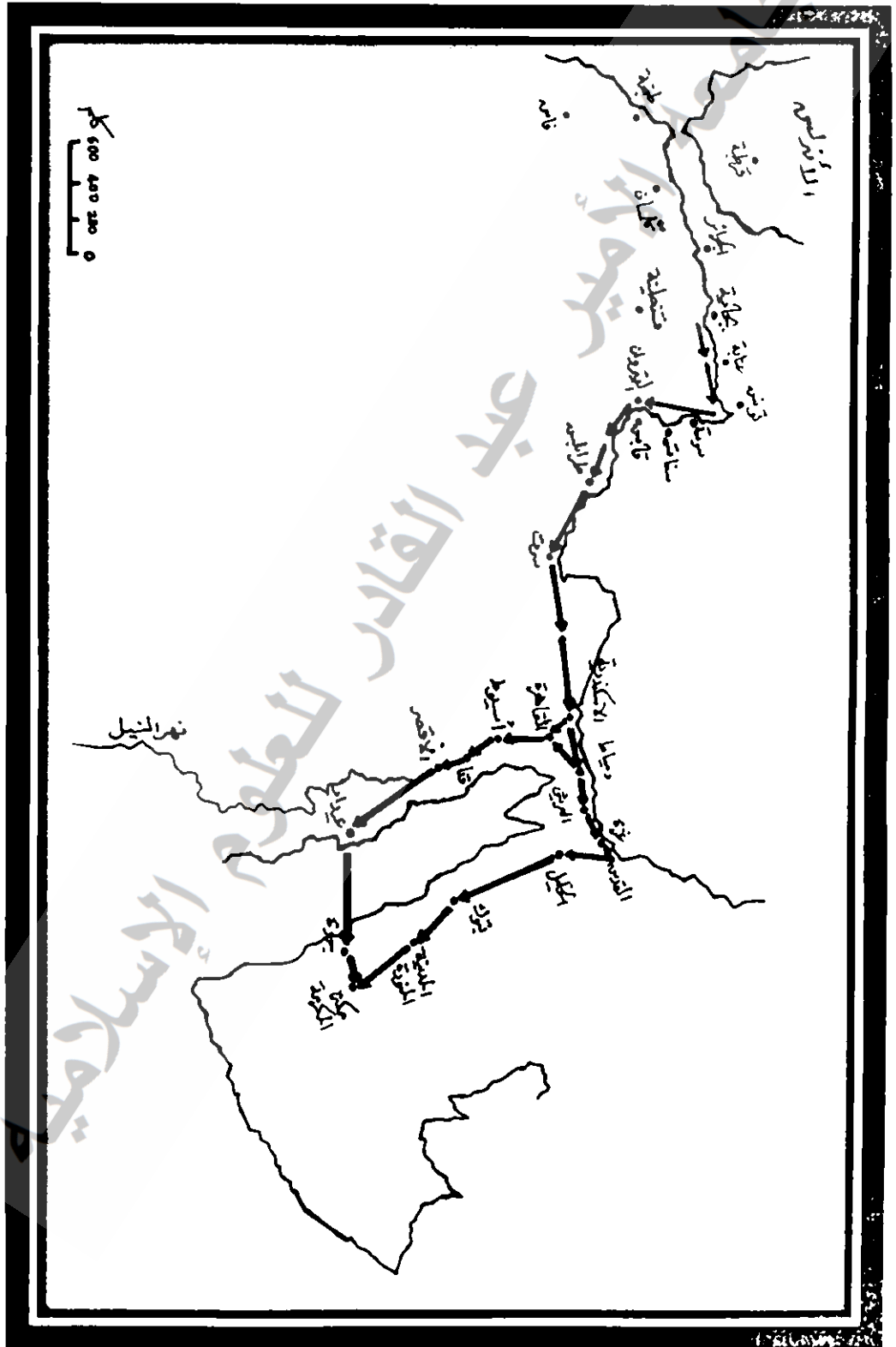
مواطن انتقال علماء المغرب الأوسط إلى بجاية

أ- الغبريني: عنوان الدراية، ص: 55 وما بعدها.



مواطن هجرة العلماء الأندلسيين إلى بجاية في القرن السابع الهجري/13م¹

¹-الغبريني: عنوان الدراية، ص 52، وما بعدها.



طريق الحج



باب البحر (منظر أمامي)

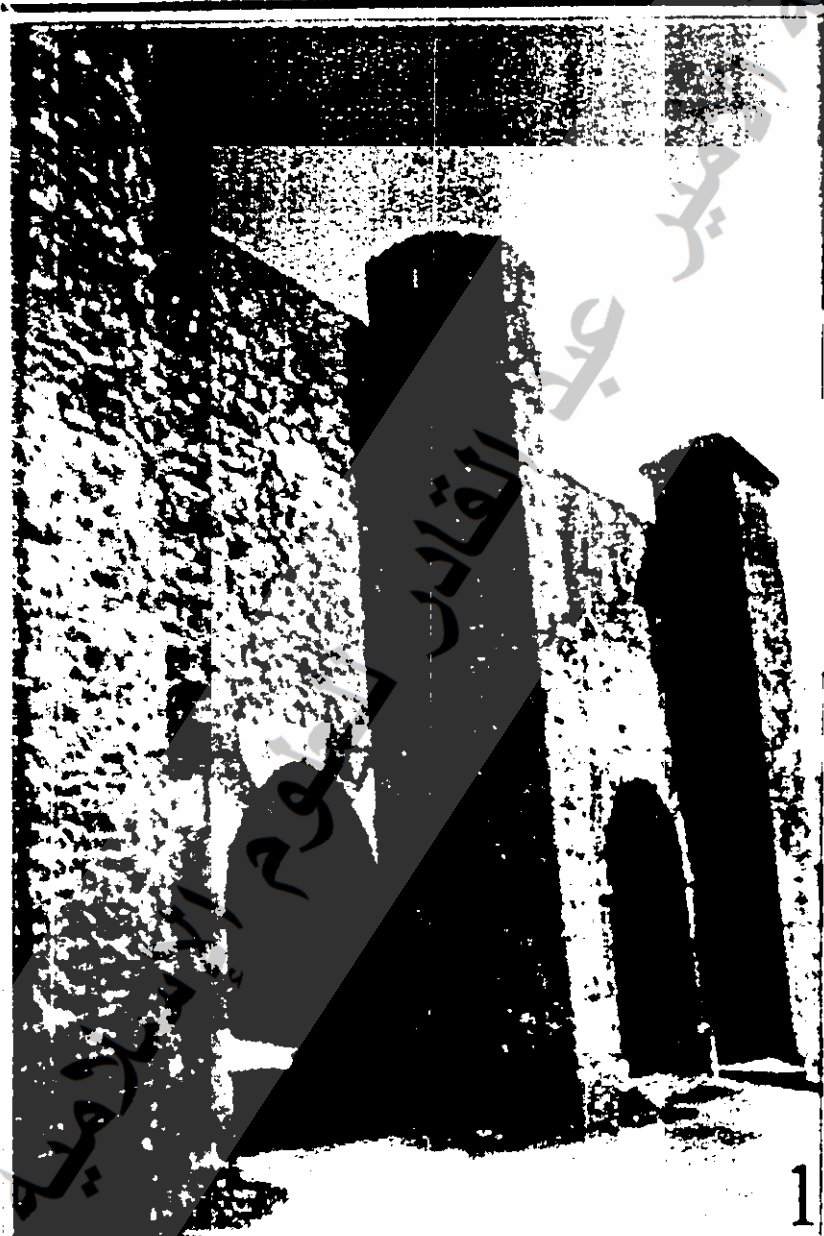
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



باب البحر (منظر خلفي)



باب البنود



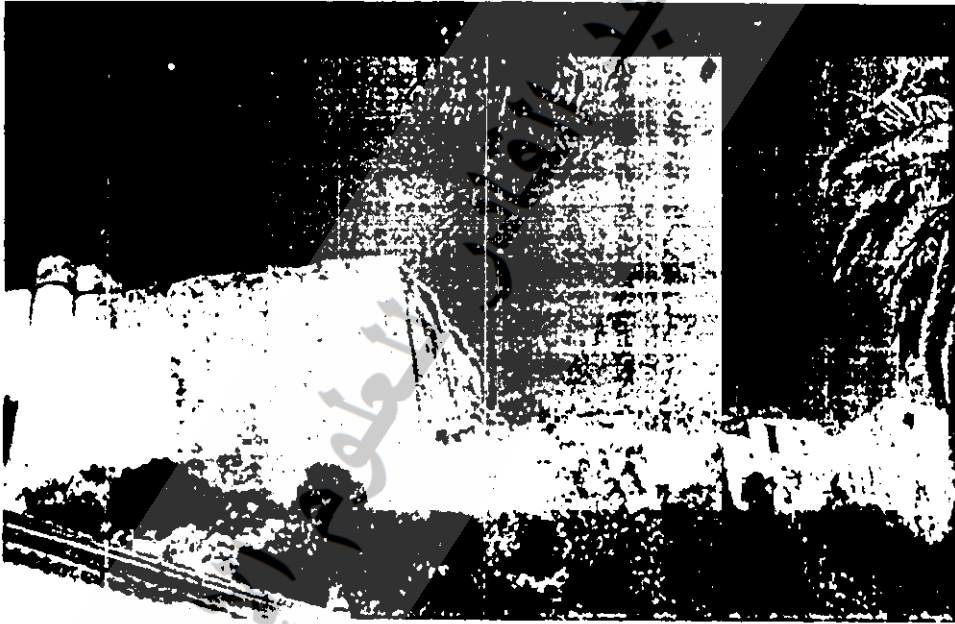
باب أمسيون



محراب مسجد المهدي بن تومرت ببجاية



باب القصة



القصة (منظر خارجي)



القصة (منظر داخلي)

المصادر المخطوطة:

- ابن بسام القسنطيني: أحمد (كان حياً سنة 1354هـ/1935م):
 - غاية الأمانى، صورة طبق الأصل ملكية خاصة.
- ابن عامر السوفي: إبراهيم بن محمد الساسي (ت1353هـ/1934م):
 - الصروف في تاريخ سوف، الجزء الثاني، صورة طبق الأصل ملكية خاصة.
- ابن عبد المؤمن أحمد:
 - الأنوار في آداب الاجتماع والأذكار، صورة طبق الأصل ملكية خاصة.
- ابن عربي: محي الدين (ت638هـ/1240م):
 - ديوان المعارف، الجزء الثاني، صورة طبق الأصل ملكية خاصة.
- ابن المظماطية القسنطيني (ت1337هـ/1918م):
 - الإفادة لرائم السعادة، صورة طبق الأصل ملكية خاصة.
 - سفينة السكينة، صورة طبق الأصل ملكية خاصة.
- أبو راس المعسكري: محمد بن أحمد (ت1238هـ/1822م):
 - عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1632.
- أبو مدين: شعيب بن الحسين الأنصاري (ت594هـ/1198م):
 - استكمال القصد بشرح أرجوزة ابن رشد، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 599.
- الزيادي: محمد بن علي فتحا الحسني (ت1209هـ/1794م):
 - سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية، صورة طبق الأصل ملكية خاصة.

المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة

المصادر المطبوعة

المراجع العربية

المراجع المعربة

الرسائل الجامعية

الدوريات

المراجع الأجنبية

- العمراني: أبو الحسن علي الجمل (ت1193هـ/1779م):
 - اليواقيت الحسان، صورة طبق الأصل ملكية خاصة.
- الغزواني: أبو عبد الله محمد (ت935هـ/1528م):
 - النقطة الأزلية في سر الذات المحمدية، صورة طبق الأصل ملكية خاصة.
- الاشبيلي: أبو محمد عبد الحق (ت582هـ/1186م):
 - ديوان قصائد ضمن مجموع، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1830،
- الكتاني: محمد بن جعفر:
 - جلاء القلوب، الجزء الأول، صورة طبق الأصل ملكية خاصة.

المصادر المطبوعة:

- ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت658هـ/1260م):
 - التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسني، الجزء01، مطبعة السعادة، مصر، دون تاريخ.
 - الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، الجزء01، الطبعة الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963.
- ابن أبي الضياف: أحمد (ت1291هـ/1884م):
 - إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الجزء01، الطبعة الثانية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976.
- ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل (ت810هـ/1408م):
 - نثير فرائد الجمال في نظم فحول الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، 1967.
 - مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1964.
- ابن حماد: أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت628هـ/1230م):
 - أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- ابن خلدون: أبو زكرياء يحيى بن محمد (ت780هـ/1378م):
 - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزء01، الطبعة الأولى، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.
- ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م):
 - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء06، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.
 - التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951.
 - شفاء السائل لتهديب المسائل، تعليق: الأب اغناطيوس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

- المقدمة، دط ، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ.
- ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد (ت681هـ/1283م):
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، الجزء 04، بيروت، دون تاريخ.
- ابن الخوجة محمد:
- تاريخ معالم التوحيد في القديم والحديث، تحقيق الجيلاني بن الحاج يحيى، وحمادي الساحلي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
- ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م):
- المغرب في حلى المغرب، تحقيق : خليل منصور، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997.
- ابن الزبير: أبو جعفر أحمد (ت707هـ/1307م):
- صلة الصلة، تحقيق ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1938.
- ابن الزيات التادلي: أبو يعقوب يوسف (ت617هـ/1220م):
- التشوف إلى رجال التصوف ، تحقيق أحمد التوفيق ، الطبعة الثانية ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، 1997.
- ابن الشماع: محمد (ت بعد 873هـ/1468م):
- الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم طاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس 1984.
- ابن صاحب الصلاة: عبد الملك محمد الباجي (كان حيا سنة 594هـ/1198م):
- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الوهاب التازي، الطبعة الأولى ، دار الأندلس للنشر ، بيروت 1964.
- ابن عبد الملك: أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت703هـ/1303م):
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، القسم الثاني، أكاديمية المملكة المغربية، 1984.

- ابن عذاري: أبو العباس أحمد المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م):
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب-قسم الموحدين- تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
- ابن عربي: محي الدين (ت638هـ/1240م):
- التدابير الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، تحقيق خليل عمران المنصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
- الفتوحات المكية، الجزء الثاني، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، 1972.
- فصوص الحكم، تحقيق وتعليق: أبو العلاء عفيفي، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، 1980.
- ذخائر الأعلام في شرح ترجمان الأشواق، تحقيق محمد علم الدين الشقيري، الطبعة الأولى، دار عين للدراسات والنشر، 1995.
- ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله (ت769هـ/1367م):
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد أسعد النادري، الجزء الأول، المكتبة العصرية، بيروت، 1998.
- ابن فرحون: برهان الدين (ت799هـ/1397م):
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003.
- ابن الفرزي: عبد الله محمد الأزدي (ت403هـ/1012م):
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988.
- ابن قنفذ القسنطيني: أبو العباس أحمد (ت810هـ/1407م):
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبدالمجيد التركي، دار التونسية للنشر، تونس، 1968.
- الوفيات، تحقيق عادل نويهض، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980.
- أنس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، الرباط، 1965.

- ابن مصطفى: أحمد طاش كبرى زادة(ت968هـ/1560م):
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، الطبعة الأولى ، دار
الكتب العلمية ، بيروت، 1985.
- ابن مرزوق:أبو عبد الله محمد الخطيب(ت781هـ/1379م):
- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولاي أبي الحسن، تحقيق ماريا
خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- ابن مريم:أبو عبد الله محمد التلمساني(كان حيا سنة 1025هـ/1611م):
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشره محمد بن أبي شنب،وقدم له
عبد الرحمن طالب،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1986.
- ابن منظور:محمد بن مكرم بن علي(ت711هـ/1211م):
- لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر،الجزء13، الطبعة الأولى ،دار الكتب
العلمية،بيروت،2003.
- ابن النحوي: أبو الفضل يوسف(ت513هـ/1119م):
- المنفرجة، تحقيق: أحمد بن محمد أبو رزاق، المؤسسة الوطنية للكتاب،
الجزائر، 1984.
- ابن النديم: (995هـ/1586م):
-الفهرست،تحقيق إبراهيم رمضان،الطبعة الأولى،دار
المعرفة،بيروت،1994.
- أبو العرب:محمد بن أحمد بن تميم(ت333هـ/944م):
- طبقات علماء أفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي، الطبعة الثانية، الدار
التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985.
- الإدريسي: أبو عبد الله محمد الشريف(ت548هـ/1154م):
- المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق: محمد حاج صادق، بلجيكا،
1983.
- القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق،
إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 .

- أبو مدين: شعيب بن الحسين الأنصاري (ت594هـ/1198م):
- أنس الوحيد ونزهة المرید، تحقيق خالد زهري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
- الأصفهاني: أبو النعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ/1039م):
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، نشر أحمد أمين الخانجي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.
- البكري: عبيد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م):
- المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، طبع تصحيح: البارون ماكوكين ديسلان، باريس، 1965.
- البوصيري: أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت696هـ/1296م):
- الدرة اليتيمة المعروفة بقصيدة البردة، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، تونس، 1946.
- الهمزية في مدح خير البرية، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، تونس، 1946.
- ديوان البوصيري، شرحه أحمد حسين بسج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- التجاني: أبو محمد عبد الله (ت717هـ/1317م):
- الرحلة، المطبعة الرسمية، تونس، 1958.
- التنبكتي: أحمد بابا (ت1032هـ/1642م):
- نيل الابتهاج و تطريز الديباج، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989.
- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (ت1067هـ/1636م):
- كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، الجزء الأول، دار الفكر، دمشق، 1982.
- الحفناوي: أبو القاسم محمد (ت1356هـ/1936م):
- تعريف الخلف برجال السلف، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.
- الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت1083هـ/1678م):
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء الثاني، المكتب التجاري للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، دون تاريخ.

- الخطيب البغدادي: (ت463هـ/1070م):
- الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.
- الذهبي:شمس الدين محمد(ت748هـ/1348م):
- تذكرة الحفاظ ،الجزء الثاني،دار إحياء التراث،بيروت،1956.
- الرازي: أبو عبد الله شمس الدين(ت666هـ/1267م):
- حدائق الحقائق، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، 2002.
- الزركشي:أبو عبد الله محمد بن إبراهيم(كان حيا سنة 894هـ/1486م):
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية تحقيق، محمد ماضود، الطبعة الثانية، المكتبة العتيقة،تونس 1966.
- الزر كلبي: خير الدين(ت1396هـ/1976م):
- الأعلام،الجزء الأول، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.
- زروق:أبو العباس أحمد بن أحمد(ت899هـ/1493م):
- قواعد التصوف،تحقيق محمد زهري البحار،الطبعة الثالثة،مكتبة الكليات الأزهرية،القاهرة،1976.
- سحنون: محمد بن سعيد التنوخي(ت240هـ/855م):
- آداب المعلمين ، تحقيق: حسين حسني عبد الوهاب، الطبعة الثانية، دار بوسلامة للنشر والتوزيع، تونس،1985.
- السراج:أبو النصر الطوسي(ت378هـ/989م):
- اللمع،تحقيق عبد الحليم محمود،وطه عبد القادر سرور،دار الكتب الحديثة،مصر،1960.
- السهروردي:عبد القاهر بن عبد الله(ت632هـ/1234م):
- عوارف المعارف، الطبعة الأولى ،دار الكتاب العربي،بيروت،1966.
- الشوار:العربي بن مصطفى(ت1377هـ/1957م):
- ديوان أبي مدين شعيب ، الطبعة الأولى ،مطبعة الترقى،دمشق،1938.
- العبدري:أبو عبد الله محمد بن محمد(ت في أواخر القرن 7هـ/13م):
- الرحلة المغربية ، دار البعث، قسنطينة، دون تاريخ.

- عباس بن إبراهيم المراكشي (ت1378هـ/1959م):
- الإعلام فيمن حل مراكش وأغامت من الأعلام، الجزء الثاني، المطبعة الجديدة، فاس، 1937.
- عياض: أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت544هـ/1149م):
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، الجزء الأول، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.
- الغبريني: أبو العباس أحمد بن أحمد (ت704هـ/1304م):
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ/1111م):
- إحياء علوم الدين، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.
- مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، الطبعة الثانية، دار إحياء العلوم، بيروت، 1985.
- المستصفي من علم الأصول، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
- القابسي: أبو الحسن علي (ت403هـ/1013م):
- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، دار المعارف، 1983.
- القشيري: عبد الكريم بن هوزان (ت465هـ/1072م):
- الرسالة القشيرية، دار الكتاب العربي، لبنان، 1957.
- القرافي: بدر الدين محمد بن يحيى (ت946هـ/1533م):
- توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة، 2004.
- الكتبي: محمد شاکر (ت764هـ/1363م):
- فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، الجزء الثالث، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

- الكلاباذي: أبوبكر محمد إبراهيم (ت380هـ/989م):
- التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق : محمود أمين النواوي، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية، 1980.
- المراكشي: محي الدين عبد الواحد (ت في النصف الثاني من القرن 07هـ/13م):
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد السعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949.
- المغراوي أحمد بن أبي جمعة (ت ق10هـ/16م):
- جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلول ورايح بونار، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
- المقرئ: أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/1631م):
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت، 1988.
- المقرئ: أبو العباس أحمد بن علي تقي الدين (ت846هـ/1442م):
- الخطط المقرئية، الجزء الثاني، دار العرفان، بيروت، دون تاريخ.
- المالكي: أبو عبد الله بن محمد (ت483هـ/1090م):
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق البشير البكوش، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- المكي: أبو طالب محمد بن علي (ق03هـ/09م):
- قوت القلوب، الطبعة الثانية، المطبعة المصرية، 1932.
- مارمول كربخال:
- إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، الجزء الثاني، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1989.
- مخلوف محمد بن مخلوف:
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، دمشق، دون تاريخ.

- مسلم النيسابوري (ت261هـ/874م):
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الأول، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
- مؤلف مجهول:
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، الطبعة الأولى، مطبعة التقدم الإسلامي، تونس، 1990.
- مؤلف مجهول:
- مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية ، الطبعة الأولى، دار أبي رقرق ، الرباط، 2005.
- النباهي: أبو الحسن علي بن محمد المالقي (ت ق08هـ/14م):
- المراقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا، المكتب التجاري ، بيروت، دون تاريخ.
- الوزان: حسن بن محمد الفاسي (ت957هـ/1550م):
- وصف افريقية، ترجمة عن الفرنسية ،محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الأولى ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1982.
- الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى (ت914هـ/1511م):
- المعيار المعرب والجامع المعرب عن علماء فتاوى أفريقيا والأندلس والمغرب، إخراج محمد حجي و آخرون ، الجزء الثاني عشر، دار الفكر الإسلامي ، بيروت ، 1981.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين محمد بن عبد الله (ت626هـ/1228م):
- معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، الجزء الأول، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

المراجع العربية:

- أبو حبيب سعدي:
- القاموس الفقهي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، دمشق، 1988.
- أبو حويج مروان سليم:
- أصالة التتقيف التربوي الإسلامي في الفكر الأندلسي، الدار الجامعية، 1987.
- أبو ضيف مصطفى:
- القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبنو مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- إسكندر محمد المختار:
- المفسرون الجزائريون عبر القرون، جزآن، مطبعة دحلب، 1991.
- أحمد أمين:
- ضحى الإسلام، الطبعة العاشرة ،جزآن، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.
- أديب البغا مصطفى:
- الواضح في علوم القرآن، الطبعة الثانية ،دار الكلم الطيب، دمشق، 1998.
- أرسلان شكيب:
- خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983.
- الأشقر عمر سليمان:
- تاريخ الفقه الإسلامي، دار البعث، قسنطينة، 1990.
- الأهواني أحمد فؤاد:
- التربية في الإسلام، دار المعارف، بيروت، 1983.
- بعيزيق صالح:
- بجاية في العهد الحفصي ،دراسة اقتصادية واجتماعية ،منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.

■ بكري شيخ أمين:

- أدب الحديث النبوي، الطبعة الخامسة، دار الشروق، لبنان، 1981.

■ يحي بوعزيز:

- موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، الطبعة الأولى، الجزء 01، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

- الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيط، الطبعة الثانية، الجزء 01، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1999.

■ بونابي الطاهر:

- التصوف في الجزائر خلال القرنين 06 و07 الهجريين/12 و13 الميلاديين، الطبعة الأولى، دار الهدى، الجزائر، 2004.

■ بونار رابح:

- المغرب العربي تاريخه وثقافته، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

■ توات محمد الطاهر:

- أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993.

■ جغلول عبد القادر:

- مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، الطبعة الثانية، دار الحداثة، بيروت، 1988.

■ الجويني مصطفى:

- الدراسات الإسلامية منهاجاً وميادين بحث ومصادر، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1994.

■ الجيلالي عبد الرحمن :

- تاريخ الجزائر العام، الطبعة الرابعة، الجزء 02، دار الثقافة، بيروت، 1980.

■ حسن إبراهيم حسن:

- تاريخ الإسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الرابعة عشر، دار الجيل، بيروت، 1996.

- حمادة البخاري:
- التعلم عند الغزالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987.
- الحريري محمد عيسى:
- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، الطبعة الأولى، دار القلم للنشر والتوزيع، 1985.
- حوالة يوسف بن أحمد:
- الحياة العلمية في أفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، (90 - 450هـ)، الطبعة الأولى، الجزء 01، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000.
- الدفاع علي:
- روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998.
- زيدان عبد الكريم:
- الوجيز في أصول الفقه، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، 1998.
- الزرقاء مصطفى:
- معجم فقه ابن حزم الظاهري، الجزء 01، دار الفكر بيروت.
- سالم السيد عبد العزيز:
- التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، 1981.
- سحر السيد عبد العزيز سالم:
- بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية، الجزء 01، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.
- شريقي محمد بن سعيد:
- خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
- شلبي أحمد:
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الطبعة الثامنة، الجزء 03، مكتبة النهضة المصرية، 1985.

- الشكعة مصطفى:
- الأدب الأندلسي، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، 1992.
- الطمار محمد:
- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983.
- عاشور سعيد عبد الفتاح:
- الحياة العلمية و الفكرية في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996.
- عبد الرزاق أحمد:
- الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990.
- عبد العزيز محمد عادل:
- التربية الإسلامية في المغرب (أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية)، المكتبة المصرية العامة، القاهرة، 1987.
- عبد القادر نور الدين:
- صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.
- العربي إسماعيل:
- دور المسلمين في تقدم الجغرافيا الوصفية والفلكية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
- دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.
- عيسى بك أحمد:
- تاريخ الليمارستانات في الإسلام ، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.
- العقاد عباس محمود:
- التفكير فريضة إسلامية، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت، دون تاريخ.
- العقبي صلاح مؤيد:
- الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، الطبعة الأولى، دار البرق، بيروت، 2000.
- فارسي حسين:
- أبو مدين شعيب حياته وأدبه، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005.

- فرغلي علي معبد:
- محاضرات في التصوف، 1975.
- فيلالي عبد العزيز:
- تلمسان في العهد الزياني، الطبعة الأولى، موفم للنشر، الجزائر، 2002.
- مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، الطبعة الأولى، دار البعث، قسنطينة، 2002.
- فيلالي عبد العزيز، محمد الهادي لعروق:
- مدينة قسنطينة: دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، الطبعة الأولى، دار البعث، قسنطينة، 1984.
- الفيومي محمد إبراهيم:
- تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1997.
- قبيسي إحسان:
- معجم الأعشاب والنباتات الطبية، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- قسوم عبد الرزاق:
- عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
- القاضي عبد الفتاح:
- البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991.
- الكحلوي:
- الحقيقة الدينية من منظور الفلسفة الصوفية، الحلاج وابن عربي نموذجاً ط01، دار الطليعة، بيروت، 2005.
- محفوظ محمد:
- تراجم المؤلفين التونسيين، الطبعة الثانية، الجزء 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

- **محمود عبد الحليم:**
- أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله، المكتبة العصرية، بيروت، دون تاريخ.
- **موسى إبراهيم الإبراهيم:**
- بحوث منهجية في علوم القرآن، الطبعة الثانية، دار إعمار، الأردن، 1992.
- **المطوي محمد العروسي:**
- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، الطبعة الأولى، دار الكتب الشرقية، تونس، 1954.
- السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- **المنوني محمد:**
- تاريخ الوراقة المغربية، الطبعة الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1991.
- **الميلي مبارك بن محمد:**
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح، محمد ميلي، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- **نويهض عادل:**
- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، الطبعة الأولى، مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف، بيروت، 1983.
- **النجار عبد المجيد:**
- المهدي بن تومرت حياته وأثاره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- **هلال عمار:**
- العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3هـ-14هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- **يزبك قاسم:**
- التاريخ ومنهج البحث التاريخي، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990.

المراجع العربية:

- آدم ميترز:
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبوريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، الجزء 01، 1999.
- أسين بلاثيوس:
- ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمان بدوي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1956.
- برنشفيك روبر:
- تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة: حمادي الساحلي، الطبعة الأولى، الجزء 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- بيل ألفرد:
- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
- جورج مارسية:
- بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمد عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، 1991.
- جوليان شارل أندري:
- تاريخ إفريقيا الشمالية، الجزء 02، ترجمة محمد مزالي وبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969.
- جنثالث أنجل:
- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955.
- روجي إدريس هادي:
- الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م)، ترجمة حمادي الساحلي، الطبعة الأولى، الجزء 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

■ لومبار موريس:

- الإسلام في مجده الأول ، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،
1984.

■ هاملتون جب:

- دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم
للملايين، بيروت، 1964.

عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرسائل الجامعية:

■ تواتي حسينة :

- جامع القصبة بمدينة بجاية،(دراسة أثرية ومعمارية)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1994/1993.

■ حسبلاوي نسيم :

- الحياة الفكرية للأندلس في عهد الدولة الأموية (138-422هـ/756-1030م) رسالة ماجستير ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، 2000-2001م.

■ سيدي موسى محمد الشريف :

- الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (13- 16م) ، رسالة ماجستير، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، 2000-2001م.

الدوريات:

- إيفر:
 - مقال حول بجاية، دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الثالث، دار المعرفة، بيروت.
 - آيت بلقاسم مولود قاسم:
 - بجاية لقتت أوروبا الرياضيات بلغة العروبة، مجلة الثقافة، العدد (89)، 1985.
 - بلحميسي مولاي:
 - بجاية في حدائق الكتب، مجلة الأصالة، العدد (19) السنة (4) مارس، أبريل، 1974.
 - بلعربية أبو القاسم:
 - الشيخ أبو مدين شعيب وإنتاجه ضمن التصوف الإسلامي، محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، ملتقيات الفكر الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2005.
 - بونار رابح:
 - عبد الحق الأشبيلي البجائي، محدث القرن السادس عشر، مجلة الأصالة العدد (19) السنة (04)، مارس، أبريل، 1974.
 - بوعزيز يحي:
 - أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر، مجلة الثقافة، السنة (11)، العدد (63) ماي، جوان 1981.
 - البوعبدلي المهدي:
 - الرباط والفداء في وهران والقبائل، مجلة الأصالة، العدد (13)، مارس، أبريل 1973.
 - مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، مجلة الأصالة، السنة (2)، العدد (07)، مارس/ أبريل، 1972.
- حاجيات عبد الحميد:
 - تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب نظم الدرر والعقيان، لأبي عبد الله التنسي، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1980.
 - الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة (4)، العدد (26) جويلية، أوت، 1975.

- عنابة في عهد الحفصيين، مجلة الأصالة، السنة (5)، عدد (35/34)، يونيو، يوليو، 1976.

■ حماني أحمد :

- عباقرة من رجالنا تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية ، مجلة الأصالة ، العدد 19 السنة (4)، مارس ، أبريل ، 1974.

■ دهينة عطا الله :

- العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الصحراء من القرن 06 إلى القرن 08 هـ / 12-14م، ودور تلمسان في هذا الميدان، مجلة الأصالة، العدد (26)، السنة (04)، جويلية، أوت/1975.

■ طالبى عمار:

- الحياة العقلية في بجاية، مجلة الأصالة السنة (04)، العدد (19)، مارس، أبريل، 1974.

■ الطالبى محمد:

- الهجرة الأندلسية إلى أفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، السنة (4)، العدد (26) جويلية/ أوت ، 1975.

■ العربي إسماعيل:

- العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عهد بني حماد، مجلة الأصالة، العدد (19)، السنة (4)، مارس، أبريل، 1974.

■ فان إيس جوزيف :

- نشأة علم الكلام في الإسلام ، مجلة الأصالة، السنة (4) ، العدد (25) ماي/ جوان 1975.

■ فيلالي عبد العزيز:

- جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سرتا، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة ، العدد (10)، السنة (6)، رمضان 1408 هـ/ أبريل 1988م.

■ الفاسي علال :

- نهضة التعليم الأصلي في الجزائر، مجلة الأصالة، العدد (07) مارس/ أبريل، 1972.

- الكتاني جعفر :
- الحب الإلهي عند محي الدين بن عربي الحاتمي، مجلة الإشارة، السنة 02،
العدد 15، فيفري، 2001، الرباط المملكة المغربية.
- مجاني بوبية :
- المدارس الحفصية نظامها ومواردها، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد (12)،
1999.
- مهدي الخضيرى :
- النشاط الثقافي لعلماء بجاية الأفريقية، مجلة أفاق الثقافة
والتراث، العدد (38)، السنة (10).
- هايز فون مالتسان :
- بجاية، ترجمة: أبو العيد دودو، مجلة الأصالة، العدد (1974)، ص 40.
- عمار هلال :
- العلماء الجزائريون فيما بين القرنين 4 و8هـ / 10 و14م، مجلة الدراسات
التاريخية، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، العدد (8) ، 1993 ، 1994.

المراجع الأجنبية:

■ Allaoua (A):

- pouvoir économie et société dans le Maghreb Hammadide (395/1004 – 547/1152), thèse de doctorat, université paris-1, Sorbonne, 2002, vol.01.

■ Brunchvic(R) :

- la berbère Oriental sous les Hafside, Librairie d' Amérique et d'Orient. Paris, 1980, Tome02.

■ Cherbonneau:

- Aicha , poète de Bougie au 7 ème siècle de l'hégire , la Revue Africaine , Année(04) , (1859-1860) O.P.U. Alger , 1985.

■ Charles(F):

- Histoire des ville de la province de Constantine, Bougie. Inrecveil de la société archéologique de Constantine. Année1869.

■ Claude(A):

- Ibn Arabi et le voyage Sans retour, édition du seuil, paris,1996.

■ Dermenghem(E):

- Vie des saints musulmans, L'imprimerie Darantier du dyan, 1983.

■ Dhina(A):

- les états de l'occident musulman au 13 et14 et15 siècles, O.P.U, Alger, 1984.

■ **Ibn Arabi:**

- Le livre du Mim. Du wâw et du Nûn. Al bouraque, Beyrouth Liban, 2002.
- les soufis d' Andalousie (Ruh al quds fi munaçahat an nafs), traduit de l'arabe et présenté par, r.w.J. Austin. L'imprimerie, Darantiere à quetigny Duyan. 1988.
- The seven Days of the Heart, oxford, 2000.
- The spiritual life and Thought of Ibn Arabi, oxford. 1999.

■ **Gustave(L) :**

- La Civilisation des arabes , éditions la fontaine au Roy. paris.1996.

■ **Lucien(L):**

- Histoire De La Médecine Arabe, Tom:01,Imprimerie De Fedala,Mohammedia,Marok,1980.

■ **Samih (A):**

- Assoufia et l'islam, Dar al Kitab allubnani, Beirut,1978.

■ **Seyyed(H):**

- Sciences et Savoir en Islam, paris,1979.

■ **Faouzi(S):**

- La Voie Soufie, ALBin Michel, paris, 1985.

■ **Urvoy(D):**

- la structuration du monde des ulémas a bougie. au VII /XIII siècle, Dans studia islamic,XLIII(1976).

فهرس الأماكن

- أ -

10.....	إيطاليا
10.....	الإسكندرية
138 -124.....	أشبيلية
170-75-31.....	أفريقية
96.....	أصفهان
-124-108-107-104-97-95-75-63-62-44-30-09.....	الأندلس
	171-159-125
09.....	أوروبا

- ب -

12-11.....	باب البحر
-91-90-89-85-79-76-68-62-61-56.....	بجاية كل الصفحات ما عدا
175-165-160-156-153-147-141-128-119-118-117-106-101-96	
169.....	برج حمزة
10.....	بسكرة
143.....	البصرة
53.....	بغداد
169.....	البويرة
25-10-03.....	بونة
11.....	بلاد السودان
51.....	بلاد فارس
159-152-151.....	بلنسية

فهرس الأماكن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ت -

تلمسان.....138-111-82-54-28-26
تونس.....-49-44-39-32-31-29-28-27-26-25-22-11-10-05
177-65-54

- ج -

الجامع الأعظم.....136-110-104-98-89-70-69-50-21
جامع الأزهر.....77
جامع القصبة.....50
جامع الهواء.....78
جامع الزيتونة.....77-49-22
الجزائر.....03
جيجل.....10

- ح -

حصن كلوزال.....01
حومة المذبح.....19-16

- د -

دمشق.....96

- ر -

رابطة المتمنى.....20

- ز -

الزاوية الملارية.....57
زاوية أبي زكريا يحيى الزواوي.....57
زاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي.....57

- س -

54.....سبنة

170.....سلا

16.....سوق الأسرى

09.....سوق الصوافين

- ص -

01.....صلداي

- ط -

54-11.....طرابلس

- ع -

25.....عناية

- غ -

10.....غدامس

54.....غرناطة

- ف -

138-111-54.....فاس

57.....فرجيرة

- ق -

- 77..... القرويين
159-82-46-31-27-26-10-03..... قسنطينة
27-10..... القل
169-124-97-10-04-03..... قلعة بني حماد
49-10..... القيروان

- ك -

- 143-97-96..... الكوفة

- م -

- 53..... المدرسة البيهقية
53..... المدرسة النظامية
54..... المدرسة المستنصرية
108-96..... المدينة المنورة
135-04..... مراكش
10..... مرسى الخرز
51..... مسجد أبي زكريا الزواوي
50..... مسجد حومة اللؤلؤة
50..... مسجد المرجاني
77-64..... مصر
01..... مغارة علي باشا
-112-102-81-68-67-63-59-58-55-51-49..... المغرب الإسلامي
157-149-133-125-120
170-123-55..... المغرب الأقصى
-77-75-68-24-10-03..... المغرب الأوسط
123-87
96..... مكة المكرمة

59..... المكتبة السلطانية ببجاية

152..... ميورقة

- ن -

53..... نيسابور

- و -

07..... واد أمسيون

10..... وارجلان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

- أ -

- ابن عبد البر النمري..... 85
- ابن عبد ربه..... 86
- ابن الأثير..... 03
- ابن أبي بكر بن العربي..... 124-42
- ابن أبي عمارة الدعي..... 32
- ابن الحاجب..... 111-64
- ابن خلدون..... -72-71-64-11-03
- 178-172-169-149-147-142-118-117-106-84-83-81-80-75-73
- ابن سينا..... 173-135-65
- ابن قتيبة..... 147-86
- ابن الفرضي..... 171
- ابن القنفذ القسنطيني..... 87-60-21
- أبو أحمد بن يحيى..... 146
- أبو إسحاق إبراهيم بن الخطيب..... 173-165-145
- أبو إسحاق إبراهيم ميمون الزواوي..... 148
- أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي..... 84
- أبو إسحاق بن العرافة البجائي..... 99
- أبو بكر بن خلف الأشبيلي..... 138
- أبو بكر محمد بن سليمان الزهري البلنسي..... 40
- أبو بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسي الأندلسي..... 47
- أبو بكر بن سيد الناس..... 156-105-78-47-42-14
- أبو بكر بن موسى الكومي..... 27
- أبو البقاء خالد بن أبي زكريا..... 33-32-28-06
- أبو تمام حبيب بن أوس..... 86-24
- أبو تميم ميمون بن خلفون البردوي..... 72-39

فهرس الأء للام

جامعة الأمبر عب القادر للعلوم الإسلامية

- 24-23..... أبو جعفر حماد بن محمد نصفي
- 146..... أبو جعفر حماد بن يوسف نخعري
- 174..... أبو حجج يوسف بن سعفة الجزائرى
- 137-121..... أبو احسن علف انصبرى الشئبرى
- 125..... أبو احسن علف انه انفزى الشاطبى
- 130..... أبو احسن اسلاوى
- 131..... أبو احسن علف بن اىماعف بن حرزهم
- 134..... أبو احسن علف انه الأزدى
- 154-115-72..... أبو احسن علف بن عمران الملىانى
- 85..... أبو احسن انخمى
- 53..... أبو احسن علف بن محمد الزواوى
- 121-110-99-80-76-64-41-16..... أبو احسن الحرانى التجبى
- 174-145-136-135-127-126
- 111..... أبو احسن علف بن الزىات
- 146..... أبو احسن علف الحضرى الأشبلى
- 148-146..... أبو احسن بن عبفء الله بن فتوح النفزى
- 146..... أبو حىان النهوى
- 107..... أبو حنفة النعمان
- 104..... أبو الخطاب عمر بن احسن
- 103-102-85..... أبو داووء السجستانى
- 104..... أبو الربىع سلیمان الأندلسى
- 12..... أبو زكرفا بن أبى إسحاق
- 159-44-25-05..... أبو زكرفا بىحى الحفصى
- 66-51-16..... أبو زكرفا المرجانى الموصلى
- 26..... أبو زكرفا بىحى الوائق
- 99-79-78-69-50-47-40-37-30..... أبو زكرفا بىحى الزواوى
- 134-133-127-121-115-113-110-104
- 90-34..... أبو زكرفا بىحى بن علف بن جلوس المهدانى
- 64-46-41..... أبو زكرفا بىحى بن محجوبة القرشى السطفى
- 164-136-125-122
- 70..... أبو زكرفا بىحى الأندلسى

- أبو سعید الدوكالی.....111
- أبو سعید أحمد بن أحمد الغبرینی.....21
- أبو سعید البراذعی.....109-85
- أبو سعید عثمان الأنصاری البلسنی.....125
- أبو طالب اللخمی.....113
- أبو طالب المکی.....122-86-24
- أبو الطاهر عمارة بن یحیی الشریف الحسنی.....115-92-88
- أبو العباس أحمد بن علی البونی.....140
- أبو العباس أحمد بن خضر الصدفی الشاطبی.....97-91
- أبو العباس أحمد بن الغماز الأنصاری.....38-14
- أبو العباس أحمد المهودی.....84
- أبو العباس أحمد بن خالد المالقی.....176-125-81
- أبو العباس أحمد بن عیسی الغماری.....83-80-45-40
- أبو العباس أحمد بن الغماز الأنصاری البلسنی.....45
- أبو العباس أحمد بن عبد الله المعافری.....98-51
- أبو العباس بن خضر.....42
- أبو العباس بن مقدم.....42
- أبو العباس بن الخراط.....78-40
- أبو العباس بن خالد.....173-113-23
- أبو عبد الله بن الحسن بن علی بن میمون.....169
- أبو عبد الله بن حماد الصنهاجی.....170-169
- أبو عبد الله اللحیانی.....05
- أبو عبد الله التمیمی.....60-24-23
- أبو عبد الله المستنصر.....26
- أبو عبد الله الشریف.....114
- أبو عبد الله بن العربی.....139
- أبو عبد الله الدقاق.....130
- أبو عبد الله الجزائری.....124
- أبو عبد الله محمد بن الأبار.....171-170-159-153-151-30
- أبو عبد الله محمد بن الحسن القلعی.....144-130
- أبو عبد الله محمد بن علی الصنهاجی.....133

- 133..... أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري.
- 87..... أبو عبد الله محمد الصفار.
- 90..... أبو عبد الله محمد الخشني البجائي.
- 113..... أبو عبد الله محمد الفهري.
- 145-125-122-115..... أبو عبد الله محمد بن علي القصري.
- 115..... أبو عبد الله محمد بن منصور القلعي.
- 55..... أبو عبد الله بن شعيب.
- 79-60..... أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي.
- 60..... أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي.
- 149-60..... أبو عبد الله بن يحيى الباهلي البجائي.
- 64..... أبو عبد الله محمد الفهري الأصولي.
- 180-169-76..... أبو عبد الله محمد القلعي.
- 79..... أبو عبد الله بن أبي بكر الصنهاجي.
- 176-72..... أبو عبد الله بن عبد السلام.
- 161-83..... أبو عبد الله محمد الكناني الشاطبي.
- 154..... أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي.
- 161-155..... أبو عبد الله محمد بن الحسن التميمي القلعي.
- 150-24..... أبو عبد الله محمد الأنصاري.
- 134-123-121-37..... أبو عبد الله محمد بن القاسم السجلماسي.
- 27-26..... أبو عبد الله محمد بن أبي هلال.
- 115-70..... أبو عثمان سعيد بن عبد الله.
- 74..... أبو عثمان سعيد بن زاهر الأنصاري.
- 152..... أبو عثمان سعيد بن عبد الغني القرشي.
- 161..... أبو العلاء المعري.
- 148..... أبو علي القالي البغدادي.
- 171..... أبو علي الصفدي.
- 83-79-78-71-70-59-50-42-41-38..... أبو علي المسيلي.
- 179-114-99109
- 111-84-75-72-64..... أبو علي ناصر الدين المشذالي.
- 65..... أبو علي عمر بن أحمد البجائي.
- 133..... أبو علي حسن بن محمد الغاقي الصواف.

- 82..... أبو علي بن عمر المرساوي.
- 144-86..... أبو علي الفارسي.
- 153-45..... أبو علي الحسن بن موسى.
- 167-42-08..... أبو علي بن الفكون القسطنطيني.
- 96..... أبو عمرو بن العلاء البصري.
- 98-97..... أبو عمرو الداني.
- 112..... أبو عمر عبد الكريم الأزدي القلعي.
- 28-27-26..... أبو فارس بن أبي إسحاق.
- 79-51..... أبو فارس عبد العزيز بن مخلوف.
- 144..... أبو الفتح عثمان بن جني.
- 158-123..... أبو الفضل بن النحوي التوزري.
- 137-57-39-30..... أبو الفضل قاسم بن محمد القرطبي.
- 83-31..... أبو القاسم أحمد بن عثمان القيسي.
- 83-40..... أبو القاسم بن زيتون.
- 45..... أبو القاسم محمد الأموي.
- 177-176..... أبو القاسم محمد بن أندراس.
- 145-125-110-97-70-46..... أبو القاسم أحمد بن عجلان القيسي.
- 97..... أبو القاسم محمد بن فيرة الشاطبي.
- 65..... أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي الأندلسي.
- 85..... أبو القاسم بن الجلاب البصري.
- 138..... أبو القاسم الشراط القرطبي.
- 145..... أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر الجزائري.
- 102-79-72-59-42-41-38..... أبو محمد عبد الحق الأشبيلي.
- 160-154-145-139-130-129-125-121-110-103
- 138-111-103-65-40..... أبو محمد عبد الحق الأزدي الأشبيلي.
- 80-46..... أبو محمد عبد الله بن عبادة القلعي.
- 43..... أبو محمد عطية الله بن منصور الزواوي.
- 150..... أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر.
- 156-153..... أبو محمد عبد المنعم الغساني.
- 156..... أبو محمد عبد الله بن علوان.
- 159..... أبو محمد عبد الله بن نعيم القرطبي.

- أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف.....174
- أبو محمد عبد العزيز القيسي.....89-42-23
- أبو محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري.....-113-92-46-41-40-23
- 173-164-154
- أبو محمد بن القاسم بن علي الحريري.....86
- أبو محمد بن عبد الله بن عبادة.....89
- أبو محمد فارس عبد العزيز.....110
- أبو محمد عبد الله بن الطير.....114
- أبو محمد عبد الحق الأنصاري.....115
- أبو محمد عبد المجيد بن أبي البركات.....82-54
- أبو محمد بن عمر بن مخلوف.....89-81
- أبو محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي.....84
- أبو محمد عبد الوهاب.....85
- أبو محمد عبد السلام التونسي.....123
- أبو محمد صالح الماجري.....123
- أبو محمد عبد الله بن يوسف الجزائري.....124
- أبو محمد عبد الحق بن عمر الأنصاري.....136
- أبو محمد عبد الحق بن سبعين.....137
- أبو محمد عبد الواحد بن حفص.....05
- أبو محمد بن أبي زيد القيرواني.....85-64-23
- أبو مدين شعيب.....-79-78-71-68-50-38-31-30-23
- 169-168-163-162-150-133-132-131-130-127-124-120-110-104
- أبو المعالي.....125
- أبو المعالي الجويني.....85
- أبو نعيم الأصفهاني.....125
- أبو موسى الجزولي.....146-145-144
- أبو مهدي عيسى بن أحمد الغبريني.....21
- أبو نعيم الأصفهاني.....125
- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي.....154-152-151-150
- أبو يعزى بن يلنور.....131
- أبو يحيى زكريا.....159-44-25-05

- 149..... أبو يعقوب يوسف البويوسفي الملاري
 85..... أبو الوليد محمد بن أحمد بن راشد
 46-20..... أبو النجم هلال بن يونس الغبريني
 05..... أبو هلال عياد بن سعيد الهنتاتي
 173..... أبو نصر الفارابي
 86..... أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي
 134..... أبو يوسف يعقوب الزواوي
 112..... أبو يوسف يعقوب المنجلاتي
 114..... أحمد بن عبد الله المخزومي
 50..... أيفر
 49..... إسماعيل بن عبيد الأنصاري
 172..... أرسطو
 26..... إدريس بن عبد الملك
 177-10-08-07-03..... الإدريسي
 145-144-124-120-102-93-82-77-63-61-36-35..... الأندلسيون

- ب -

- 172-120-114-111-102-64-63..... البجائيون
 105-104-103-102-101-85-78-69..... البخاري (محمد بن إسماعيل)
 02..... البكري
 104..... بنو أيوب
 170..... بنو عبيد
 05..... بنو غانية
 32..... بنو مرين
 01..... البيزنطيون

- ت -

- 117-98..... التابعون
 54..... التجاني

الترمذي.....102-85
تقي الدين الموصللي.....66

- ث -

الثعالبي: أبو منصور.....100-98-92-88-59

- ج -

جابر بن عبد الله.....61
الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر).....148-147

- ح -

حبيب بن أوس.....161
الحارث المحاسبي.....131-124-122
الحسن البصري.....86
الحسين بن علي (رضي الله عنهما).....177
الحفصيون.....77-25-12-05
الحماديون.....03
حمزة بن حبيب الكوفي.....96

- خ -

الخطيب البغدادي.....62
الخنوجي.....174
الخورزمي.....178

- د -

رابع بونار.....160-20
الرسول (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم).....-58-57-49-42
-156-155-140-131-119-107-105-101-98-95-87-81-69-67-61
158-157

- ز -

الزجاجي.....146-86-24
الزمخشري.....146-145-144-99-84

زيان بن مردنيش.....159-152

- س -

سحنون عبد السلام التنوخي.....109-85

سفيان بن عيينة.....85

السهروردي.....135-114

سيويه.....145-86-24

- ش -

شاربونو.....58

الشافعي.....108

شرف الدين بن سعيد البوصيري.....157

شرف الدين السبكي.....72

- ص -

صالح بعيزيق.....18-12

الصحابة.....117-98-67

صنهاجة.....11

الصوفية.....115-68-56-38

الصليبيون.....166

- ط -

الطبري.....170-98-84-23

- ع -

عائشة البجائية.....100-92-88-87-58

عادل نويهض.....20

عاصم بن أبي نجود الكوفي.....96

عبد الله بن عامر الشامي.....96

عبد الله بن غانم.....52

عبد الله بن زيد القيرواني.....109

عبد الله العاضد لدين الله.....170

- 96.....عبد الله بن كثير المكي
 46-04.....عبد المؤمن بن علي
 125.....عبد الرحمن بن يوسف البجائي
 27.....عبد العزيز بن داود
 87.....عبد العزيز فيلالي
 131.....عبد القادر الجيلاني
 108.....عبد المالك بن حبيب الأندلسي
 85.....عبد الملك بن حبيب القرطبي
 170.....عبيد الله المهدي
 72-64.....عز الدين بن عبد السلام
 46-04.....علي بن إسحاق
 143.....علي بن أبي طالب
 121-104-47علي بن أبي نصر البجائي
 138.....علي بن زرقون
 97.....علي بن حمزة الكساني
 49.....عمر بن عبد العزيز
 27.....عمران بن موسى الكومي
 11.....العبيديون
 109.....العتبي بن بشير
 178-27.....العرب

- غ -

- 24-22-21-20-19-17-16-09-07.....الغبريني(أبو العباس)
 -51-50-47-45-42-41-40-38-38-37-36-35-34-33-32-31-30-29-28
 -88-87-83-81-78-77-76-72-71-70-69-68-66-65-64-59-57-55-53
 -114-113-111-110-109-105-104-103-99-98-97-95-92-91-89
 -136-134-133-129-127-126-125-124-123-122-121-120-115
 -156-154-153-151-150-148-146-145-144-143-141-139-137
 180-179-177-176-173-172-171-166-165-161-159-158-157
 173-131-124-123-122-85-64-53-23.....الغزالي: أبو حامد

- ف -

- 170.....الفاطميون
 173.....فخر الدين الرازي
 50.....فيرو
 27.....الفضل بن يحيى الوائق
 155-68.....الفهاء
 01.....الفينيقيون

- ق -

- 110.....القاضي عبد الوهاب البغدادي
 102.....القاضي عياض
 131-125-122-117-86.....القشيري أبو القاسم بن هوازن

- ك -

- 16.....كريمة (زوجة أبي الحسن الحرالي)

- ل -

- 18-17.....ليون الإفريقي
 179.....ليوناردو فبوناتشيو

- م -

- 110-109-108-107-102-89-85-68-24-23.....مالك بن أنس
 18-17.....مارمول كربخال
 26.....محمد بن أبي مهدي الهنتاتي
 172.....محمد بن محمد بن محرز
 111-102.....محمد بن علي المازري
 170.....محمد القائم بأمر الله
 78-47-46.....محمد المستنصر
 165-163-140-139-138-100-30.....محي الدين بن عربي
 103-102-85.....مسلم بن الحجاج
 39.....معاوية الزواوي

53.....	ملكشاه السلجوقي.
77.....	المالكية.
123-68.....	المرابطون.
178-175-143-101.....	المسلمون.
27.....	المسيحيون.
75-66.....	المشاركة.
131-108-61.....	المغاربة.
145.....	المقري.
11-04.....	المنصور بن علناس.
173-68-50.....	المهدي بن تومرت.
159-143-68-05-04.....	الموحدون.

- ن -

96.....	نافع بن عبد الرحمن المدني.
53.....	نظام الملك.
02.....	الناصر بن علناس.
31-21.....	النباهي.
102-85.....	النسائي.
175-151.....	النصاري.

- ه -

04.....	الهلايون.
178.....	الهنود.

- و -

98.....	ورش (الإمام ورش).
06.....	الواثق بن المستنصر.
134-70.....	الواعظ: (أبو تمام).
01.....	الوندال.

- ي -

03.....	ياقوت الحموي.
05.....	يحيى بن غانية.

108.....	يحي الليثي.....
133-57.....	يعقوب بن عمران البويوسفي.....
131-69-12.....	يعقوب المنصور.....
01.....	يوغرة.....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهرس العام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهرس العام

المقدمة

- أ- أهمية الموضوع.....أ-ش
ب- صعوبات البحث.....ب-ت
ج- المنهج المتبع.....ت-خ
د- عرض وتحليل لأهم المصادر.....د-ش

التمهيد: لمحة تاريخية عن بجاية

- 01- بجاية في العصر القديم.....1
02- بجاية في العصر الإسلامي: التطور التاريخي للمدينة.....2
03- النظم الاقتصادية ببجاية القرن السابع الهجري/13م.....6
أ- الإنتاج الفلاحي.....7
ب- الإنتاج الصناعي.....8
ج- التجارة.....10
د- العملة.....11
04- الأوضاع الاجتماعية ببجاية.....13

المجتمع البجائي: الأصول وعناصر السكان

- أ- الخاصة.....13
- ب- العامة.....15
- 05- تعداد سكان بجاية.....17

الفصل الأول: الغبريني: حياته، وكتابه عنوان الدراية

01- الغبريني: حياته وعصره

- أ- مولده ونشأته.....20
- ب- ثقافته وشيوخه.....22
- ج- عصر الغبريني وبيئته.....24
- د- وظائفه.....31
- هـ- محنته ووفاته.....32

02- عنوان الدراية: دراسة الكتاب

- أ- التعريف بالكتاب.....34
- ب- منهج الغبريني في كتابه عنوان الدراية.....36
- ج- مصادر كتاب عنوان الدراية.....38

الفصل الثاني: عوامل نمو الحركة الفكرية ببجاية

- 01- عناية السلاطين والأمراء بالعلم والعلماء.....44
- 02- المؤسسات التعليمية ببجاية.....49
- أ- المساجد.....49
- ب- الكتابيب.....51
- ج- المدارس.....53
- د- الزوايا.....56
- هـ- المكتبات.....57
- و- الحلقات الخاصة.....59
- 03- الرحلة العلمية.....61
- 04- التعليم: أنواعه ومراحله
- أ- أنواع التعليم
- 1- التعليم الشعبي.....67
- 2- التعليم الاحترافي.....71

ب- مراحل التعليم

1- المرحلة الأولى من التعليم.....73

2- المرحلة الثانية والثالثة من التعليم.....76

05- طرق ومناهج التدريس

أ- الطريقة الأولى.....81

ب- الطريقة الثانية.....82

06- تعليم المرأة.....87

07- الإجازة العلمية.....89

08- الوراقة.....92

الفصل الثالث: العلوم الدينية بجاية من خلال عنوان الدراية

01- علوم القرآن والتفسير

أ- علم القراءات.....95

ب- التفسير.....98

02- علوم الحديث.....101

03- علم الفقه.....106

103.....04-أصول الفقه، والعلوم الدينية الأخرى

الفصل الرابع: التصوف والعلوم اللغوية وأدابها، والعلوم الإجتماعية

والعقلية ببجاية من خلال عنوان الدراية

01-التصوف

117.....أ-معنى التصوف وظهوره

120.....ب-عوامل ظهور التصوف ببجاية

ج-التيارات الصوفية ببجاية:

129.....1-تيار التصوف السني

135.....2-تيار التصوف الفلسفي

02-اللغة العربية وأدابها

143.....أ-النحو

147.....ب-النثر

ج-الشعر:

155.....1-المدائح النبوية

158.....2-شعر التوسلات والابتهالات

160.....3-شعر الزهد

4- شعر التصوف :

أ- شعر التصوف السني.....162

ب- شعر التصوف الفلسفي.....164

5- المدج.....166

6- الوصف.....167

03- العلوم الإجتماعية والعقلية

أ- التاريخ.....169

ب- علم المنطق.....172

04- العلوم الطبية والعددية

أ- علم الطب والصيدلة.....175

ب- الرياضيات.....178

الخاتمة.....181

الملاحق.....185

الخرائط.....215

الصور.....221

المصادر المخطوطة.....229

231.....	المصادر المطبوعة
240.....	المراجع العربية
246.....	المراجع المعربة
248.....	الرسائل الجامعية
249.....	الدوريات
252.....	المراجع الأجنبية
254.....	فهرس الأماكن
259.....	فهرس الأعلام
272.....	الفهرس العام